



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رمضان 1404 هـ الموافق لجوان 1984

# كِتابُ التَّوجِيد،

التَّخلي عن التقليد والتّحلي بالأصل المفيد

تأليف عمَر العَرباوي

أهدي هذا الكتاب الى أرواح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين جاهدو في هذا الوطن ، في سبيل العقيدة السلفية الصحيحة فنشروها فيه وأزالو عنها ظلام الجهل المتراكم عليها عدة قرون وأخلصوها من شوائب الوثنية والبدائع والخرفات فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا .

عمر المرباوي

## دعاء الاستفتاح

ربنا لك الحمد كا ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كا أثنيت على نفسك ، فلك الحمد دائما وأبدا حمداً يوافي نعمك ويكافيء مزيدك عدد خلقك ورضى نفسك وزينة عرشك ومداد كلماتك .

وصل يارب وسلم وبارك أفضل صلاة وأزكى سلام وأعظم بركة على عبدك ونبيك ورسولك أشرف الخلق ، ورسول رب العالمين ، المؤيد بالحق والصدق سيدنا محمد وآله وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه كا صليت وسلمت وباركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد على ...

آمين

## كتب للمؤلف

\_ الإعتصام بالاسلام

ـ كتاب التوحيد المسمى بالتخلي عن التقليد ووالتحلي بالأصل المفيد

# بسم الله الرحمن الرحيم نصائح أقدمها إلى الشباب المسلم

من الاشياء التي حار فيها المفكرون والعقلاء ، واندهش لها الجميع هو إنحراف بعض الشباب ألجزائري من بعد الاستقلال عن مباديء الاسلام .

كان الشعب متسكا به ومعتدا عليه في حرب التحرير فبرزت الخصائص الاسلامية فيها سلمة لم تتأثر بما لابسها من سيطرة الاستعار طيلة قرن وربع ، فكان الايمان بالله يحدو المجاهدين الى ساحة القتال فظهرت الشجاعة النادرة والبطولة الخالدة ، والوحدة الشاملة وكل الميزات الاسلامية التي كانت لأسلافهم الأمجاد من إقدام وتضحية في سبيل الله ، وثبات، ورحمة بالضعفاء أدى فيها كل مواطن واجبه الديني وهو الذي كان سببا في نصرته على الاستعار ..

ولما تم الأنتصار على العدو وطرد من البلاد ، أخذ الجزائريون زمام الحكم بأيديهم ، ولكن سرعان ما تنكر بعض الشباب للدين ولعوائده وأخلاقه ، وقطعوا صلتهم به ، لعبت المادة والشهوات بعقولهم فراجت موجة ناتجة من الالحاد كادت أن تعم طبقات الشعب ، وأصبح الإسلام يتهم بالرجعية والتأخر واختلط الذكور بالاناث في العمل والدراسة ، وفتحت على مصراعيها للافكارالهدامة والاباحية المطلقة ، فتحوّل المجتع الى مجتع غربي في عوائده ولغته وأخلاقه ، وأصبحنا في كل يوم نرى تدهور الشباب نحو الرذيلة والفساد ، لأنه لايربد الا الهوى المضلل ، واطلاق العنان لشهواته العارمة التي لاتعرف الحدود .. وترك الأخلاق الفاضلة التي كانت لأجدادهم وأسلافهم والتي حفظت المجتع الجزائري منذ فجر التاريخ الى الثورة المظفرة وأسلافهم والتي حفظت المجتع الجزائري منذ فجر التاريخ الى الثورة المظفرة الكبرى فبهذه الأخلاق الحميدة برز المجاهدون الابرار ورأينا قانون الاسلام هو السائد على البلاد كلها ..

الاستقلال معناه استرداد مقومات البلاد الأساسية ، من بعد ما غادرها الاستعبار ، ومقومات هذا الوطن هي الاسلام لاغير ، والشعب منطوي على كثير من هذه المقومات لأننا شاهدنا أيام حرب التحرير كيف برزت فيه هذه المقومات .

أيها الشباب ان أول حجر تبني عليه مستقبلك هو الايمان ، والايمان متعدد الجوانب :

أولا: الايمان بنفسك على أن فيك استعدادا لوغيته لكنت ذا قوة فعالة ، فيك استعداد للتفكير والارادة .

الايمان بمجتمعك على أنك عضو منه ، وهو متكفل برعايتك ، يتطلب منك كيف تنظر الى غيرك ، على أنه شريك لك في الحياة ؟ الايمان بمجتمعك يتطلب منك أن تتعلم كيف توجّه طاقة الحماس ، وقوة الشباب في سبيل الخير والعون لمجتمعك ، الايمان بالوطن على أنه الدار التي تسكنها ، لانه الحمى الذي تحتمي به من أحداث الزمن . الايمان بالله عز وجل ، فتعاليم هي التي ترشدك كيف تؤمن بنفسك وبمجتمعك وبوطنك ؟ فبالايمان بالله تسير على هدى وبصيرة من أمرك . الايمان بالله يدفعك الى الأمام فتنكشف لك سبل الهداية .

أيها الشباب ، انك في بداية الطريق من هذه الحياة ، وفي بداية أمرك من تحمل المسؤولية ، فإن لم تستعن بالله فسوف يضعف أمرك ، وأنك بدون شك مستقطلع الى المستقبل كيف تكون ؟ وما يدريك لعلك أن تكون قائد جيوش ، أو مسئولا كبيرا في الدولة ، أو عالما متبحرا في العلوم والفنون ، أو فيلسوفا مقتدرا على حل المشاكل ، أو مخترعا ، الى غير ذلك من الطموحات ، ولكن هذه المناصب كلها اذا كانت بدون ايمان بالله فانها تضر أكثر مما تنفع ..

الشباب في كل زمان ومكان يضرب الأمثال الرائعة في الحياة ، فهذا أبو الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ينفتح قلبه على الايمان بالله في بداية شأنه ، فينكر عبادة النجوم والقمر والشمس ، وعبادة الاصنام التي كان

قومه يعبدونها من دون الله قال تعالى متحدثا عنه : ﴿ فَلَمَا جَنَّ عليه اللَّيلِ رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم : اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (سورة الانعام) .

ولما تمكن الايمان من سيدنا إبراهيم عليه السلام أبرز قوته في تحطيم أصنام قومه ، قال تعالى :

\* وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جداداً الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴾ (سورة الانبياء) .

وكان سيدنا يوسف عليه السلام شابا تعرض للمحن والتجارب القاسية الشديدة فخرج منها طاهرا نقيا ، ويقص علينا القرآن مجموعة من الشباب المؤمن وهم أهل الكهف فقال تعالى : ﴿ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلاها لقد قلنا إذا شططا ﴾ (سورة الكهف) .

يجب اصلاح الشباب عن طريق الدين والاخلاق الفاضلة ..

أيها الشباب ، اذا أردتم أن يرجع اليكم مجدكم وتصان كرامتكم ، فتمسكوا بفضائل أجدادكم وخذوا من كل أمة من أمم الأرض أحسن ما عندها من علم واتحاد وصناعة وأدب ، وانبذوا كل ما كان لهنا من رذيلة وفساد ، واعلموا أنه لابقاء لأمة مها عظمت قوتها وعلت كلمتها ، واشتد سلطانها إلا إذا تمسكت بالايمان بالله والعدل والحق ، وحافظت على أخلاقها التي لابقاء لهـا إلا بها ..

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا قال تعالى : ﴿ يَأْيُهَا الدِّينَ آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للم يحييكم ﴾ ( سورة الانفال ) .

الحياة هي النهضة بأشمل معانيها ، فتشمل حياة الفرد وحياة الجماعة ، انها حياة من واهب الحياة الخالدة ان الدعوة الاسلامية دعوة عامة الى الحياة الحقيقية ، فالدين هو الذي يدفع الأمة في اتجاه التقدم ، والدين هو صانع الحضارات ، ما من حضارة قامت في الشرق أو في الغرب إلا على أساسه ، وسيضل هذا شأن الانسانية في كل زمان ومكان ، ولهذا كانت عقيدة المؤمن حياة بعد ممات ورزقا وفرحا بفضل الله ، ولم يكن الموت عدما بل هو معبر الى رضوان ، ونعيم مقيم خالد ..

يجب على الشباب أن يحيوا قلوبهم بمواعظ القرآن ويثيروها بالتفكير في ملكوت السماوات والأرض ، وفيا خلق الله من الأشياء التي لاتعد ولاتحصى ، ويقووها باليقين ويذللوها بالموت ويشعروها بالفناء ، ويذكروها بفواجع الزمن ..

أيها الشباب: ﴿ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور، ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ (سورة فاطر).

الذين يؤمنون بالله ويعرفونه حق المعرفة كالملائكة قالوا: ﴿ سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علمتنا ... ﴾ ، وانظروا الى خليل الرحمن كيف يطلب ربه بأدب وتواضع: ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ وقال الرسول « والذي أطمع من ينجيه علمه ، قالوا: ولا أنت يارسول الله ؟ قال: ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته » ، وانظروا كيف صاغ الايمان الشباب المسلم في صدر الاسلام ، روى عن جابر رضي الله عنه ، قال: « قال رجل من مقاتلي غزوة بدر: أين أنا يارسول الله أن قتلت ؟ قال: في الجنة. فألقى تمرات كن في يده، وقاتل حتى قتل »، فقد استطال الوقت الذي يأكل فيه المرات..

وهذا أعرابي يحضر مع رسول الله « عَلَيْكُم » في احدى الغزوات ثم يعودون بالغنائم فيعطي للاعرابي نصيبه من الغنية ، فيتعجب ويقول : كلا ، ما على هذا اتبعتك ، أنا آمنت بك على أن أحارب في سبيل الله ، فأرمى بسهم هنا ، وأشار إلى نحره ، فأقتل فأدخل الجنة . فلما كانت الغزوة المقبلة قاتل الاعرابي فيها فرمي بسهم فقتل . فلما رآه الرسول عَلِيْكُ قال « صدق الله فصدقه » !

وهذا سيدنا عبد الله بن جحش يرفع يديه الى الساء ، ويقول اللهم الي أقسم عليك أن ألقى الاعداء غدا فيقتلوني ، ثم يبقروا بطني ويجدّعوا انفي وأدنيّ : ثم تسألني : فيم ذلك ؟ فأقول : فيك يارب . هذا الصحابي الجليل لايطلب السلامة من خطر الحروب ليركن الى المذلة بل يدعو مخلصا إلى الاسلام ، فإذا تعذر السلم خاص غمار الجهاد ليقتل أبشع قتلة ليلقى الله وهو قرير العين .

أما سيدنا نعيم بن مالك ، فقد جاء إلى الرسول عَلَيْكَ فقال : لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها . قال رسول الله عَلَيْكَ : « وم ؟ » قال : بأني أحب الله ورسوله . ولا أفر يوم الزحف .. قال رسول الله عَلَيْكَ « صدقت » . واستشهد يوم أحد .

وهذا سيدنا حنضلة بن أبي عامر رضي الله عنه الذي زُفَ اليه عروسه ثم سمع المنادي : يا خيل الله اركبي . فانتزع نفسه من الفراش وقام ليأخذ مكانه في صفوف المجاهدين ، وقاتل حتى استشهد ، فلما انتهت المعركة طلب رسول الله عَلَيْ زوجته وقال : « حدثيني عن آخر عهد محنضلة » ، فأجابته المرأة : كان بيني وبين حنضلة ما يكون بين الرجل وزوجه ، ولما سمع الهيعة نهض مسرعا قبل أن يغتسل ، فقال

رسول الله عليه : « لقد رأيت الملائكة تغسّله في صحاف من الفضة عاء المزن بن السماء والأرض » .

هذه مباديء الاسلام فعلت مفعولها في القلوب المؤمنة للصحابة وغيرهم من التابعين واللاحقين ، أما المسلمون الحاضرون فقد تنكروا للاسلام ونبذوا أوامره وراء ظهورهم ، وأصبحوا يلهثون وراء المباديء الوضعية يطبقونها على مجتمعاتهم وسيطر على حياتهم الجهل ، وقد نسوا أنهم مطالبون بالتوحيد وتطبيق الشريعة الغراء بكاملها ، وان اختلفوا فواجب عليهم أن يردوه الى الله ورسوله ليحكم بينهم ، فالمسلمون اليوم لايعبرون عن الاسلام لا من قريب ولا من بعيد ، هم في ناحية والاسلام في ناحية أخرى .

وأنا أخاطب الشباب أينا كان وحيثما وجد بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله الكريم « صلى الله عليه وآله وسلم » ويترك تقليد الأجانب أعداء الدين ويتبع طريق السلف الصالح في عقيدته الراسخة ، وسلوكه القويم ، والحفاظ على تراثه الجيد .

وإني أقدم تأليفا متواضعا في العقائد الإسلامية السلفية الى الشباب المسلم ليتسلح بالتوحيد الخالص والايمان العميق لعله يجد فيه ما يشفي غليله لأنه مدعم بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، وأقوال العلماء المجتهدين أمثال : ابن تيمية ، ابن قيم الجوزية ، عبد الحميد بن باديس ، والغزالي ، وغيرهم كثيرون رضوان الله عنهم .

A CONTRACTOR OF THE STATE OF TH

A Com

#### المقدمية

الحمد لله الذي شيد منار الدين وأعلامه ، وأوضح للخلق شرائعه وأحكامه ، وبعث صفوته وخصائص أوليائه المصطفين لتبليغ رسالته بواسطة أنبيائه يدعون الى توحيده وترك ما خالفه من الملل لكي لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وختم الدعوة بنبينا محمد على سيد المرسلين ، وفضله على من سبق غيره من الأولين والآخرين ، وجعل شريعته مؤيدة إلى يوم الدين ، ووكّل بحفظها من الصحابة والتابعين ، من تقوم بهم الحجة ، وترتفع بقولهم الشبهة ، وهم الفقهاء الذين ألزمهم حراسة شريعته ، والتفقه في دينه ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ ( سورة آل عران ) .

هذا كتاب التوحيد مأخوذ من الكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح وقد سميته: « التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد » .

للؤلف: الشيخ عمر العرباوي

### التعريف بالتوحيد

التوحيد هو افراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وأفعالا ، والتوحيد أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده ، وأول منازل الطريق للسالك إلى الله عزّ وجلّ .

ولا يقوم صلاح الانسان إلا إذا عرف الله سبحانه وتعالى الذي يحقق للإنسان ما يحبّه ، ويدفع عنه ما يضره فالله لاشريك له هو وحده خلق الكون ، فلا معبود سواه ، والاله هو الذي يؤلّه أي يعبد محبة وإنابة ، وإجلالا وإكراما . لايطلق هذا الاسم إلا على الله سبحانه وتعالى ، وحده ويكون من اختصاصه ، ومعناه أنه لاثاني له ، فهو نفي العدد عنه ، لاشريك له ، ولاتبعيض ولاتقسيم ، ونفي الأنداد عنه والصاحبة والولد ، والأشباه والأضداد .

التوحيد هو الذي يعصم (نفس المسلم من الهلاك في الدنيا ، وينجيه من الخلود في الناريوم القيامة ، ويعتقد المسلم اعتقادا جازما أن الأفعال كلها صادرة من الله وحده ، فله التصرف المطلق التام . والتوحيد يكون محله القلب ، وعلامته الانقطاع إلى الله ، والتوكل عليه ، وأن جميع الخلق في قبضته وتحت قدرته وإرادته ، لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه ، الخلق ليس بأيديهم شيء من الأمر . لايرى المؤمن الموحد في الوجود إلا الله وحده .

عبة العبد لربه: إن محبة العبد لربه تكون على درجتين: إحداهما المحبة العامة التي لايخلو منها كل مؤمن وهي واجبة. والثانية وهي الحبة الخاصة التي ينفرد بها (العلماء) الربانيون، وأولياء الله الصالحون، والاصفياء، وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات، فإن سائر مقامات الصالحين: كالخوف، والرجاء، والتوكل وغير ذلك مبنية على حظوظ النفس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه بخلاف المحبة فإنها من أجلً المحبوب فليست من المعارضة في

شيء ، والحبة هنا مرتبطة بالخشية فكلما زادت خشيتنا من الله ازددنا تقربا منه وحبًا له وتعلقا بأوامره تطبيقا وبنواهيه انتهاء ...

اعلم أن سبب محبة الله معرفته ، فتقوى الحبة على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين ، وكلاهما إذا اجتمعا في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكال : وهنا يبدو له جمال الله وحسنه ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع مثل جمال الله في حكمته البالغة وصنعته البديعة ، وصفاته الجيلة الساطعة الأنوار التي تروق العقول وتبهج القلوب ، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله إلى عباده متواتر ، وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ سورة إبراهيم . ويكفيك أنه يحسن الى المطبع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره ، فهو في الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده ، واعلم أن محبة الله إذا تمكنت الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده ، واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته والرضا بقضائه والشوق إلى لقائه ، والانس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، وخروج الدنيا من القلب ومحبة والانس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، وخروج الدنيا من القلب ومحبة كل من يحب الله ، وإيثاره على من سواه .

فهذه هي الغاية المطلوبة والسعادة المنشودة التي بها سعادة الخلق في الدنيا والآخرة ، لا شيء أحب اليهم في الدنيا كالإيمان به ، ولاشيء أحب إلى الناس في الآخرة كالنظر إلى وجهه الكريم ، فمن أعرض عن هذا التوحيد ﴿ فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (طه) .

فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَتُ الْجَنَّ وَالْأُنْسُ إِلاَ لَيْعِبْدُونَ ، مَا أُرِيْدُ مَنْهُمْ مِنْ رَزَقَ وَمَا أُرِيْدُ أَنْ يُطْعُمُونَ ﴾ ( سورة الذاريات ) .

## اعراض المسلمين عن القرآن

 ختاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

 الألباب \* (سورة ص) .

القرآن نور وهدى للناس ينير لهم طريق السعادة . ﴿ كتاب أحكمت أياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ أوحاه الله إلى رسوله الكريم ﴿ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (سورة هود).

القرآن هو دعوة ربانية موجهة للانسانية عامة ﴿ وما أرسلناك إلا كَافَة لَلنَاسَ بشيرًا ونذيرًا ﴾ (سورة سبأ ) .

القرآن علاج القلوب المريضة المزمنة ، والنفوس المضطربة الحائرة ، والمجتمعات المنحرفة الضآلة عن طريق الحق والصواب قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (سورة يونس) سار المؤمنون على هديه فحققوا السعادة لأنفسهم في الدنيا والآخرة ، وفازوا برضوان وجنة النعيم .

هذا القرآن فيه تبيان كل شيء للناس لكيلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير ، وإنه بشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وتحذير الكافرين والفجرة العصاة المعرضين عن القرآن بأن لهم عذابا ألها .

القرآن كلمه حسن وأحسن منه ما يكشف للقلوب من العجائب لمن يلقى السمع عن طريق الفهم والإستنباط .

تناول القرآن حياة الإنسان من جميع جوانيها منذ نشأته إلى دخوله الجنة أو النار. فهو القوة الفعالة التي اعتمد عليها رسول الله صلى عليه وسلم في هداية الناس.

القرآن معجزة الدهر عجز الناس كلهم على أن يأتواعِثله أسلوبا وبلاغة وحكمة وتشريعا صالحا لكل زمان ومكان ، وإخبارا بالغيب . قال تعالى :

﴿ قبل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (سورة الاسراء).

كان الناس قبل نزول القرآن في غفلة تامة وجهالـة شنيعـة عن معرفـة الخالق إلا ما كان من بعض الأفراد القلائل ...

جاء القرآن فعرف الناس دلائل التوحيد ، وما يحب لله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته وما يستحيل عليه من أضدادها .

كانت العقول والأفكار مقيدة فلم تستطع أن تفهم ما في هذا الكون من الأسرار والحكم ، فجاء القرآن محررا لها من القيود ، وأعطى للعقل حريته في النظر والتفكير والتأمل في عجائب هذا الكون .

كان الناس قبل نزول القرآن فرقاً وشيعاً ومذاهب وأحزاباً يعبدون آلهة شتى فقال لهم القرآن ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ ، والاسلام هو دين التوحيد في هذا الوجود ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ... ﴾ (آل عران).

القرآن جاء مصححا لعقيدة التوحيد ، وبالنظام الشامل لحياة الناس في كل شأن من شئونهم ، بل في كل مايحتاجون إليه من الغيبيات ، وما تدركه حواسهم من المحسوسات سواء إتصلت بالدنيا التي نعيش فيها ، أو الحياة الأخرى التي نحن مقبلون عليها .

كلّف الله نبيّه الكريم بتبليغ هذا الكتاب المقدس للناس فبلغه كما أمر ، وطبقه على نفسه أحسن تطبيق ، وأقام على أساسه خير أمة ، وأفضل مجتمع ، وأعدل دولة عرفها الناس في تاريخهم الطويل ، فأصبح هذا الكتاب الرباني دستورا للأمة الاسلامية التي احتضنته بكلتا يديها ، كما قال الشاعر المسلم :

دستور القرآن لا ما صاغه متفلسف حنصق وفكر عبقري كم تحصدى المفلقين بيسانه كم هضز في اعجمازه من منبر شهد العدو بصدقه وجماله خير الشهادة ما أتى من منكر

هو منهج صادق إذا ما ذقت تحلو الحياة فليس أي مكدر فهو الضياء لنا وفيه حياتنا يهدي الى النجاح القويم الأنور

وإذا تأمل المسلم هذا الدستور الكامل وجده ، يأمر بعد توحيد الله ي بإقامة العدل بين الناس ومساواتهم في الحقوق والواجبات ، ولاتفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح ، ويحث على الاتحاد ، وعدم الشقاق ، ومحو الحقد والحسد من القلوب ، والتمسك بهذا الدين المتين لأنه هو الدين الوحيد لجميع الناس .

قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ (سورة الشورى).

كوّن هذا الكتاب الرباني أمة عظيمة ، وأودع بين يديها الأمانة العظمى أمانة تبليغ الرسالة الساوية إلى الناس كافة ، وإلى مشارق الأرض ومغاربها ليكونوا جديرين بعبادة الخالق المعبود .

فإذا الأمة العربية تنطلق من الصحراء بغتة ، وتبرز فجأةً على مسرح الحياة بعد خفاء مهين ، فحملت هذا النور الربّاني فبددت به ظامات الكفر والبهل المخيّم على عقول الناس .

باذا فضل المسلمون على سائر الأمم في القديم ؟ وبماذا فضل دينهم على سائر الأديان ؟ فضلتم بمعجزة الدهور ، وآية العصور بكتاب الله ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (سورة فصلت ) فإن جعلتموه - أيها المسلمون بين أيديكم كان قائدا لكم الى السعادة والحريسة وفي الدار الآخرة إلى مغفرة من الله ورضوانه ، وإن جعلتموه وراء ظهوركم رجعتم إلى الجاهلية الجهلاء وتفقدون ما بوأكم به القرآن من العزة والكرامة والسيادة والمنزلة القصوى ، ويستولى عليكم الذل والخزي في الدنيا وفي الآخرة تصيرون إلى جهنم وبئس المصير .

كيف لا يكون القرآن هكذا ؟ وإنه لكتباب الهـدى وسفر السعـادة ، وقانون الفضيلة ، ودستور العدالة في كل زمان ومكان .

لو تدبر المسامون القران وعملوا بما فيه لَسَيَرَهُمْ سعداء في أنفسهم وأهليهم ، ولو وقفوا تحت رايته لسموا سمو المجد والعلاء ، وتبوءوا مكان الشرف والعزة ، ولو أنهم حافظوا على أوامره لأضاءت لهم المسالك ، ولما اختلفوا على أنفسهم حتى أصبحوا هالكا إثر هالك يستعبدهم مالك بعد مالك ، ويذيقهم العذاب فاتك بعد فاتك .

يا معجبين بالمندنية الغربية والتقاليد البشرية فكروا قليلا فإن هذه المدنية التي اعتنقتوها لم تقدر على سعادتكم وانما يسعدكم اللجوء الى الدين الحنيف المنزل من الساء ، سار المسلمون ـ في العصر الحاضر ـ في ركاب المدنية الغربية ، ونبذوا أوامر قرآنهم وراء ظهورهم . وأطلع الله رسوله على حالة المؤمنين من بعده من خلال الغيب فشكى إلى ربه بقوله عز وجل : ﴿ وقال الرسول يارب إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ (سورة الفرقان ) شكى رسول الله على الله على ألى ربه من أن قومه الذين أرسل اليهم بانقرآن ليتلوه عليهم قد صدوا عنه وتركوه وثبتوا على تركه وهجره ، وفي شكوى النبي على الله وأبغضها اليه ، وفيه تهديد ووعيد شديدين لمهاجري القرآن بإنزال العقاب بهم .

خن المسلمين قد كان منا هجر كبير للقرآن الكريم منذ زمن طويل وان كنا به مؤمنين . بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القاطعة فهجرناها ، وبيّن القرآن لنا أصول الأحكام ، وأمهات مسائل الحلال والحرام ، ووجوه النظر والإعتبار مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح العام والخاص فهجرناها ، وبيّن القرآن مكارم الاخلاق ومضارها ، وبيّن السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس ، والسلامة من الخيبة بتدسيتها فهجرنا ذلك كلّه ، وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ، ونبهنا على ما فيه من أسرار الحكمة ومصادر النعمة لننظر كي نستفيد ونعمل فهجرنا ذلك كله ، ودعانا القرآن لتدبره وتفهمه والتفكر في آياته ، ولايتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه فأعرضنا عن ذلك مع أنّ المسلمين يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن قال تعالى :

\* وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل اليهم \* (سورة الحجر) وكذلك سنة الرسول عَلَيْكُ القولية والفعلية تالية للقرآن عاملناها عا عاملناه ...

هذا التفسير مأخوذ من مجالس التذكير للشيخ عبد الحميد بن باديس طيب الله ثراه وجعل الجنة منقلبه ومثواه .

أيها المسلمون إن العمل بالقرآن الكريم واجب وتطبيق أحكامه ، والتدبر في آياته فرض على كل مسلم ومسلمة لأنه أمر الله لعباده ، ورسالته المبعوثة إليه ، فمن لم يقرأ ويتدبر القرآن فقد استهان برسالة ربه ، واستهان بن أرسلها ، ولينظر المعرض عن كتاب الله عمن أعرض ومن يقاطع ؟ ومع من يسيء الأدب ؟ وبرسالة من يستخف ؟ انها رسالة ربه ومولاه فينبغي قراءتها بما يناسبها من الاجلال والاحترام والإنصات قال تعالى : ﴿ وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ (سورة مريم) وقد وصف الله قلوب الذين لايتأثرون بالقرآن ، ولايخشون آيات الله ، ولاتلين قلوبهم الى ذكر الله بالقساوة فقال : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴿ سورة الزمر ) .

فالويل لمن نأى عن النور الذي يهديه ويحلو عن بصيرته ظلام الشرك والكفر، والويل لمن لم يحذر ما يشقيه إذا خيم عليه ظلام الجهل فلم يعرف الحلال من الحرام فيسقط في حمأة الاثام قال تعالى: ﴿ وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون .. ﴾ (سورة الأنعام).

فالبعد عن القرآن هو عين البعد عن الله ، والبعد عن الله هو عين البعد عن الحق ، والبعد عن الحق ضلال ، والضلال هلاك . قال تعالى : ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ﴾ (سورة طه) .

أصبحت قلوب المسلمين معرضة لخطرات الوساوس والأوهام من هجرهم للقرآن ، فالذي يثبتها على الحق ويدفع عنها الشكوك والحيرة ويربطها

باليقين هو القرآن الكريم . أصبحت قلوب المسلمين معرضة للإلحاد والكفر التي تظلم منها النفوس ، وتقسوا منها القلوب فتحجب عنها الحقائق ، وتطمس عنها سبل العرفان من هجرهم للقرآن ، فالذي يزيل عنها الظلام المتراكم ويجلو عنها تلك الاصداء المتكاثفة ، ويوضح لها الحق من الباطل هو القرآن الكريم .

قلوب المسلمين معرضة للضعف عن القيام بأعباء التكاليف ، وما نحن مطالبون به من الأعمال من هجرهم لكتاب الله ، فالذي يبعث فيها القوّة والنشاط هو القرآن الكريم ، فحاجتنا الى تجديد تلاوته وتدبر آياته أكيدة جداً لتقوية قلوبنا باليقين ..

المسلمون لما هجروا القرآن أصبح لاهم لهم إلا أنفسهم ودنياهم وشهواتهم ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ (سورة الحشر) استخفوا بالدين والاخلاق ﴿ استحود عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ (سورة الجادلة).

لقد طغت الاباحة وعلا صوتها في أوساط المسلمين على كل صوت يدعو الى الله ، فضاعت الحقوق وانتهكت الحرمات ، وغلب العقوق على الامتثال ، وتخادلت الهمم ، وفسدت الأمم بإعراضها عن كتاب الله ، وهضم الغني حق الفقير ، واندثرت الفضائل ، وانتثرت الرذائل فهذه نوادي ومسارح فاتنة ، ومراقص ماجنة ، وأفاعي كأسية عارية تتلوى ، ولحوم بشرية في الشواطيء متراكة ونفوس دنيئة تتهافت على مجاري القذارة تعب منها في نهم متزاحمة ، ورجال يقفزون في حلبات الرقص كقرود لاهثة ، وزع الاسلام من لايعرفه ونبذ أوامره في سبيل شهواته ، وزع الايمان من ترك الصلاة وأصر على المعصية لينال مبتغاه ، ولم يخش غضب ربه ، وزع التقوى والصلاح من اتخذ الموتى أولياء من دون الله . هذه عواقب من ترك كتاب الله واتبع هواه واغراه الشيطان بطاعته ﴿ أَفَن يعلم أَمَا أَنزل اليك من ربك الحق كن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ اليخا من دورة الرعد ) فإلى النجا أيها المسلمون ، بادروا الى تدبر القرآن ، واسعوا ( سورة الرعد ) فإلى النجا أيها المسلمون ، بادروا الى تدبر القرآن ، واسعوا

ما استطعتم إلى فهمه ، والعمل بـأوامره ، والوقوف عنـد حـدوده ونواهيـه ، وأنيروا قلوبكم بنوره وحكمه ، واشكروا ربكم على فضله ونعمه ..

لقد آمن المسلمون الأولون وحسن إيمانهم ، فكن الله لهم في الأرض ، وأن الذي مكن لهم على قلّتهم لقادر أن يمكّن لنا إذا آمنا وحسن ايماننا . ذلك وعد الله لعباده ومن أوفى بعهده من الله ؟ ..

وأن المسلمين يتحدثون عن الاسلام صباح مساء ويعربون في كل مناسبة عن تعظيهم للقرآن واعتزازهم به ، ولكن لايقرأونه ولايقيون أحكامه ، ولايعتنون بتعاليه ، ولايوجد شيء منه في واقع حياتهم .

فاحكامه استبدلوها بقوانين وضعية أجنبية ، وتعاليمه ضربوا بها عرض الحائط وحدوده عطلوها ورموها وراء ظهورهم ، ومع هذا إنهم يعتزون بالقرآن ، فالآيات القرآنية تكتب بخط جميل أنيق تزين بها جدران المنازل ، وتعلق في رقاب الأولاد والمرضى والمصاحف الطخمة فوق مكاتب الحكام والقضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله . هل هناك تكريم للقرآن أفضل من هذا التكريم ؟

يا قومنا إن القرآن أنزل ليكون شرعة ومنهاجا لحياتنا فيجب أن نسير على هديه لاندعوا إلا بدعوته ولانعمل إلا بأوامره .

يا قومنا لم ينزل القرآن ليكون أنغاما وألحانا يتغنى به المطربون ، لم ينزل القرآن ليقرأ في مجالس العزاء على بخار السجاير ، وإنما أنزل ليحكم بيننا بالحق ، ويهدي قلوبنا الى معرفة الخالق لنعبده ونشكره على ما أولانا من النعم التي لاتعد ولاتحصى ..

يا قومنا منذ تركنا أحكام القرآن ، وابتعدنا عن أوامره العادلة ، ونحن نتخبط في الفتن ونتقلب في الفوضى ونتجرع الظلم ألوانا ، ونشرب الذل كئووسا ، والله لاخلاص لنا مما نحن فيه إلا بالرجوع الى كتاب الله ، والله لايؤمن حاكم يحكم بغيره ، والله لايؤمن قاض يقضي بسواه والله لايؤمن عالم لايبين أحكامه وينشر هديه ، ويجاهد الناس به ، والله لايؤمن من ابتغى

الخير في غيره . إذا دام المسلمون على هجر القرآن وسنة نبيهم عمد بين لابد لهم من يوم يندمون فيه قال تعالى : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خدولا ﴾ (سورة الفرقان) يوم يعض الظالم على يديه حسرة وندامة على تفريطه وعدم اتباعه للحق مع الرسول الذي أرسل اليه ، ويندم عن صحبته لخليله الذي صده عن الإيان بالقرآن بعدما سمعه ...

ومما يحزن المسلم أن يرى المسلمين يسيرون من ضعف إلى أضعف ، ومن جهل إلى أجهل ، وهم لايدرون السبب في ذلك ، والسبب واضح هو عدم تمسكهم بالشريعة الغراء وتشبثهم بالقوانين الوضعية الأجنبية هذا هو الذي أفسدهم وأورثهم الفرقة والذل والضعف .

فهناك فرق كبير بين المسلمين والإسلام ، فالإسلام يدل عليه كتابه الجامع ورسوله العظيم ، والمسلمون يدل عليهم ضعفهم وتخاذلهم وتفرقهم هذا هو الفرق بينها .

أيها المسلمون الله الله في دينكم لايفتننكم الشيطان عنه بأقوال المسرفين ، ولاتصرفنكم المدنية الغربية عن تعاليه السامية فانه ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عران) ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ﴾ (سورة البقرة).

يظهر بين الحين والحين بعض المفكرين الذين يعيشون بيننا فيقولون يجب عزل الدين عن المجتمع وأحوال المعيشة ومحاصرته داخل جدران المساجد حتى المساجد أخرجوه منها كاهو الشأن في أوربا ، وألفت في ذلك عدة كتب وألقيت محاضرات كثيرة إمعانا من هؤلاء على شل الجانب الديني حتى يأخذ طريق الضهور في مسيرته الى أن ينتهي إلى الفناء الذي يريدو نه لاقدر الله .

ولكم صور البعض الاسلام أنه دين التواكل والتكاسل وهو دين العمل والسعي الاعداد ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وهو دين العمل ﴿ وقل ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ وهو دين العمل ﴿ وقل اعملوا فسبرى الله عملكم ورسوله ﴾ وهو دين العارة ﴿ واستعمركم فيها ﴾ « ومن بات كالاً من عمل يديه بات مغفورا له » (حديث) تصور كيف يكون هذا الدين دين التواكل ودين التراخي والكسل ، واستدلوا على ذلك بالكسالى العاطلين المنتسبين اليه ، واتخذوا منهم عنوانا على هذا الدين ومثالا لأبنائه ...

وهناك قوة عالمية متحالفة فيا بينها منذ قديم الزمن تعمل على استئصال الاسلام من الوجود ، منها الصهيونية والصليبية ، والشيوعية أخيرا . كلها قوات خطيرة استهدفت الاسلام بطرق شتى ملتوية ، وأساليب متنوعة ماكرة في محو الاسلام من نفوس المسلمين ، وما دام هذا الوضع سائدا على المسلمين لايخلص الجمتع من التشويه والإنحراف والمسخ . يجب على المسلمين أن لايتركوا مكان القيادة ، وأن لايهملوا منهجها ، وان لايلهثوا وراء الأمم الضاربة في التيه والضلال ... يقول الأستاذ أنور الجندي في مقال له نشرته مجلة رابطة العالم الإسلامي : إن كل الخططات الجندي في مقال له نشرته مجلة رابطة العالم الإسلامي : وان كل الخططات سواء كانت تبشيرية أو استشراقية ، أو ثقافة غربية شيوعية كانت الوسائل فتتلاق على ضرب الفكر الإسلامي في أصالته ووحدانيته ليظل الوسائل فتتلاق على ضرب الفكر الإسلامي في أصالته ووحدانيته ليظل المسلمون يدورون في الفلك البشري الذي صاغته أهواء الطامعين وعبًاد الله التي أنزلها رحمة للعالمين ، وليبتعدوا عن الأصالة الإسلامية التي تعصم النفس والعقل لأنها حصانة نفسية وفكرة قادرة على الثبات أمام الأعاصير .

هذه العناصر كلها ـ كانت ولازالت تبث سمومها في المجتمع الاسلامي بدعوى التقدم والرقي، وساعد على ذلك الخواء الديني والفراغ الروحي ... نشأ عن هذه المباديء التي تروج في بلدان المسلمين إنحراف عن الإسلام

لأنها هزّت كيانهم وزينت لهم ما بين أيديهم من الصور البراقة ، وشوهت الحقيقة أمام أبصارهم وبصيرتهم .

ألفت الجماهير الكفر والإلحاد والنفاق ، وأصبحت تظن أنَّ ذلك أوضاع السلامية لاتخالفه في شيء وشاع في أوساطهم أن الاسلام مرن ومتطور يساير الأوضاع الاقتصادية والسياسية الغربية ، فإذا قلت لهؤلاء المنحرفين ان أحكام الاسلام لاتتبدل ولاتتغير ولاتعطل إلا لضرورة أجابوا بقولهم : إن أحكام الاسلام كانت لزمن غير زماننا ، والإسلام يفرض على المسلم أن يجارى عصره ، ويعمل بما يلائم زمانه . هذا صحيح من ناحية التقدم العلمي والتطور الصناعي الحضاري في التكنولوجيا . أما من ناحية القواعد الدينية ، والكليات الأصولية ، وأمهات الأحكام لاتتغير فإنها من عند الله ..

بدأ المسلمون ينحرفون في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد فكانوا يبررون نظام البنوك الربوية ، والشركات المساهة والتعامل معها بما حرم الله بدعوى الضرورة ، وأن الإسلام يقبل بها لأنه مَرِنَ ، وأباحوا اختلاط النساء بالرجال بدعوى أن ابتعاد المرأة عن العمل يتضرر من ذلك الاقتصاد الوطني ، وينكرون على الشريعة تعدد الزوجات ، وقطع يد السارق ، ورجم الزاني المحصن إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة الغراء .

وكم أصاب المسلمين من بلاء ومحن بسبب المباديء الغربية التي اعتنقوها ؟ وكم طعنوا في شرفهم وكرامتهم ؟ وكم أوذوا في نفوسهم بسبب إعراضهم عن الإسلام ؟ وكم لدغوا من الفرقة وعدم الإتحاد ، ومن السياسة المرتجلة مرات ومرات ـ ولكنهم لم يتعظوا ؟ أليس من شأن المؤمن أن لايلدغ من جحر مرتين ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾ ( سورة الأنعام ) ليت المسلمين يلقون السمع لكتاب الله ولسنة رسوله والني جاءهم بالهدى ودين الحق ..

أصبح المسلمون يرددون أقوالا جوفاء بلا اعتقاد ولا أعمال ، ولهذا زحزحوا عن الإسلام وكادوا يخرجون عنه قال تعالى : ﴿ يَاأَيُهَا الدَّينَ

آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (سورة الصف).

وهنا يبدو من هذا العرض أي عرض المبادي، الغربية التي غزت الأمة واضحا جلياً أنها دفعت الأمة إلى الهاوية وحققت أهدافها الإيجابية في غياب الإسلام، وهذا هو السبب الحقيقي في خروج المسلمين عن الإسلام وارتائهم في أحضان الغرب، حتى أصبحوا مجزئين بين أرجائه وتابعين له في كل شيء.

والحقيقة التي غابت عن المسلمين ، وفي مقدمتهم المسيّرون أن ليس أقوى في توثيق العرى الإجتاعية من الشعائر الدينية إذا هي خرجت من محيط الشكل إلى محيط الجوهر والروح ، وانطلقت من ظلام التقليد والجهل إلى نور المعرفة والإدراك ...

لم يبلغ المسلمون الأولون ما بلغوا من رقي وتقدم وحضارة إلا بالوحدة الإجتاعية ، والمشاركة الوجدانية ، ولم يكن لهم ذلك إلا بوعيهم للدين وقيامهم بشعائره خير قيام ، فسيرة كل واحد منهم كانت تعد مدرسة مثالية للتربية الإجتاعية الرشيدة والتهذيب الإنساني الصحيح وتنهية الحبة والمودة والتعاطف ...

الإسلام شريعة كاملة اشتملت على العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة ، فأهمل المسلمون أحكامها ، وعطلوا سلطان مفعولها ، فأدى ذلك إلى الإنصراف عنها إلى القوانين الوضعية .

الشريعة الإسلامية لها دعائم قوية وأحكام تفصيلية تجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، فأما أمر صلاحيتها فإنها تكفلت بذكر القواعد العامة في القرآن الكريم وتركت ماوراء ذلك من أحكام تفصيلية فرعية للإجتهاد بحسب ظروف البيئة والزمان إذا توافرت شروط الاجتهاد المعلومة ودعت الضرورة لتوسيع قاعدة بناء على شبيهات لها من قواعد الشريعة الغراء .

العقائد التي أشتملت عليها الشريعة يجب الإيمان بها لقيام الدليل اليقيني عليها كالتُّوحيد ، وإرسال الرسل عليهم السلام ، وإنزال الكتب ، والبعث والجزاء وما اشتل عليه اليوم الآخر إلى غير ذلك من قواعد الإيمان لكي يعود المسلمون إلى ما كانوا عليه من مجد وسؤدد . يجب عليهم أن يهموا بالناحية الروحية والفكرية ، وهذه نظرة العقلاء من المسامين منذ زمن بعيد وهم ينادون بذلك ، يجب أن يقادوا قيادة إسلامية لاقيادة عاطفية ولاتقليدية في تفكيرها ونظامها الداخل والخارج لاريب أن المسلمين اليوم في حاجة أكيدة إلى أسلوب جديد للدعوة ، وجيل جديد من الدعاة ، وقد مرت بالمسلمين فترة عصيبة توقف خلالها أسلوب الدعوة المجدى الفعال ، ولم تبق منه إلا العبارات المتكررة الجوفاء، فلا عس قلوب المسلمين ولاتحرك عواطفهم ...

نريد من دعاة المسلمين أن يبرزوا تعاليم القرآن إلى نشاط وحركة وتطبيق . لم ينزل الله القرآن زينة يوضع فوق الرفوف ، ولاتعاويذ ولاترانيم ولا أنغاما ولكنه قانون حياة وعمل قامت عليه أمم انبعثت به الى الوجود ، وما لم تتحول تعاليم القرآن إلى أعمال إيجابية وسلوك محكم دقيق فليس ثمة مسلمون ، وليست ثمة إصلاح لهذه الشعوب ...

10/11/2019

## التكاليف الشرعية العامة: منها العينية والكفائية

كيف يكون الانسان مؤمنا ؟ وما هو العمل الذي ينطلبه منه الاسلام ؟

ان العمل الذي يتطلب الاسلام من المكلف هو إيجاد الشخصية الإسلامية التي تتثل في العقيدة والأخلاق والسلوك ، ثم ايجاد الجتمع الاسلامي الذي يلتزمه المسلم فكرا وعملا ، ثم إيجاد الدولة التي تطبق الاسلام شريعة ومنهاجا ودستورا ، وتحمله دعوة هادئة لإقامة الحق والعدل في العالم ..

إن هذا العمل وما يتقيد به المسلم من أوامر الدين وما يتصل به ويتفرع عنه وما يتطلبه هو واجب إسلامي شرعا لايسقط عنه حتى تقوم السلطة التي تتولى القيام بهذه المسئولية بحيث ترعى شئون المسلمين ..

وإذا كانت السلطة غير موجودة ، فإن كل تقصير من العاملين بالاسلام هم في شرع الله أتمسون لايرفع عنهم الإثم الا المبادرة السريعة للنهسوض بتكاليف العمل للاسلام ، ومما يؤكد وجوب العمل أنه تكليفي شرعي وليس عملا تطوعيا كون وجوبه يقينيا ..

العمل للإسلام واجب لأنه مناط التكليف للناس جميعا ، يقول الله تعالى : 

إلا يها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته ، وقوله تعالى : 

إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، والسنة المطهرة يزخر بما روى عن رسول الله ويلينه من أحاديث كثيرة تحض على الدعوة الى الحق ومكافحة الباطل ومنها قوله ويلينه ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ..

العمل للاسلام واجب شرعا لأن تعطيل شرع الله في الأرض وهينة النظم والتشريعات الوضعية على المجتمعات البشرية تجعل قانون الاسلام غير صالح للحكم وذلك عكس للحقائق تماما ، ولهذا يفرض الاسلام على المسلمين العمل بشريعة الله العادلة لإقامة مجتمع اسلامي ، لتستأنف الحياة الاسلامية على قوانين الله التي أنزلت من الساء لتبين للناس عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم ونظمهم ، ولايقبل الله إلا حكم الاسلام بدليل قوله عز وجل : \* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيا شجر بينهم ثم وجل : \* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيا شجر بينهم ثم النساء ) فتحقيق الحكم الاسلامي في المجتمع واجب بذاته ، فيصير العمل به واجبا بدليل القاعدة الأصولية : « ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

الدول الاسلامية المعاصرة لم تحكم مجتمعاتها بكتباب الله ولا بسنية رسوله الكريم عَلِيْكُمْ ، وانما تحكمها بالنظم الوضعية الأجنبية ، وواجب المسلمين أن يتركوا هذه النظم ، ويرجعوا الى حكم الاسلام العبادل لأنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى يعود للإسلام القيادة والقوامة .

العمل بالاسلام واجب لمواجهة تحديات العصر، ومؤامرة أعداء الاسلام، ووقف التيارات الإلحادية، ومواجهة المادية العاتية، وزحف الايديولوجيات من كل جانب حتّى أصبحت تهدد الوجود الاسلامي بالاستئصال، والزوال. فنظرة واحدة فاحصة إلى الأوضاع التي تعيشها الأمة الاسلامية سواء في الشرق أو الغرب ـ تؤكد ضرورة قيام مجابهة إسلامية . والقيام بهذا العمل تكليفي شرعي لا يجوز السكوت أو القعود عنه ، أو التهاون فيه . فهناك أقطار إسلامية تشكو من سيطرة غير المسلمين عليها ، وهناك أجزاء من العالم الإسلامي تشكو من تسلط أحزاب إلحادية عليها .

وفضلا عن هذا وذاك فإن العالم الإسلامي يعيش في حالة ضياع وفوضى ، فوضى سياسية ، فوضى إجتاعية فوضى إقتصادية لا ترابط بين أجزائه ، يعيش تدهورا مريعا في الأخلاق والقيم ، وكذلك في الأفكار والمعتقدات . إن مسؤولية العمل بالاسلام من حيث هي واجب تكليفي

شرعيّ ، ولو كانت مسؤولية فردية شأنها شأن كل الواجبات التي يترتب عليها الثواب كا يترتب على تركها العقاب ﴿ كُلّ نَفْسَ بِمَا كُسبتُ رَهِينَةً ﴾ (سورة المدثر).

الإسلام يشرك الناس جميعا . في عملية البناء والتعمير بناء الحياة على الحق وإعمارها بالخير ، الإسلام جعل كل إنسان مسؤولا عن البذل والعطاء في حدود إمكانيته وطاقته ما دام المسلم بالغا قادرا عاقلا مما يجعل المجتمع خلية حية نابضة ، وإذا كان العمل بالإسلام واجبا فرديا ، فهو ايضا واجب جماعى ، وهذا غير قابل للجدل والمناقشة .

إن تكاليف العمل بالإسلام أكبر من أن يتصدى لها إنسان بمفرده ، فيجب أن يقضى على الإنحراف والإلحاد ، وإقامة الاسلام مكانها ، وهذا يتطلب من التكليف الجهد والإمكانيات ما يعجز عن القيام به فرد ، بل لا يقوى على النهوض به مع المكابدة والمعانات إلا بتنظيم حركي يكون في مستوى المواجهة وعيا وتنظيما . وقدرة .

إن عمل الرسول عليه في مواجهة الجاهلية وإقامة مجمع إسلامي ، واستئناف الحياة الإسلامية لدليل شرعي على وجوب الجماعة ، وهذا ما ينطق به واقع السيرة النبوية في جميع المراحل ، وعلى وجه كل صعيد فالتحديات التي تعترض سبيل الإسلام هي غالبا من سكان المعمورة ، والقوة التي تتربص به فهي كثيرة وهذا ما يفرض على المسلمين أينا كانوا تنظيم صفوفهم وتوحيدها ، فإذا كانت نياتهم صادقة فالنصر حليفهم لا محالة .

إن العقيدة الإسلامية لا تكاد تمس قلب الإنسان مسا صحيحا حتى تحدث فيه إنقلابا في المشاعر ، وفي الحياة ، وعلاقة الأفراد والجماعات على المساوات المطلقة لا فضل لأحد على أحد إلاَّ بالتقوى والعمل الصالح .

والعقيدة الإسلامية تقوم على العدالة لا تطيق البغي من أحد ، ولا ترضى بالبغي على أحد ، ولا يكاد يحس بها المسلم حتى يندفع في سبيلها

بكل ما يملك من قوة فما يطيق صبرا ولا سكوتا إلى أن يتم لـ تحقيق ما اشتملت عليه ذلك تأويل أن الاسلام عقيدة ثورية .

الذين يؤمنون بالله حق الإيمان هم الذين يجاهدون في الله حق جهاده لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الله لا تتحقق إلى أن يرفع البغي من هذه الأرض فيصبح الناس سواسية كأسنان المشط .

الإسلام يهاجم الظلم والظهلين دائها من أي كان ، وفي كل مكان وزمان . بخلاف المباديء الوضعية لا تستطيع أن تكافح المظالم بجميع أنواعها كا يكافحها الإسلام ، أو تقف بجانب المظلوم كا يقف الإسلام ، ولا يمكن لهذه المباديء الوضعية أن تصرخ في وجوه الطغاة والمتجبرين كا يصرخ الاسلام .

إن الإسلام في صميه حركة تحريرية تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في عيط الجماعة ، ولا يدخل الإسلام قلب أحد ثم يدعه مستسلما خاضعا لسلطان الأرض . فإذا رأيت المظالم تقع ، وإذا سمعت المظلومين يصرخون ، ثم لم تجد المسلمين حاضرين لدفع الظلم وتحطيم الظالم فلك أن تشك مباشرة في وجودهم ، لا يمكن أن تحمل القلوب الإسلام عقيدة ، ثم ترضى بالظلم نظاما ينبغي أن يكون إسلام أولا إسلام .

الإسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، أولا إسلام فهو مهمهة بالأدعية ، وطقطقة بالمسابيح ، وتمتة بالتعاويذ ، واتكال على أن تمطر الساء على الأرض صلاحا وحرية وعدلا ، وما كان الله لينصر قوما لا ينصرون أنفسهم ...

وإذا كان الاسلام هو الدين الذي اختاره الله لعباده بقوله عز وجل شهد الله أنه لااله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لااله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام ﴾ (سورة آل عران) هذا الدين المختار وقد بدأ بالتوحيد ، وانتهى به ، والثوحيد هو التسليم المطلق لله ، والتفويض التام له سبحانه وتعالى .

والاسلام شريعة عزج بين الدين والدنيا ، وبين المسجد والدولة ، فهو دين ودولة ، وعبادة وقيادة . إذا أراد المسلمون أن يحقوا الخير للناس ، وأن يمكنوا للدين في الأرض ، فعليهم أن يسيروا على الحجة البيضاء التي سار عليها الرسول على إلى من قبل ، إيان بالله وعمل بالاسلام متواصل ، وحبة لله ولرسول ه دائمة ، واخاء بين المسلمين متين ، دون تفريط أو افراط ، قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴿ (سورة يوسف ) .

السؤال المطروح أمام المسلمين جميعا: هل يقف المسلمون مكتوفي الأيدى حتى يصل مجتمعهم إلى عهد الجاهلية فيهدر دينهم وتذهب قيهم وأخلاقهم أدراج الرياح ؟ وقد جرفهم تيار الفساد والالحاد وظهرت جماعة منهم تحمل العداء السافر لهذا الدين الرباني ..

يجب على كل مسلم مكلف سواء كان مسئولا أو عاملا بسيطا جاهلا كان أم مثقفا أن يتحمل مسئوليته التي سيحاسب عنها يوم القيامة ، فالحاكم مسئول عن هذا الدين ، والوزير مسئول والمدير راع ، والرجل راع ، وللرأة راعية ، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن هذا الدين الحنيف ، وكل واحد من أفراد الأمة المسلمة سيتحمل مسئوليته أمام الله والتاريخ ، فالله سبحانه وتعالى سيسأل الجميع عن هذا الدين القويم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ...

إن الله لا يحب أي شريعة إلا شريعة الاسلام ، فشريعة الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والشرائع الأخرى بعكس ذلك ، وهذا ما يقوله الصادق الأمين سيدنا محمد على لاصحابه « كيف بكم إذا فسد شبابكم وطغى نساؤكم ، وتركتم جهادكم ؟ قالوا : أو كل ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله ، وأشد منه سيكون . كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟ قالوا : أو كل ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله ، وأشدمنه سيكون ، كيف كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله ، وأشدمنه سيكون ، كيف المن إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ ﴿ ( صدق رسول الله عَلَيْ المعاصرين . .

قال عليه الصلاة والسلام: لا تزال لاإله إلا الله تنفع من قالها ، وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الإستخفاف بحقها قال والمستخفاف بحقها قال والمستخفاف بحقها الله فلا ينكر ولا يغير . وقال : تركت فيكم ما ان تمسكم به فلن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وسنتي (1) .

إذا وما العمل ـ أيها المسلمون ـ ليس هناك ملجأ أو نجاة ، أو نصر أو حياة إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله . دوروا أيها المسلمون حيث دار الاسلام .

المؤمن الحقيقي لا يبطره النصر إذا انتصر ولا تقنطه الهزيمة إذا انهزم ، إنّ الهزيمة والنصر يستفيد كل منها وكلاهما يدخلان الجنة . ان انتصر المسلمون فالفضل لله وحده ، وإن انهزموا بحثوا عما قصروا فيه من طاعة الله أو مخالفته ولا تكون الهزيمة للمسلمين إلا إذا فرطوا في شيء مما أمرهم الله به ، أو عطلوا حدا من حدوده ، ولم يتوبوا ، ألم تضق الأرض بالمسلمين بما رحبت في غزوة حنين وقائدهم رسول الله عليه حين ظنوا ان النصر إنما هو في جانب الكثرة ، واعجبوا بكثرتهم فلم تغن عنهم من الله شيئا لولا أن تداركهم الله برحمته الواسعة ، وكذلك زلزلوا في غزوة أحد لأنهم خالفوا عنائم مع النص ، ولهذا أدبهم الله تأومر رسول الله عليه واجتهدوا ولكن لا اجتهاد مع النص ، ولهذا أدبهم الله تأديبا أدركوا بعده قيمة مخالفة أوامر الرسول على عواقب ذلك الخلاف ...

رَسَمَ النبي عَلِيْكَ لأصحابه ثلاثة مشاعر انطبعت عليها قلوبهم ، وبهذه المشاعر الثلاثة ظلت راية الإسلام مرفوعة : المشعر الأول هو أن ما جاء به عَلِيْكَ هو الحق ، وما عداه هو الباطل ، وأن رسالته أكمل الرسالات ، ومنهجه أفضل المناهج ، ونظام شريعته أحسن النظم فهي التي تحقق السعادة للناس أجمعين ، المشعر الثاني : إن المسلمين ما داموا أهل حق وما داموا حملة رسالة النور ، وما دام بينهم هدى السماء لارشاد الناس فيهدونهم

<sup>(1)</sup> من خطبة الوداع عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ( رواه مسلم ) .

إلى الخير والى سواء السبيل فلا بد أن ينالوا سعادة الدارين .. المشعر الثالث : ما دام المسلمون مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم يؤيدهم بروح منه إذا تخلى عنهم الناس ، ويدفع عَنْهُمُ إذا أعوزهم النصر وهو معهم أينا كانوا وإذا لم يكن معهم جند الأرض فينزل عليهم المدد من الساء . اللهم المدد من الساء .

ولما أخذت هذه المشاعر الإيمانية بقلوبهم إعتزوا وانتصروا في كل ميدان ولما ضعفت في نفوس المسلمين خفت أصواتهم واهتز يقينهم فضعفوا عن مقاومة أعدائهم ...» (1)

<sup>(1)</sup> للتوسع راجع رسالة التعاليم.

# ماذا يكون ايمان المكلف ؟ وما هي الوسائل التي يستعملها ليكون مؤمنا ؟

الوسائل التي يعرف الانسان بها ربه متعددة ومتنوعة ، منها : النظر في خلوقاته ، ( بالعقل المجرد من الهوى ) أو بنور يقذفه الله في قلب المؤمن لا يقدر على دفعه ، أو بالتقليد ( وهي أسوأ الطرق وأفسدها ) التوحيد هو أساس الطاعات ونبراس العبادات ، وكلمته الطيبة الدالة عليه ، وهي : لااله إلا الله انها مقصورة على ألوهيته وحدها ، فكل مخلوق يجب عليه أن يعبد الله ويطيعه وحده لا شريك له لأنه هو النافع والضار على الاطلاق ، وهو خالق كل شيء ، وكل من لا يكون نافعا ولا ضارا فليس بخالق يستحق العبادة لأن العبادة هي الطاعة والخضوع والانقياد لله وحده سبحانه وتعالى .

أما الكلمة الطيبة \_ وهي لاإله إلاالله \_ قد دلت على ألوهيته الثابتة له تعالى ثبوتا مسترا ، وقال حجة الاسلام الغزالي في باب « الصدق » من ( الاحياء ) « كل ما تقيد به العبد فهو عبد له ، كا قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا » وقال نبينا محمد عليه السلام : يا عبيد الدنيا » وقال نبينا محمد عليه السلام :

« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، وعبد الحلة وعبد الخميصة »(1) ، وكل من تعلق قلبه بشيء فهو عبد له ، قال تعالى : ﴿ أَفُرأَيتُ مِن اتّخذ الله هواه ﴾ ( سورة الجاثية ) وإذا تبين لك دلالتها على جميع مراتب التوحيد ظهر لنا أن الشارع لأمر ما جعلها مفتاحاً للدين ومهداة الانام ،. وفي حديث أخرجه ابن النجار عن دينار عن أنس : أنه عليه الصلاة والسلام قال :

« لاإله إلا الله دالة على الله تعالى من قالها مخلصا استوجب الجنة » وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله يَنْ « اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لااله إلاالله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » ، وحديث يشهد أن لااله إلاالله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » ، وحديث

<sup>(1)</sup> رواه احمد وابن ماجه والحاكم من حديث صالح بن صالح .. ورمز السيوطي إلى صحته

البطاقة أشهر من أن يذكر وكذلك الحديث القدسي المروي عن علي الرضا عن ابائه عليهم السلام: « وجاء من كان آخر كلامه من الدنيا لااله الاالله دخل الجنة بلا حساب » وما هو الفرق بين ذلك وبين من قالها ولم تكن أخر كلامه في الدنيا.

أجمع المسلمون على معرفة الله تعالى وان اختلفوا في الوسائل شرعا وعقلا أما النظر في معرفة الله تعالى لا وقف بين أهل الاسلام لوجوبه ، لأنه أمر يتوقف عليه الواجب فهو واجب شرعا كا رأى الصحابة (ض) ، وعقلا ان كان عقليا كا هو رأي المعتزلة لئلا يلزم تكليف الحال .

أما كون النظر الذي يتوقف عليه التوحيد ليس ضروريا بل هو نظري ومحل الخلاف في وجوب النظر في أصول الدين وعدم وجوبه في غير معرفة الله تعالى أما النظر فيها فواجب إجماعا كا ذكره سعد الدين التفتزاني ورجّح هذا القول الإمام الرازي والآمدي وقال بعض العلماء في ذلك: إن المطلوب هو اليقين لقوله تعالى عز وجل لنبيه عَلِينَة : « فاعلم أنه لاالله الاالله » وقال أيضا للناس : « اتبعوه لعلكم تهتدون » . ولا يتم اليقين إلا بحصول النظر ولهذا لم يجوّز بعض العلماء التقليد في الأصول والبعض منهم أجازوه لكن بشرط العقد الجازم لأنه عليه الصلاة والسلام كان معتقدا لمضونها على وجه الإدعان ، وعدم كونه معتقدا لها احتال عقلي .

والذي أوجب النظر من المحقين لم يرد به النظر عن طريق المتكلين بل صرح بعضهم أن المعتبر في النظر هو طريق العامة ، ويكفي دليلا على صحة إيان المقلد . كان رسول الله على يكتفي هو وأصحابه من عوام العجم وأجلاف العرب بمجرد الإقرار بالشهادتين ولو كان الاستدلال فرض لأمروا به بعد النطق وللقنوه لهؤلاء الأجلاف كا كانوا يلقنونهم الواجبات الشرعية ولم ينقل أحد من الصحابة أنهم أمروا ممن دخل في الاسلام بالاستدلال وترديد النظر ولاسألوه عن دليل تصديقه ولاأرجأوا أمره حتى النظر .

فلو كان النظر واجبا على الأعيان ولو إجماليا على طريق العامة لما اكتفى النبي على من أولئك العوام والأجلاف بمجرد الإقرار، لأن النبي وأصحابه لا يقرون أحدا على ترك الواجب من غير عذر. إذ أن المقلد غير أم على ترك النظر بل إيمانه ثابت وصحيح ويشهد لذلك ما قاله النبي على لأسامة بن زيد « عند اعتذاره عن قتل » مرذاس بن نهيك » من أهل فدك وغيرهم من الأخبار الكثيرة قال عز وجل : ﴿ فَمَن يَرِدُ اللهُ أَنْ يَهِدِيهُ يَشْرِحُ صدره للاسلام ﴾ وقد روي مرفوعا أنه على من عن شرح الصدر فقال : « نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح صدره »(1) . فصرح أنه نور لا يحصل من دليل وإنما يقذفه الله تعالى في قلبه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال .

وقد صرح بعض المحققين بأن توحيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو علم ضروري وجدوه في أنفسهم لم يقدروا على دفعه .

ومن أهل الفطرة من وجد فيه الايمان كذلك بل قد صرحوا بأن الايمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه فكم من آمن بلا دليل . وقال الامام الغزالي حجة الاسلام في كتابه « فيصل التفرقة » ومن أشد الناس غلوا ونكراً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف الأدلة الشرعية بأدلتنا التي حررنا بها فهو كافر ..

فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ، ثم جعلوا ما تواترت به السنة وراء ظهورهم ، وظهر في عصر الرسول على وعصر الصحابة باسلام على طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الأوثان ولم يشتغلوا بتعلم الدلائل ولو اشتغلوا بها لم يفهموها ومن ظن أن الايمان بالكلام والادلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد أبعد النجعة بل ان الايمان نور يقذفه الله في قلب عبده عطية وهداية من عنده تارة بسبب رؤيا في المنام ، وتارة بشاهدة حال رجل متدين سرى نوره اليه عند صحبته ومجالسته ، وتارة بقرينه حال .

<sup>( 1 )</sup> أخرجه ابن أبي حاتم ، رواه عبد الرزاق

فقد جاء أعرابي الى رسول الله عَلَيْ جاحدا منكرا فلما وقع وجهه على طلعة النبي عَلِي الله الله وغرته الغريرة السنية فرآها يتلالاً منها نور النبوة ، قال : والله ما هذا بوجه كذاب ، وسأله أن يعرض عليه الاسلام ، فأسلم . وجاء آخر فقال : أنشدك الله بعثك الله نبيا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بلى اني والله ، الله بعثني نبيا . فصدقه بيينه وأسلم . فهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى ..

ولم يشتغل أحد بالكلام وتعلم الأدلة بل كانت تبدو أنوار الايمان بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد وضوحا واشراقا بمشاهدة تلك الأحوال العظيمة كتلاوة القرآن وتصفية القلوب. ليت شعرى من نقل عن رسول الله على أن الصحابة احضار أعرابي ولقنوه الدليل على أن العالم حادث لأنه لا يخلو عن الأحداث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث. وان الله عالم بعلم وقادر بقدرة كلاهما زائد عن الذات الى غير ذلك من رسوم المتكلمين ..

بل كان لا تنكشف ملحمة إلا عن جماعة من أجلاف العرب أو غيرهم يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الأسرى يسلمون واحدا واحدا بعد طول الزمان أو على القرب منه . وكانوا إذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صنيعتهم لرعاية الغنم أو غيرها ، لست أنكر أنه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان في حق بعض الناس ، ولكن ذلك ليس بقصود عليه وهو نادر . وساق الكلام الى أن قال والحق الصريح ان كل من اعتقد ان ما جاء به الرسول عليه وما اشتمل عليه القرآن فهو الحق اعتقادا جازما فهو مؤمن وان لم يعرف أدلة .

فالايمان المستعار من الدلائل الكلامية ضعيف جدا مشرف على التزلزل لكل شبهة بل الايمان الواضح ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا وأثر السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن لا يمكن العبارة عنها ـ انتهى ـ

#### لا تكليف إلا بشرط العقل

العقل في الاسلام له دور فعال في الإيمان بالله عزّ وجلّ ، وفي الحياة ونظامها ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحثُّ المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها على إهماله ...

ولقد حدّد الإسلام دور العقل ، فن وظيفته أن يفهم الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد عليه في في في الأنفس والآفاق .

العقل ليس أصلا لثبوت الشرع ، فإن الشرع منزّل من عند الله ثابت بنفسه . سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا إلا أنّنا محتاجون إليه حتى نعلمه بعقولنا ، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع صار علما ، وإذا لم يعلمه كان جاهلا . والمنقول الصحيح من الآيات والأحاديث لا يعارضه العقل كسائل التوحيد و (عقائد ) صفات الإله ، والنبوات والمعاد والرسل عليهم السلام . لا يخبرون بمخالفة العقل ، وأنما يخبرون بما عجز عنه ، وليس دور العقل أن يكون حاكا على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان ، والقبول والرفض بعد أن يتأكد من طريق صحيح ...

إن الاسلام دين العقل بمعنى أنّه يخاطبه بمقتضاه ومقرراته ، ولا يقهره بخارقة مادية لا مجال فيها إلى الاذعان ، ويخاطب العقل بمعنى أنّه يصحح له مناهج النظر ويدعوه الى تدبر دلائل الهدى وموجبات الإيان والنظر في الأنفس والآفاق ، ويخاطب العقل بمعنى أنّه . يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته ، ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه ، فاذا وصل العقل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات ، ولم يعد أمامه إلا التسليم بها فهو مؤمن ، وعدم التسليم بها فهو كافر .

العقل ميزان صحيح غير أنّك لا تستطيع أن تـزن بـه أمـور التـوحيـد والآخرة وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية وكلّ ما وراء الطبيعة ...

وإذا تبين ذلك ، فلعلّ الأسباب إذا تجاوزت في الاتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا خرجت على أن تكون مدركة فيتيه العقل في بيداء الأوهام ، وينقطع فإذا التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب ، وهذا معنى ما نقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « العجز عن الادراك إدراك » ويقول ابن خلدون التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب .

سأل دعلب الياني عليا - كرم الله وجهه - هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين فأجابه: أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال دعلب: وكيف تراه ؟ قال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه العقول بحقائق الإيمان ، قريب من الأشياء ، غير ملامس ، بعيد منها غير مباين لها ، متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، بصير لا يوصف بحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقة ، تعنو الوجوه لعظمته وتجل القلوب من مخافته . وقول الإمام الهاشمي - كرم الله وجهه - لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه العقول بحقائق الإيمان » إشارة إلى أن الادراك ليس إدراكا عقليا مباشرا ، وانما هو إدراك لما يقع في الشعور والحس من إيمان لا يدرك بالعقول .

ووظيفة العقل هي إدراك ما يقع له من مظاهر الوجود ، وقد ينتج الإدراك معرفة ، ولكن الايان أكبر من الادراك ، وأعلى من المعرفة . وسئل الصديق الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بم عرفت ربك فقال : عرفت ربي ، ولولا ربي ما عرفت ربي ، فقيل له وهل يتأتى لبشر أن يدركه ؟ فقال العجز عن الإدراك إدراك ويعلق العز بن عبد السلام على هذا الخبر بقوله : « ومعنى هذه الإشارة الصديقية : إن الحواس الخسة التي هي آلات الإدراك لسائر الحسوسات لا وصول لها لإدراكه فإذا علمت أن الحق سبحانه منزه عن إدراك الحواس لكن ذاته وصفاته لعجزها عن إدراكه ، فقد عرفت الحق ... ربحا يفهم من القول : بأن العجز عن الإدراك إدراك أن الإيان المستولد من العجز عن الإدراك إيان باهت وأنه ليس بثيء والحق أن العجز عن الحقيقة الكبرى حقيقة الوجود العليا ليس هو العجز الذي يعقبه اليأس و يتبعه القنوط ، وإغا هو إلهام

روحي ، ومن أجل هذا كان الإيمان بالله عز وجل لا يرتاد إلا النفوس التي حلّ بها الطهر وزكاها العلم ، ولا يكون إلا في النفوس التي خلت من الشك والريب ، وسلمت من الزيغ ...

الاسلام يطرح العقيدة على العقل على أساس النظر والفكر ليستقر الإيمان في نفس الخاطب، وجذور هذه العقيدة ضاربة في الكون والنفس والبشر ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿ ( سورة فصلت ) .

كا هي مودعة في الكتاب الكريم ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴿ وورة البقرة ) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَكْرَى لَمْنَ كَانَ لَهُ قَلْبُ أَوْ القَى السمع وهو شهيد ﴾ (سورة ق ).

إنّ الايمان بالله عز وجل وما اشتل عليه قضية خطيرة قضية تحديد وقة عليا تستوعب النزمان والمكان والانسان قضية تحديد حياة أخرى لا تقاس بملايين السنين إنه الخلود ، ومن تسنى له أن يخوض هذه القضية الكبرى ـ أي قضية الايمان ـ عقليا فيغدُو مؤمنا حقا ويكون قد مرّ بتجربة فكرية أكتسبته مرانا رائعا على التجرد من العقائد الزائفة ، ومن شأن هذا المران أن يطبع العقل الانساني بطابع التثبت والاتزان ، والمؤمن الذي يراقب الله بحذر من التسرع قال الله عز وجل : ﴿ ولا تقف ما ليس ملؤولا ﴾ (سورة الاسراء) فإذا أمن الناس بالحقيقة الكبرى إيمانا عقليا وأمنوا برسوله وكتابه إيمانا عقليا أليس من المعقول أن يسلم العقل فيا تعجز عنه حواسهم الحسيّة من النصوص الواردة من القرآن والحديث في الجنة والنار والملائكة والشياطين ؟ سيّا وقد قبلوا الأصول الكبرى عن طريق العقل ، وهذه التفصيلات الغيبية محدودة في النصوص الصحيحة ..

لقد عرض الله قضية الايمان على العقبل ، وأخذ بيده إلى الكون ، وخاطبه بالبرهان . ولكن المؤمنين غافلون عن حقيقة إيمانهم ، فأصبحوا لا يستخدمون عقولهم في معرفة العقيدة حتى يعرفوها معرفة جيّدة ،

وكلما أمعنوا النظر والتفكر في الكون والخلوقات المشاهدة إلا وازدادوا إيمانا بالله عز وجل ، وعلما به ، وخشية منه ، ولكن لا يبحثون عنها بدعوى أنها مقدسة لا تمس ، أو بدعوى أنها تتعالى عن العقول ، ولو قدر الناس حرية العقيدة الدينية لما تململوا من البحث والنقاش فيها ، وهذا النقاش ليس من الجدل المحظور التي وردت فيه الأحاديث الشريفة بالنهى عنه .

قضية العقيدة خطيرة جداً لأن خطأها يطبق على الإنسان طول العمر ، وفي ظلمات القبر ، ومن بعد ذلك يأتي البعث والحساب في عالم الخلود .

كيف لا يفكر الانسان في قضية المعاد ؟ وإننا نرى الموت تقصم رقاب الجبابرة والطغاة والظلمة الذين لم تزل قلوبهم عن الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن الضياء إلى ظلمة اللّحد ، ومن ملاعبة النساء إلى مقاساة الموام والديدان ، ومن الانس إلى وحشة القبر ، ومن صحة الذات وتنعمها إلى تشويهها وتمزقها ...

فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر بالبقاء ، وسبحان من جعل الموت مخلصا للأتقياء ، والقبر سجنا للأشقياء ..

من كان الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقرّه ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنّة أو النّار مورده ، كيف لا يفكر في قضية البعث والحساب ؟ كيف لا يذكره ولا يستعد له ، ولا يتدبر في مصيره ولا يهتم به ؟ كيف لا يعد نفسه من الموقى ، وهو يرى كل يوم يحمل إلى القبور من أهله وذويه وأقربائه وأصدقائه . قال رسول الله علينية : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » (1) وقساة القلوب يغفلون عن الموت حتى يهجم عليهم فجأة ، وإذا ذكروهم به نفروا منه ، هؤلاء هم الذين قصدهم القرآن بقوله : فبأة ، وإذا ذكروهم به نفروا منه ، هؤلاء هم الذين قصدهم القرآن بقوله :

<sup>( 1 )</sup> رواه احمد وابن ماجه والحاكم والترمذي قال : حديث حسن . عن شداد بن أوس

بذلك اليوم الموعود ينتفع الانسان من استعمال عقله في تثبيت الايمان في قلبه وصيانته ، ولكن ذوي العقول الممتازة العارفين بالله هم البذين يستطيعون مجاهدة الأهواء . وأخلص مراتب التوحيد التي بنيت على النظر والاستدلال كا يقال ...

إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد الكفر جَحْدُ الحقّ والحقّ هو الله سبحانه وتعالى ، فن طلب الحق خاليا من الغرض والهوى فقد بريء من الكفر ..

أما المغضوب عليهم والضاّلون ، فهم ممن وصفهم القرآن بقوله : 

« وجحدوا بهاواستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ (سورة النهل )
وقال أيضا : ﴿ فَإِنْهُم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله

عجحدون ﴾ (سورة الأنعام ) .

### من غمرة العقل معرفة الله الضرورية والمكتسبة

من أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته وعلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:

« العقل تلاثة أجزاء : جزء معرفة الله ، وجزء طاعة الله ، وجزء طاعة الله ، وجزء الصبر عن معصية الله »( 1 ) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء ، وماله العفة ، وثمرته العلم » .

فعرفة الله العامة مركوزة في النفس وهي معرفة كل أحد أنه مفعول وأن له فاعلا فعله ونقله .

وأما معرفة الله المكتسبة ، فعرفة توحيده وصفاته ، وما يجب أن يثبت له من الصفات وما يجب أن ينفى عنه ، وهذه المعرفة هي التي دعت اليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قالوا كلهم : قولوا لاإله إلا الله ، ولم يدعوا إلى معرفة الله تعالى ، بل دعوا الى توحيده ، وهذه المعرفة هي المكتسبة ، وتكون على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول: لا يكاد يدركه إلا نبي وصديق وشهيد ومن داناهم وأنها تكون بالنور الالهي بحيث لا يعتريه شك كا قال تعالى: ﴿ إِنَمَا المؤمنونِ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ (سورة الحجرات).

والوجه الثاني: يدرك بغلبة الظن ، أعني الظن الذي يفسره أهل اللغة باليقين كا قال تعالى: ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ﴾ (سورة البقرة ).

الوجه الثالث: يدرك بخيالات ومثل وتقليدات فيقول الله في حق هذا الصنف من الناس: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (سورة يوسف).

<sup>1 )</sup> رواه أبو نعيم عن أبي سعيد مرفوعاً ـ وفي اسناده ـ سليمان بن عيسى ـ وضاع

فالوجه الأول يجري مجرى ادراك الشيء من قريب ولذا قال الله في حقهم: ﴿ إِن فِي ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿ ( سورة ق ) والثاني يجري مجرى إدراك الشيء من بعيد ، وقد تعتريه شبهة لكن تزول بأدنى تأمل كا قال تعالى : ﴿ إِن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ ( سورة الاعراف ) .

الثالث يجري مجرى من يرى الشيء من وراء ستر من بعيد فلا ينفك من شبهات كا أخبر تعالى عن هذه حالته بقوله: ﴿ إِنْ نَظْنَ إِلا ظَنَا وَمَا نَحْنَ مُسْتَيْقَنِينَ ﴾ (سورة الجاثية ).

ولأجل معرفة الله على الحقيقة يجب أن يتخلص من آفات الشرك ، قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (سورة يوسف ) وقال تعالى : ﴿ قل الله مخلصا لله الدين ﴿ (سورة الزمر ) ، وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ (سورة النينة ) ، وقال تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ (سورة الزمر ) ، وقال عليه الصلاة والسلام :

« من قال لاإله إلا الله مخلصا دخل الجنة »(1). وغاية معرفة الانسان ربه أن يعرف أجناس الموجودات وجواهرها وأعراضها الحسوسة والمعقولة ، ويعرف أثر الصحة وأنها محدثة وأن محدثها ليس اياها ولا مثالها بل هو الذي يصح ارتفاعها مع بقائه تعالى : ولا يصح بقاؤه وارتفاعه ، وبهذا النظر قال أبو بكر الصديق (ض) « سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » ، بل لهذا قال عليه الصلاة والسلام :

« تَفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله »( 2 ) .

<sup>1)</sup> رواه البزاز عن ابي سعيد ـ صحيح ـ

<sup>2)</sup> رواه إبو نعيم في الحلية ـ عن أبي هريرة ـ وهو حسن ـ

ولما كانت معرفة الله تصعب على كل إنسان لقصور فهمه جعل له من نفسه وبدنه عالما صغيرا أوجد فيه ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر ، وفي الليل أو في النهار ، فان نشط وتفرغ الى العلم نظر في العالم الكبير ليعزز علمه ويتسع فهمه وعقله وإلا فله مقنع بالمختصر الذي معه ، ولذا قال الله عز وجل : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ( سورة الذاريات ) .

قال ابن الخطيب في تفسير هذه الآية : لو تأملتم في أنفسكم لوجدتم العجب العجاب ، أنظروا مثلا كيف أنشأكم ابتداء من طين ، ثم كيف خلقكم من نطفة في قرار مكين ، بل أنظروا إلى النطفة نفسها ، وكيف يتكون منها الجنين الذي لا يتكون إلا من الاتحاد بين جرثومة الذكر وبويضة الأنثى وبذلك تتكون الخلية ، يحدث انقسام بينها إلى خليتين ، ثم انقسام آخر لكل من الخليتين ، ثم آخر للمنقسمين ، وآخر ، وآخر ، وهكذا دواليك إلى أن يصل العدد إلى أربعين خلية من الخلايا ، حتى يزيد مجموع الخلايا التي يتكون منها الانسان الواحد عن سكان الكرة الأرضية أكثر من ألف مرة . وكل خلية من هذه الخلايا تعيش بمعزل عن هذه الخلايا كل منها بثابة مصنع للانتاج . فنها ما ينتج الشعر ، ومنها ما ينتج الأظافر ، ومنها ما ينتج العظام ، ومنها ما ينتج الدم وهكذا ...

ومتى نضجت هذه الحلايا ، واكتمل نموها ، تخصص كل منها في تكوين نوع واحد من الأنسجة والأعضاء .

ومن هذه الخلايا ما ينتج الجهاز العصبي النبي يتوقف عليه إيصال الرسائل من الحواس والأعضاء الختلفة إلى المخ، ومن المخ تنتقل إلى الرسائل التي هي بمثابة أوامر وأحكام إلى العضل والأطراف التي تتحرك بموجبها تبعا للظروف الحيطة بالإنسان وإلى الغدة الجمة ، فتفرز سائلا معينا وفقا للحالة التي يجابهها الشخص كالدموع واللعاب .

مثال ذلك : إذا أبصر إنسان لصا أمامه بيده خنجر : فإن الجهاز الشخصي يوجه إلى المخ إشارة بذلك الخطر الحدق ، فتتلقى الجوارح من

المخ إشارة بما يجب اتباعه وقد يشير المخ تبعا لسلوك شخص الإنسان بالفرار من اللص ، أوبالهجوم عليه ، وانتزاع الخنجر من يده ، أو بمبادرته بطلقة من مسدس ، أو ضربة من عصا ونحوها على أن الزمن الذي تستغرقه هذه الرسائل الذاهبة والآتية \_ يدق على أي آلة أو أداة لا سلكية لا يتجاوز ذلك الزمن إلا جزءا من مائة جزء من الثانية الواحدة . فعلاقة الحواس بالمخ علاقة ثابتة ما ثبت الوعي والإدراك اللذان يتفرع منها التمييز والتصور والذاكرة ، والتعليل والطموح ، وإدراك الهدف .

ولا يخفى ما في خلقة المخ من أعاجيب وغرائب ، فمن أعجب الأعاجيب إختزان العلوم والمعارف والمدارك والمحفوظات ، واستخراج ما يريد من ذلك من سجلاتها المرتبة المبوّبة في ظرف ربما لا يتجاوز ارتداد الطرف فبواسطته وذبذباته يعجز اللسان عن وصفها ويضيق الجنان عن الإحاطة بها .

هذا وقد دلً الفحص الجهري على أن عدد الخيوط العصبية في المخ يتجاوز عشرة آلاف مليون .. كل واحد منها تدب فيه الحياة ، ويحمل وظيفة عضوية يؤديها على أكمل وجه . وعلى هذا المنوال تؤدي أجسامنا \_ عا احتوت عليه من أعضاء \_ وظائفها ذات الأهداف المتباينة بغير وعي منها ، الأمر الذي يدل دلالة قطعية على أن هناك إرادة عليا تسيّرها وتوحّهها .

ولو لم يكن في بديع صنع الإنسان: سوى أنه يأكل الطعام، ويشرب الشراب في مدخل واحد ثم يخرج كلاهما من مخرج منفصل عن الآخر. لكفى ذلك عجبا. وناهيك بما يفعله الجسم بالطعام والشراب حين بهضها ويأخذ أطايبها ثم يلقى بنفايتها بعد أن يستنفد وقوده، ويأخذ حاجته ويستوعب كفايته .... فتبارك الله أحسن الخالقين ....

ولو تأملتم حواسكم لوجدتم أعجب العجاب . أنظروا إلى حاسة اللمس وكيف أنكم تستطيعون بها الفرق بين الناعم والخشن ، والبارد والحار ، واللين والرحو ، وانظروا أيضا الى حاسة الشم ، وكيف تستطيعون بواسطتها معرفة زكي الرائحة من رديئها وطيب النهكة من فاسدها ، وانظروا أيضا الى حاسة الذوق ، وكيف تستلذون بواسطتها على تذوق الأصناف والطعوم ومعرفة الحلو والحامض ، والمر والمالح . وكذلك البصر وانطباع المرآة عليه وانعكاسها على صفحة المخ لتترك أثارها . وكذلك السمع ، وانقلاب المسموعات إلى مفهومات وانطباعها في حافظة المخ لتزودكم به وقت حاجتكم اليه . وهكذا سائر الأعضاء بما وهب لها الله تعالى من مزايا يضيق الخاطر عن حصر فوائدها ومنافعها .

فإذا ما فكر الإنسان في خلقة نفسه ، ودقة حواسه ، وتأمل هذه الآيات والأدوات التي صاغها الخلاق العلم ، وبرأها المدبر الحكم .

وهل يستطيع الإنسان بما أوتي من علم ومال ، وجاه وسلطان أن يستعيض عن أحدها لو سلبها أو أن يردها بعد تلفها ، أو أن يفهم كنهها ، ويعرف سر تركيبها .

حقا لو تأمل الإنسان بعض ذلك لما وسعه إلا أن يقول .. ﴿ وفي أَنفُكُمُ أَفِلًا تَبْصِرُونَ ﴾ .

ومع هاتيك الدلائل المتظاهرة على وجود الله تعالى واستناد عالمنا في نشأته على قدرته جل جلاله . ومع إطراد البراهين على أن الدين حق وأن تعاليمه مناط الرشد ، وطوق النجاة . ومع ذلك كله فبين الحين والحين نسمع أمرأ مهزوز الرأي ، والضير يهرف بما لا يعرف ويظن الناس أن من أعلن الكفر بالله واليوم الآخر إنَّه في عداد العباقرة ذلك أن الطريقة التي تكوَّن بها الجسم ، والتي يحيا بها آنا بعد آن أروع وأبدع ألف ألف مرة من أعظم المنجزات ، والكشوف التي عرفناها في هذا الزمن وغيره .

# البحث عن معرفة الله سبحانه وتعالى

هو علم أصول الدين وهو أشرف العلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة الى فقه الفروع وحاحة العباد الله فوق كل حاحة ، لأنه لا حياة للقلوب الا ععرفة ربّها ويأسائه الحسني ويصفاته وأفعاليه ، ومن المحال أن تستقل العقول عِعرفة ربّها على التفصيل ، ولهذا بعث الله الرسل معرفين به وداعين إليه ، ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين ... ومن الأسباب الموصلة الى معرفته تعالى هو هذا الوجود الذي تمخر بنا سفينة الحياة عبابه ، وتنقلنا بين أغواره وشطأنه ، وتتدافع بنا في حكونه واضطرابه . هذا الوجود أغرى الإنسان منذ استهل في الحياة بالنظر إليه ، والتأمل فيه والبحث عن أسراره الكامنة في كل كائن من كائنات الوجود . مع أن الوجود ، كتاب يستطيع كل إنسان أن ينظر فيه ، وأن يقلب صفحاته إلا أن كثيرا من الناس عرّون بآيات هذا الكون دون أن يصل شيء منها إلى عقولهم ، ودون أن تحرك فيهم شعبورا ، وتثير عناطفة ، قبال تعنالي : ﴿ وَكَأَيُّن مِن آية في المهوات والأرض عرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ ( سورة يوسف ) . وقد رأى المعرّي أن الحياة حين تدب في الكائن الحي تكون أشبه بالدخان ، ثمَّ تشتد فتكون نارا . ثم تخمد فتصبر رمادا هكذا يقول:

تبدأ ضئيلة خافتة ، ثم تقوى شيئا فشيئا حتى تبلغ غايتها ، ثم ينتهى أمرها إلى الخود فتكون رمادا ...

في هذا السبيل حشدت الإنسانية كل ما تملك من قوى الإدراك لكشف الطريق إلى تلك الحقيقة . كانت المهمة الأولى رسالات الرسل ، ودعوات الأنبياء ، فما كانت تلك الرسالات إلا تصحيحا لعقيدة الناس في الإله أو شرحاً لها في المحصول الذي خلفه العلماء في مختلف الأمم في جميع الأجيال من المذاهب والأراء التي تدور حول الإلهيات وما يتصل بها .

وسائل البحث عن الله سبحانه وتعالى العقل ، فهو الرائد بمسالك الطريق الدانة على الله ... وما الإنسان إلا بهذا العقل الذي اختصه الله به

وكرّمه، ورفع به منزلته بين انخلوقات وجذا العقل قد استأهل أن يكون خليفة الله في الأرض وأنه يرى في نفسه القدرة على حمل الأمانة التي عجزت عن حملها السبوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ... والعقل الذي يحمله الإنسان هو سلاح ذو حدّين قد يكون مصباحا يضيء أو شهابا يحرق أو يحترق يستطيع العقل أن يعرف الله معرفة واضحة إذا وقف من هذا الوجود موقف المتأمل البصير الذي يفرق بين الحق والباطل، ويستدل على الخالق بالمخلوق فتلك هي وظيفة العقل في التعرف على الله، وجذا العقل المتزن الرشيد عرف العارفون ربهم وتعرفوا عليه وآمنوا به ..

كيف يبحث الإنسان عن معرفة الله في هذه الكائنات ؟ لهذا الوجود الحيط بنا وجهان ، وجه ظاهر يلقاه المرء بحواسه ويتجاوب معه بشاعره ، ووجه آخر خفى لا يقع في مجال الحس والمشاهدة فلا يستجيب لدعوة الحواس ، ولا يكون في متناول العقل ، وإنما يحس به الإنسان ببصيرته ...

هذا الوجود بوجهيه الطاهر والخفي قد شغل الإنسان بالبحث منذ برز إلى الوجود عن مالك هذا الوجود ومدبّر أمره ومصرف شؤونه . وفي الإنسان نوازع نفسية تدعوه إلى البحث عن الله وهو إذ يستجيب لهذه النوازع إنما يستثير كل قواه ، ويستخدم كلّ ملكاته الى أن يتعرّف إلى الله سبحانه وتعالى ... فالإشارات التي تشير إليه إنما تنبعث من كل موجود من النبتة الصغيرة الى النخلة الباسقة ، من النبلة التي تدب على الأرض إلى النسور المحلقة في المواء ، ومن كل كائن في الأرض إلى كل كوكب ونجم في السماء ، ففي كل كائن من هذا الوجود أكثر من إصبع تشير الى الخالق العظيم وتدعو إليه .

فالطريق إلى الله إذاً متعدد المناهج والمسالك فإذا أردنا أن نتعرف إلى الله فلا نجد أكمل من هذا المنهج الذي يجعل الوجود كله كتابا يقرؤه الإنسان في حروفه وكلماته وأسطره وصفحاته وفصوله وأبوابه فكل هذه الآيات تدل على وجود الله وتتحدث عن جلاله وعظمته وقدرته وحكمته.

فهذا الكتاب ـ أي كتاب الطبيعة ـ واقع تحت أنظار الناس جميعا ليس لأحد عذر إن هو أغلق حواسه ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة كي لا يعرف الله ، ولا يتعرف اليه ، فن فعل هذا أهدر آدميته وتنكر لإنسانيته وأسقط حسابه من عالم الناس ، ودخل إلى عالم الحيوان الأعجم ...

إنَّ منهج الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله والإستدلال عليه ، والتعرف عليه هو هذا المنهج الفطري الذي سلكه الإنسان . فقد دعا الإسلام إلى النظر في ملكوت السموات ، والأرض وجعل هذا النظر والتفكر هو المنهج القويم لمن يريد أن يعرف الله ويؤمن به . وقد أشار القرآن الكريم إلى أكمل الناس عقلا وأرشدهم سبيلا فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (سورة آل عران ) وقال أيضا مشيرا إلى أسرار حكته وكال قدرته : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ (سورة الغاشية ) إلى غير ذلك من الأيات الكثيرة البينة التي تدعو العقل الى استعال حقه في هذا الوجود الذي نشاهده .

آثار الله سبحانه وتعالى تتجلى لنا في هذا الوجود الذي تعمل فيه حواسنا وعقولنا دون أن تقع في مجال الحس والإدراك ، ولهذا فرض الله سبحانه وتعالى معرفة ذاته وأسائه وصفاته وأفعاله على العباد من خلال آثاره في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين للناس جميعا أنه الحق .

فبذلك نعرف الخالق العظيم .

فكيف يكون الموقف مع الخالق العظيم ، والمصور المبدع وما أبدع وصوّر في هذا الوجود من المخلوقات التي لا تعد ولا تحصى ، فماذا تأخذ ، وماذا تدع ؟ ومن أين تبدأ ، وكيف تنتهي ؟ فتجد نفسك بعد النظر في

الخلوقات ،والتأمل فيها متشوقة الى رؤية هذا الخالق العظيم . إذا أردت أن تعرفه فادرس هذا الوجود عندئذ تتعرف إلى الله سبحانه وتعالى ، فالله قد مهد للناس الطريق إليه ، وأقام على جوانبه معالم الهداية والرشاد فنظرة الى البحر فيها كل معالم الجلال والعظمة تكفيك عن هذا الوجود كله .

أما إذا كنت ممن يتعمقون في بحث الخلوقات فبحسبك قطرة ماء، قطرة واحدة بالتحديد، وعالجها بوسائل العلم الحديث فسترى أنها عالم كبير ملىء بالأسرار.

إن أدى الخلوقات منزلة وأهونها شأنا وأصغرها جرماً لتحمل كل آيات الإبداع للمبدع الذي تذهل له العقول وتحار فيه الألباب ولست أجد أروع وأبلغ من القرآن الكريم في الدفاع عن قضية الألوهية ، وإفحام الجادلين وآتى بمثالين منه :

الأول: أدعوك أيها القاريء ـ أن تنضم الى هذا المجتمع الذي يجتمع فيه الناس جميعا الذي تحمله الآية إلى كل عقل ، وأدعوك ثانيا أن تجهز نفسك لهذا الجمع فلا تذهل عن وجودك ، فإنك مطالب بأن تسمع وتعي ، وأن تنتهي إلى رأي فيا سمعت ووعيت أمستعد أنت ؟ فهذا صوت الحق يهتف بك وبالناس جميعا استمع الى قوله تعالى: ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (سورة الحج) . ذبابة واحدة لا غير إنها تقف وحدها في جبهة والناس جميعا في الجبهة المقابلة لها إنها توضع في كفة الميزان والناس جميعا في الكفة الأخرى ، وإنها لترجح بهم جميعا . الذبابة تتحدى الناس جميعا في كل أمة ، وفي كل زمان تتحدى العلم الذي صعد بالناس إلى كواكب الساء ، هؤلاء الناس لن يخلقوا ذباباً واحداً ولو اجتمعوا له . هذا أنتم أيها الناس ، وهذه الذبابة هاتوا ما عندكم من علم ، واجمعوا ما عندكم من العلماء ودوروا مع الزمن دورات ودورات فلن تخلقوا ذباباً . هذا الذباب إن سلبكم شيئا علق برجله أو بجناحه ، أو بفيه ماذا أنتم صانعون عندكم من العلماء ودوروا مع الزمن دورات ودورات فلن تخلقوا ذباباً . هذا الذباب إن سلبكم شيئا علق برجله أو بجناحه ، أو بفيه ماذا أنتم صانعون الذباب إن سلبكم شيئا علق برجله أو بجناحه ، أو بفيه ماذا أنتم صانعون

معه ؛ لن تستطبعوا أن تستنقذوه منه لقد أفلت بصيده ـ إن يسلبهم الذباب شبئا لا يستنقذوه منه .

الذباب ضعيف كيف يسلبكم شيئا تعجزون عنه ضعف الطالب والمطلوب .

المثال الثاني: بين الله سبحانه وتعالى نشأة الانسان وتكوينه وتطويره حتى أبرزه إلى الوجود على هذه الصورة البديعة الشكل في آيات بينات من القرآن الكريم، وعرضها على الإنسان ليعرف عنصره المادي الذي خلق منه وهو التراب، ومنه ينهو، وركّب الميول فيه إلى الذي تتطلبه ذاته فكانت هذه الآيات الكريمة مظهرا من مظاهر عظمته وقدرته وحكمته، لعل هذا الإنسان يثوب الى رشده ويتدبرما في الكون من آيات الله، وفي نفسه وهذا أقرب باعث على إيقاظ الإيمان بالله والإعتراف به قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ يكفي أيها الناس أن تنظروا إلى أنفسكم فإنها علم رحيب وكون فسيح تمعنوا في حياتكم من وجودكم نطفة الى أن صرتم عالم رحيا تجدون آيات بينات دالات على قدرة الخالق العظيم.

تدبروا كيف كان هذا الإنسان نطفة ؟ وكيف خلق ؟ ومن ثمّ عمّر الأرض وتسلط على حيوانها ونباتها وجمادها وكيف كان قبل وجوده ، وما هو عليه الآن من الصنع العجيب والتركيب الحكم والحواس المرهفة المتناسقة في إحكام بديع وإتقان عجيب ؟ وكيف زود بالعلم والمعارف والإحساس والشعور حتى صار يرى الأشياء الخفية عليه بعقله ؟ من الذي جهزه بهذه الأشياء كلها وخصّه بوسائل الإدراك حتى فضل على سائر المخلوقات الأرضية وكيف نفخ فيه الروح ؟ .

يجب على الإنسان أن ينظر الى أصل نشأته وتطوره في الحياة ، فإنه يرى أن يداً حكية قادرة أوجدته من العدم إلى الوجود على هذه الصورة الرائعة من الحسن والجمال التي لا وجود لشبه بينه وبين التراب وقد جعله الله خليفة على هذه الأرض . كيف لا يولي هذا المخلوق وجهه إلى فاطره ومصوره ولا يدين لخالقه بالطاعة والولاء ؟ قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا

الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النظفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (سورة المؤمنون) السلالة هي صفة ماء مني آدم وهو من طين ، أو السلالة هي أصل الإنسان ، وهي السلسلة التي يمتد بها أصل الثيء حتى يصل ما بين مبدئه وغاياته ، والآية الكريمة تثير إلى أن الانسان في تكوينه وتطويره وخلقه قد مر بأطوار كثيرة بين عالم التراب والنبات وسار مسيرة طويلة في سلسلة منتظمة الحلقات من الطين الى الحأ المسنون كا قال سبحانه وتعالى على لسان إبليس لعنه الله ﴿ لم أكن الحسورة طويلة في سلسلة من حميا مسنون ﴿ (سورة الحجر) قال تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ .

ما الإنسان إلا هذه النطفة وما اشتلت عليه من قوّة عاقلة ناطقة منصرة سميعة مريدة . كانت النشأة الأولى لهذا الإنسان من التراب ، وفي هذا التراب كانت تكمن جرثومته الأولى كا تكمن النطفة في قرار مكين ، ولكن شتّان ما بين الجرثومة التي تكن في التراب والنطفة التي تستقر في الرحم ، فالجرثومة من مادة التراب والنطفة كائن بشرى . وفي مواجهة المراحل الكثيرة التي مرّ عليها الإنسان كان كالنبات حيث تخرج الحبة نباتــأ مثل النبات جاءت منه النطفة التي خلق منها الإنسان وإن بدت في مرأى العين مجرد ماء فهي في حقيقتها ماء مشوب بأشياء أخرى أودعتها فيه قدرة الله جل وعلا ، كا أودعت في البذرة صورة الشجرة ولون زهرها ، وطعم غرها كذلك هذه النطفة قد حملت في كيانها صورة الإنسان ولونه ومستوى إدراكه ، ومستودع عواطفه ومشاعره بحيث يتميز كل إنسان على غيره من بني جنسه في طباعه وعواطفه . قال تعالى في سورة الإنسان : ﴿ إِنَّا خُلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، الأمشاج هي الأخلاط مزج الشيء خلطه . خلق الإنسان للإبتلاء ، ولم يخلق عبشا لأنه حمل أمانة التكلّيف التي لم تستطع السموات والأرض حملها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا .

هذه النطفة تخرج من بين الصلب والترائب . صلب الرجل هي فقار ظهره والترائب هي موضع القلادة من صدر المرأة . قال تعالى : في (سورة الطارق ) ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ كل إنسان معه عقله فلينظر بهذا العقل الى قدرة الله في ذاته والأشياء مودعة فيها من العقل والسمع والبصر وتراكيبها الحكة ، فإنه لو نظر بعين عقله لعرف طريق الحق وسلك مسلك الهدى . فن أين خلق الإنسان والعقل والتفكير ؟ خلق من ماء دافق ...

هذه النطفة خلق منها الذكر والأنثى قال تعالى : ﴿ أَلَم يَكُ نَطَفَةُ مِن مَنِي تَمَنى ثُم كَانَ عَلَقَةً فَحَلقَ فَسَوى فَجعلَ مِنه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴿ (سورة القيامة ) هذه الآية الكريمة دليل من الأدلة الكاشفة على قدرة الله هي بعث الموتى من القبور . الإنسان الكافر ينكر البعث ويستبعده ، فلينظر إلى قدرة الله كيف خلقت ٩ ليعلم من أين بدأ ؟ وكيف صار ؟ والى أين ينتهي ؟ فخلق فسوى خلق الله تلك العلقة صورا وأشكالا فسواها في تركيبها العجيب الحكم وسوّاها حالا بعد حال ، وخلقا بعد خلق حتى كان منها هذا الإنسان العاقل المفكر الذي يلأ الدنيا خيرا وشرا ، وبعد ما ينتهي أجله فيوت ، وينتقل من هذا العالم الى العالم الباقي عالم الجزاء والحساب قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير من تراب كا تنبت الشجرة ثم كان تناسلكم في الأرض كا تتوالد وتتناسل الكائنات ...

قال تعالى: ﴿ ثُم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ (سورة المؤمنون) عبر القرآن بلفظ ﴿ جعلناه نطفة ﴾ والجعل دون الخلق إذ هو وظيفة من وظائف المخلوق تتحرك النطفة نحو غايتها إلى تكوين مولود بشري سوي بالتنقل من النطفة إلى علقة إلى مضغة الى

هيكل عظمي معرّى من اللحم إلى هيكل بشري يكسوه اللحم إلى جنين إلى طفل ...

من المتوقع أن تكون الحركة للنطفة من الجعل لا من باب الخلق لأن النطفة مجعولة ، وكل ما تعطيه هو من الجعول ولكن القرآن عبر عن لفظ الجعل بلفظ الخلق ، فالنطفة لم تجعل علقة ، وإنما خلقت علقة ، ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ والعلقة لم تجعل مضغة وإنما خلقت مضغة ﴿ فخلقنا المضغة عظاما ﴾ والمضغة لم تجعل عظاما وإنما خلقت عظاما فا سرّ هذا ؟ والله أعلم أن كل عملية من هذه العمليات هي خلق جديد لا يملكه إلا الله الخالق جل وعلا ، وهذا الخلق مما استأثر به الله سبحانه وتعالى وحده ، أبى على خلقه أن يشاركوه في هذه الصفة ، وإن كان بعض المفسرين يفسرون الخلق بالصيرورة بمعنى خلقنا النطفة علقة أي صارت النطفة علقة . قال تعالى : ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ إشارة إلى نفخ الروح فيه بعدما وصل إلى هذه الصورة .

وقوله: ﴿ تبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وهو تمجيد لله وتسبيح لجلالته وعظمته ﴿ ثُم إِنكُم بعد ذلك لميتون ﴾ هذه حقيقة واقعة يعلمها جميع الناس وهي تنبيه وإيقاظ للنائمين الذين هم في خوض يلعبون والموت ليس هو نهاية الحيّ، بل انه مرحلة من مراحل وجوده وموقف يتحول به من عالم الى عالم آخر فيه حساب وجزاء ...

خاطب الله الإنسان المكذّب بالبعث بقوله: ﴿ أَلَمْ نَخْلَقُكُمْ مَنْ مَاءَ مَهِينَ فَجَعَلْنَاهُ فِي قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ﴾ (سورة المرسلات) هذه الآية الكريمة دعوة إلى هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث أن يعيدوا النظر في موقفهم هذا حتى يخلّصوا أنفسهم من هذا الويل المطل عليهم فتلك هي فرصتهم الأخيرة ، وإلا أقلعت سفينة النجاة وتركتهم يغرقون في أوهامهم حتى يدخلوا النار ، كيف يستبعد هؤلاء المكذبون البعث ؟ ألم يخلقهم الله من هذا الماء المهين ، وبين بعثهم من هذا الماء المهين ، وبين بعثهم من التراب .

الماء المهين هو ماء الرجل ليس كا يبدو في ظاهر الأمر شيئا محقرا أشبه بفضلات الإنسان ، وإنما هو في حقيقته حياة تضم في كيانها هذه المخلوقات البشرية . لهذا صانه الله وأودعه القرار المكين الذي أعد لحفظه ، قال تعالى : ﴿ فقدرنا فنعم القادرون ﴾ أي أحكنا مسيرة هذه النطفة في الرحم وتقلبها فيه من طور الى طور وذلك بقدر معلوم ، ﴿ فنعم القادرون ﴾ هذا ثناء من الله سبحانه وتعالى على ذاته الكرية التي الرسول على في تجيد ربّه والثناء عليه : « سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كا أثنيت على نفسك » (1).

<sup>1 )</sup> أخرجه مسام في صحيحه ومالك في الموطأ \_ والترمذي والنسائي عن عائشة

# ـ أقسام التوحيد ـ

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ توحيد الربوبية 2 ـ وتوحيد الألوهية 3 ـ وتوحيد الأساء والصفات .

1) توحيد الربوبية: الرب له أربعة معان: هو الإله والسيد، والمالك والمصلح، كل هذه الأماء موجودة في رب العالمين ، ومعنى العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله. وتوحيد الربوبية هو الإقرار بأن الرب خالق كل شيء مثل الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الأمور وإنزال الغيث ونحو ذلك.

وهذا النوع من التوحيد قد أقرّ به الكفار على عهد محمد والحليم ولم يدخلهم في الإسلام قال تعالى: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله ﴿ (سورة المؤمنون 75) . ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴿ (سورة لقان 24) . يعترفون بأن هذه الأشياء خلقها الله ولكنهم لا يؤمنون به ، ويعبدون أوثانا ويقولون تقربنا إلى الله زلفى . وليس للعالم صانعان متكافآن في الصفات والأفعال ...

والرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ، ثم يهديه إلى جميع مصالحه ومنافعه التي بها كاله وسعادته في الدارين يهديه إلى اجتناب المضار التي فيها فساده وهلاكه فيجتنبها . وهذا التوحيد توحيد الربوبية حق لا ريب فيه ... وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة تنتظم هذا الإسم الجليل قال تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (سورة الفاتحة ) . وقال : ﴿ لاإله إلا هو عليه توكلت ، واليه متاب ﴾ (سورة الرعد 31) . وقال : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ (سورة هود 161) . وقال : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ (سورة الفرقان 58) . وقال : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ، ربّ المشرق والمغرب ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ، ربّ المشرق والمغرب لا إليه إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ (سورة المزمل 8) . إلى غير ذلك من الأيات الدالة على ربوبيته .

2) توحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبدهم بها ، وشرعها لهم مثل الدعاء والذبح والنذر والإستعانة والإستغاثة الى غير ذلك وهذا النوع من التوحيد هو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأمهم من لدن نوح إلى نبينا محمد والسلام المال عالى: ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (سورة الزمر 62).

والشرك أنواع: يجب أن بكشف الغطاء عن هذه الأنواع. والله عز وجل ما أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السموات والأرض وما بينها وما فيها من الخلوقات التي لا تعد ولا تحصى إلا ليعرف ويعبد ويوحد، ويكون الدين كله لله ، والطاعة كلها له ، والدعاء له وحده . قال تعالى في (سورة الذاريات) ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين 4. وقال: ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينها إلا بالحق ﴾ (سورة الحجر). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على توحيده وقدرته . ولقد أوجب الله على المسلم المكلف أن يعرف الله بأسائه وصفاته وأفعاله ، وأن يعبده وحده لا يشرك به شيئا وأن يقوم الناس له بالقسط ، والقسط هو العدل ، ومن أعظم العدل التوحيد ، ومن أقبح الظلم لله سبحانه وتعالى الشرك . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّرِكُ لَظُّلُمُ عظيم ﴾ ( سورة لقمان 12 ) . والشرك بالله أكبر الكبائر لا يغفره الله . وإذا عرفت أن التوحيد هو العدل ، والشرك هو الظلم والجورفحينئة تعرف أحكم الحاكمين وأعلم العالمين . وتعلم أيضا أن ما فرضه الله على عباده من العبادات والطاعات حق ، وما حرم عليهم من الفواحش والخالفات لأحكامه فهو في صالح الناس وتفاوت الطاعات والمعاصي يكون على حسب مراتب الإيمان فلما كان الشرك منافيا للتوحيد كان أكبر الكبائر على الإطلاق . وحرم الله الجنة على كل مشرك ، وأباح دمه وماله لأهل التوحيد . وأبي الله سبحانه وتعالى أن يقبل من المشرك عملا ، أو يقبل فيه شفاعة ، أو يستجيب له في الآخرة دعوة . إن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له ندا من خلقه ، وهذا غاية في القبح والظلم . هل يشرع الله

سبحانه وتعالى التقرب إليه بالشفعاء والوسائط كا يفعل الناس مع ملوك الدنيا ؟ هذا يستحيل على الله قال تعالى : ﴿ كُلُ نَفْسَ بَمَا كُسِبَتُ رَهِينَةً ﴾ (سورة المدثر 38) . يتنع أن تأتي به شريعة ساوية ولهذا لا يغفر الله الشرك من دون سائر الذنوب كا قال في كتابه الكريم : ﴿ إِنَ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (سورة النساء 47) ...

الشرك أنواع: شرك يتعلق بذات المعبود وأسائه وصفاته وأفعاله هذا الشرك يسمى شرك. ومن الإيمان بالله الإيمان با وصف به نفسه في كتابه العزيز وبما وصفه به رسوله الكريم والمحتلي من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. شرك التعطيل هو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون، إذ قال لسيدنا موسى عليه السلام: وما رب العالمين؟ وقال تعالى غيرا عنه: ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ عبرا عنه: ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه كذبا ﴾ (سورة غافر 37). فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل.

والشرك الثاني هو شرك الدعوة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفَلْكُ دعوا الله مخلصين له الدين ، فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ﴾ (سورةالعنكبوت 65). وأما الشرك الثالث فهو شرك الحبة ، قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبّونهم كعب الله ، والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ (سورة البقرة 461). والشرك الرابع: شرك الإرادة والقصد ، قال تعالى: ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها الشرك الأكبر هو اتخاذ الند إلى الله سبحانه وتعالى بأن يدعوه أو يرجوه أو الشرك الأكبر هو اتخاذ الند إلى الله سبحانه وتعالى بأن يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يجبه كمحبة الله ، أو يذبح له أو ينذر له ؛ أما الشرك الأصغر فهو اتخاذ كل وسيلة يتطرق بها إلى الشرك الأكبر ، كقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ، وكذلك الرياء في العبادات والأعمال ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ، وكذلك الرياء في العبادات والأعمال

والتصنع للخلق والحلف بغير الله ، وهذا من الله ومنك وأنا بـالله وبـك . ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك .

والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر: هـو أن الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه ، وأما الشرك الأصغر فتحت مشيئة الله . والشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال . وأما الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه الشرك الأكبر مخرج من الملة الإسلامية ، وأما الشرك الأصغر فلا يخرج منها . إن صاحبه الشرك الأكبر خالد في النار ، وأما الشرك الأصغر فكغيره من الذنوب وقيل إنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة كالشرك الأكبر والله أعلم ..

#### 3) توحيد الأسماء والصفات

إن توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من صفات الله ، التي وصف بها نفسه على الحقيقة ، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف أو التثيل أو التشبيه والتأويل أو التحريف أو التعطيل ، وهو الإعتقاد بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ﴾ (سورة الاخلاص) .

# مفهوم الألوهية في الشريعة الاسلامية

من المشكلات التي تواجه العقل ـ مفهوم الاله وتصوره ـ فقد اصطدم العقل بهذه المشكلة اصطداماً كبيرا ، ووقف منها موقف الحائر التائه الذي ضل الطريق وغرق في مجاهل الصحراء .

إن الاستدلال على وجود الله أمر لا يعجز أي عقل أن يصل اليه ، وأن يبلغ مرحلة اليقين منه إذ تقوم في مواجهة العقل دلالات واضحة ، وشواهد ناطقة تحدّث عن وجود الله ، وتشهد بجلالته ، وعظمته وقدرته ولكن العقل لا يرضى إلا أن يشهد الذات وأن يتعرف عنها ومن أجل هذا أشرف على منطقة الخطر ، وصار يتيه ويدور هنا وهناك بلا جدوى ...

ماذا في القرآن عن ذات الله ؟ المذات الالهية في القرآن ليست ذات المهمة أو مجهولة كا أنها ليست محدودة مجسدة ... هي ذات لا كالذوات التي يراها الحس أو يتخيلها الوهم، لأنها لو وقعت في دائرة الخيال ـ مها امتد واتسع كانت بهذا المعنى محددة مقيدة وذات الله مع أنها فوق أن تدرك، وفوق أن تحد وصفت في القرآن بصفات كثيرة ، كالإرادة والعلم ، والقدرة وغيرها ، وهي صفات كاملة الكمال المطلق ... ومع هذا فلا تضاف هذه الصفات إلا لذات الله . جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات كقوله عز وجل : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ . ففي القرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ . ففي الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ( سورة البقرة 184 ) . فالله سبحانه وتعالى مريد ، وبإرادته تتعلق مصائر الأمور وكقوله تعالى : ﴿ يريد ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده الرعد 10 ) . في هذه الآيات يعلم ، فهو عالم ، وهو حكيم ، كل شيء عنده الرعد 10 ) . في هذه الآيات يعلم ، فهو عالم ، وهو حكيم ، كل شيء عنده عقدار ...

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوّي العرير ﴾ (سورة الشورى 17) . فالله لطيف وقوي

وعزيز وكقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمَّعُ الله قُولُ الَّتِي تَجَادُكُ فِي زُوجِهَا وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركا إن الله سميع بصير ﴿ ( سورة المجادلة 1). وذات الإله ذات تسمع كل شيء ... وترى كل شيء ﴿ إِنَّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لاإله إلا هو العزيز الحكيم ( سورة أل عمران 66 ) . وإن أكثر فواصل القرآن تنتهى غالبا بصفة من صفات الله تعالى ، أو بالمزاوجة بين صفتين من صفاته فن النوع الأول قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيء علما ﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شيء محيطا . ومن النوع الثاني وهو الأع الأغلب قولم تعالى : ﴿ وَكَانَ الله غَفُورَا رَحِيمًا ﴾ . ﴿ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكًا كَبِيرًا ﴿ . ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعَ عَلَمُ ﴾ . ﴿ لَا لِلهُ إِلَّا هُو الْعَزِيزِ الْحُكُمِ ﴿ . ﴿ إِنَّ الله كان بعياده حبيرا بصيرا ﴿ . وكلما ذكرت ذات الله ذكرت معها هـذه الصفـات ، وأكثر من هـذا فقـد جـاء في القرآن الكريم أيـات تــذكر للذات عينا وأيد وأعينا ... قال تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴿ ( سورة طه 39 ) . وقوله : ﴿ يبد الله فوق أيديهم ﴿ (سورة الفتح 10 ) . وقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف بشاء ه (سورة المائدة 66). وقوله: ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ (سورة هود 37 ) .

كذلك وردت في السنة المطهرة أحاديث تذهب هذا المذهب. كقول الرسول الكريم على « خلق آدم على صورة الرَّحمن » وقول ه على على صورة الرَّحمن » وقول ه على « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع بربّ العزة قدمه فيها فتقول قط ، قط . وعزتك فيزوى بعضها إلى بعض » (1) وقوله : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرف كيف يشاء » (2) ...

<sup>1)</sup> حديث صحيح . كا رواه الشيخان والترمذي ـ عن أنس ـ

<sup>2)</sup> ورد بغير هذا اللفظ ـ صحيح ـ رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجة . والحاكم ـ عن النواس ـ

فهذه الآيات وتلك الأحاديث وأمثالها لا يمكن أن يقرأها قاريء ، أو يستمع اليها مستمع ، دون أن تتحرك في ذهنه صور لهذه الصفات التي يوضف بها الله ...

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يتلون كتاب الله ، ويسمعون إلى آيات الكتاب وأحلديث الرسول فما وقفوا موقف تساؤل أو حيرة أمام صفة من صفات الله ، ولا وقع في تفكيرهم أن الذات المقدسة شيء ، وأن الصفات شيء ، أو أنها وجهان لحقيقة واحدة ، أو غير هذا مما دار حوله الجدل واشتد فيه الخصام بين جماعات المسلمين بعد أن مضى عهد الراشدين ، ودخلت في الإسلام مذاهب وأراء وفلسفات مع الذين دخلوا في دين الله .

يقول المقريزى: «إعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمداً عَلِيْتُهُ رسولا إلى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه بما وصف به نفسه الكريم في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه على قلبه على الروح الأمين ، وبما أوحى إليه ربه تعالى ، فلم يسأله عَلَيْتُهُ - أحد من العرب قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كا كانوا يسألونه عَلَيْتُهُ عن أمر الصلاة والزكاة ، والصيام والحج وغير ذلك مما فيه أمر ونهي ، كا سألوه عَلَيْتُهُ عن أحوال القيامة والجنة والنار ...

ولو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كا نقلت الأحاديث الواردة عنسه - عَلَيْكُ في أحكام الحلال والحرام وفي الترغيب والترهيب ، وأحوال القيامة ، والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضنته كتب الحديث ومجامعها ومسانيدها وجوامعها .

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، ووقف على الآثسار السلفية ، علم أنه لم يرو قط من طريق صحيح ، ولا سقيم عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على اختلاف طبقاتهم ، وكثرة عددهم ـ أنه سئل عَلَيْتُهُ ـ عن معنى شيء مما وصف الرب ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه الكريم ، على لسان نبيه عَلِيْتُهُ بل كلهم فهموا معنى ذلك ،

وسكتوا عن الكلام في الصفات . نعم ... ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ... وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية ، من العلم ، والقهدرة ، والخيهة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والجود ، والإنعام ، والعزة والعظمة ، وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا \_ رضي الله عنهم \_ ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على نفسه الكرية من الوجه ، واليد ، ونحو ذلك مع نفي مماثلة الخلوقين ، فأتبتوا \_ رضي الله عنهم \_ بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا .. ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كا وردت ...

ولم يكن عند واحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد على الله على الله عنهم شيئا من الطريق الكلامية ولا مذهب الفلسفة إنتهى خطط المقريزي .

وهكذا مضى عهد الصحابة والتابعين مرضوان الله عليهم مدون أن يجد أحد منهم في صدره ثائرة شك فيا ورد في القرآن والسنة من الصفات ، وصف الله مسبحانه مها ذاته ... بل صح فهمهم لتلك الصفات على الوجه الذي ينزه الله تعالى عن صفات المخلوقين ، ويجعل لذاته الكال المطلق ولهذا وقع إجماعهم مدون قصد معلى أن يسألوا رسول الله عنها ، وهم الذين لم يدعوا أمرا يتصل بأي شأن من شئون الدين ، لم ينكشف لهم في جلاء ، إلا سألوا الرسول عنه ... فكيف يكون سكوتهم هذا السكوت الإجماعي عن هذا الأمر العظيم الذي هو أصل العقيدة وصميها ؟

وهذا لايصح لنا أن نسأل: كلّ ما ذكر عن ذاته وصفاته في كتاب الله . وفي حديث الرسول ـ من الوضوح والجلاء ـ بحيث لايحتاج الى سؤال أبدا ؟ ونستطيع أن نقول في الإجابة على ذلك: نعم ، فان مفهوم الألوهية حين يعرف الإنسان الطريق اليه ، وحين يتلقاه بقلبه ، ويستقبله بفطرته لواضح أشد الوضوح .. إذ هو الكمال المطلق ، الذي سمح للإنسان أن ينطلق إلى ما لا نهاية له في السمو والإرتفاع بمقام الذات ... وكلما إنتهى إلى غاية مد بصره الى غيرها وهكذا أبدًا ﴿ ليس كَثله شيء وهو

السميع البصير ﴾ (سورة الشورى). وفي هذا المفهوم عاش الصحابة والنابعون \_ رضوان الله عليهم \_ لا يسألون : ما الله ؟ وما عينه ؟ وما قدرته ؟ وما علمه ؟

فلقد هدوا بفطرتهم أن لا جواب لهذه الأسئلة إلا ما يجده المرء في قلبه ، وفي كيانه كله ، من تقديس الله وجلاله ، ونسبة الكمال المطلق كله إليه !

ولقد هدوا بفطرتهم أيضا إلى أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه صفة من هذه الصفات ، ولا أن يمسك بها على أية صورة ، فإن أيّ صورة لن تكون هي أبدا ما دام الكال المطلق هو صفتها .

إذا كانت فطرة الإنسان على الصحة والسلامة لا تتجه أبدا إلى الجدل السقيم الذي لا يلد شيئا نافعا ، ولا يثر ثمرا طيبا .

وجذه الفطرة السليمة إستقبل العرب الاسلام ، وكانت تعاليم الإسلام كلها في العقيدة ، وفي الشريعة جميعا ومن هنا ندرك السر الذي أمسك به العرب ـ صحابة وغير صحابة \_ عن أن يسألوا عن ذات الله وأن يبحثوا في صفاته ، لأن ذلك أمر فوق أن يوجد له جواب ، أو أن يحيط به عقل ...

ومن هنا ندرك السر الذي أمسك بالعرب \_ مسلمين وغير مسلمين \_ أن يواجهوا في القرآن وأن تقع منهم محاكاة له .. لأن محاولة كهذه المحاولة عبث وسفه لا يرضاها عاقل ، ولا يتجه اليها خصوصا إذا كان القرآن في مستوى يستحيل على بشر أن يطاوله ...

وإن الإيمان الذي يقوم على هذا الإحساس بالعجز المطلق عن إدراك حقيقة الذات المقدسة هو الإيمان الراسخ الذي لا يتأثر بتيارات الفكر وتقلبات التفكير، إنه إيمان مستقر في الأعماق، حيث لا أمواج ولا تيارات.

#### ☆ معنى الحمد:

ومن الصفات التي اتصف بها الله سبحانه وتعالى الحمد ، والحمد هو الثناء باللسان ، وبالفعل هو تعظيم المنعم على إحسانه إلى عباده وهو الشكر .

وأهل التوحيد الذين يعيدون الله مخلصين له البدين فيإن في قلوبهم من محمة الله ما لا عائلها فيها غيرها ،ولهذا كان الرب محمودا حمدا مطلقا على كل ما فعله ، حمدا خاصًا به فهذا حمد الشكر ، أما حمد الفعل فهو خلق السبوات والأرض وما بينها ، والحمد خبر عجاسن المحمود مقرون عجبته ، وهو سحانه له الحمد في الأولى والآخرة ، فلا تكون عمادة إلا بحب المعبود ، ولا يكون حمد إلا يجب المحمود ، ولهذا كانت العبادة مشتملة على تحميده وتوحيده وأفضل الذكر لاإله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله ، الله سبحانه وتعالى له الملك المطلق ، وحقيقة الملك إنما يتم بالعطاء والمنع ، والإكرام والإهانة ، قال تعالى : ﴿ قُلُ اللَّهِم مالَكُ الْمُلِّكُ تَوْتَى المُلَّكُ من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخبر إنك على كل شيء قدير . تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب ﴿ ( سورة آل عمران 27.26 ) . وقال : ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ (سورة الرحمن 27). يغفر ذنبا ويفرج كربا ، ويكشف غما ، وينصر مظلوما ويأخذ ظالما ويفك عانيا ويغني فقيراً ويجبر كسيراً ، ويشفى مريضا ، ويقيل عثرة ، ويستر عورة ، ويعز ذليلا ، ويذل عزيزا ، ويعطى سائلا ، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى ، ويداول الأيـام بين النـاس يرفع أقواما ويضع أخرين ، يسوق المقادير التي قدرها إلى مواقيتها فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر ، بل كل منها قد أحصاه كا أحصى كتابه وجرى به قلمه ، ونفذ فيه حكمه ، وسبق له علمه ، فهو المتصرف في الملك كله وحده تصرف مالك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك لا ينازعه في ملكه منازع ، ولا يعارض فيه معارض ، فتصرفه في الملك دائر بين العدل والإحسان ، والحكمة والمصلحة ، والرحمة ، فلا يخرج تصرفه عن ذلك .

الملك والحمد في حق الله تعالى متلازمان ، فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده ، فهو محمود في ملكه ، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ، فهو محمود على كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وحمد ثناء ومدح ، ويجمعها التبارك .

فتبارك الله يشمل ذلك كله ، ولهذا ذكر هذه الكلمات عقب قوله ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (سورة الاعراف 53). يجب على المؤمن أن يعرف الطريق الموصلة إلى الله عز وجل وهي شريعته المنتظمة لأمره ونهيه ، ثم تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم ، فأعرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه ، قال تعالى : (سورة يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده (سورة عافر) . وقال تعالى أيضا : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (سورة الشورى 50) . ولا روح إلا فيا جاء به الرسول عليه ولا نور إلا في الإستضاءة به ، وساه الله شفاء قال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ( سورة فصلت 43) .

إن عبادة الله تُبنى على قاعدتين أساسيتين : هما حب لله كامل ، وذل تام له . ومنشأ هذين الأصلين هي النعمة الكبرى التي امتن الله بها على عباده ، وهي بعثة سيدنا محمد علي بله الرسالة العظيمة الخالدة الخاتمة لجميع الرسالات الساوية ...

وإذا بنى المسلم سلوكه على محبة الله تعالى ، وخضوع تام له ، لم يظفر به الشيطان إلا على غرة وغيلة ، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ، ويتداركه برحمته . وإنما تستقيم له محبة الله باستقامة قلبه وجوارحه ، والإستقامة تكون بسببين : أحداهما أن تتقدم محبة الله على جميع محاب الدنيا ، وإذا تعارض حب الله مع حب غيره ، فيجب أن يسبق حب الله على غيره ، وما أسهل هذا بالكلام والإدعاء وما أصعبه بالفعل ! ، ونحن نتكلم عن محبة الله دائما ، فإذا تعارضت مع مصالحنا الدنيوية وشهواتنا وأهوائنا قدمناها على محبة الله ، وهذا هو الواقع في المسلمين الحاضرين إلا القليل الذين يقدمون محبة الله وقليل ما هم ، فإن محبة الله لم تكن متكنة

من النفوس ولا هي مؤثرة عليها وسنة الله فين هذا شأنه أن ينزع الله من قلبه محبته ، وينقس عليه محبة شهواته ولا ينال منها شيئا إلا بتنكيد وتنقيص جزاء له على ايثار هواه على الله سبحانه وتعالى ، وقد قضى الله قضاء لا يرد ولا يدفع ان من أحب شيئا سوى الله عذب به ، وأن من خاف غير الله سلط عليه ، وأن من اشتغل بغير الله كان شؤما عليه ، ومن أثر غير الله لم يبارك له فيه ، ومن أرضى غيره بسخط الله أسخط عليه .

واستقامة القلب تكون بتعظيم أمر الله ونهيمه ، فإن الله ذم من لا يعظمه ، ولا يعظم شريعته قال تعالى : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ (سورة نوح 13) . أي ما لكم لا تخافون عظمة الله تعالى ...

والمؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسوله إلى الناس كافة ، ومقتضاها الإنقياد لطاعته ، وطاعة أوامره عندئذ يكون صاحب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيان والتصديق ، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق . ويجب على المسلم أن يعلم أن تفاضل الأعمال عند الله تكون بتفاضل ما في القلوب من الإيان والإخلاص وتوابعها ، وهذا العمل هو الذي يكفر السيآت تكفيرا كاملا ...

#### التوحيد نوعان

التوحيد نوعان: نوع في العلم والإعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول التوحيد العلمي، والثاني التوحيد القصدي والإرادي، لتعلق الأول بالاخبار والمعرفة والثاني بالقصد والإرادة ... ( ابن القيم ) .

قال عبد الله بن مسعود من أراد أن ينظر الى وصية محمد التي التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ هذه الآيات محكمات من (سورة الأنعام 154) . وفيها عشر مسائل أولها النهى عن الشرك .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي عَلَيْ على حمار فقال لي: يا معاذ .. أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا ـ أخرجاه في الصحيحين ـ

يحتوي هذا الحديث على عدة مسائل منها العبادة لله ،والعبادة من التوحيد من لم يعبد الله لم يكن موحدا ، والثانية التنبيه على وصية رسول الله صلى عند موته .

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿ .

ليس الإيمان بالظلم وهو خلط به والظلم هو الشرك بالله . الإيمان المصفى من الشرك هو الإيمان الذي يقبله الله من أهله ، ويجزيهم عليه الجزاء الأوفى و يجعلهم في أمن وسلام يوم يكون الكافرون في فزع وكرب . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه من شهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل . أخرجه الشيخان .

ومعنى لاإله إلا الله: طريقة القرآن في مشل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي ما سوى الله، ويثبت الاسم الشريف، وهذا هو حقيقة التوحيد النفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون نفي، فلا يكون التوحيد إلا متضنا للنفى والإثبات ...

من حقق التوحيد دخل الجنة: قال تعالى ﴿ إِن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ﴿ (سورة النحل) إِن إبراهيم عليه السلام كان أمة وحده أي يعوض مجتعا يؤمن بالله بين مجتعات كلها على الشرك والكفر، وإن إبراهيم مع ايمانه قانتا لله أي خاشعا لله ، وكان حنيفا أي مائلا عن طرق الضلال والكفر ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ أي لم يشرك بالله أبدا وقال تعالى في (سورة المؤمنون): ﴿ إِنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴿ ...

هؤلاء الذين ذكرتهم الآية الكريمة إنهم على صفات تؤهلهم لدخول الجنة ، فهم من خشية ربهم وخوفهم منه على إشفاق دائم من أن يعصوا أو

يفعلوا منكرا . ولهذا يؤمنون بأيات ربهم ويعملون بها ويهتدون بها قد خلت نفوسهم من أثر الشرك ، وكانوا على خشية ومراقبة داعمة لله حتى إنهم يفعلون ما يفعلون ما يفعلون من طباعات وعبادات لا تزايلهم الخشية ، ولا يبارحهم الخوف من الله ومن أنهم على تقصير في حقه تعالى ، وفيا يجب له من طاعة وولاء . إنَّ هذه الصفات المذكورة في الآية تلتقي جميعا في قلب المؤمن بالله إلا أن المؤمن على حظوظ مختلفة منها فبعضهم تغلب عليه صفة الخشية من الله ، وبعضهم يؤمن بآيات الله ، ولكن تغلبه نفسه ، فلا تتحقق الخشية كاملة من الله في قلبه ، وبعضهم يعترف بوجود الله ويقر بوحدانيته إقراراً عقليا ، كالفلاسفة ونحوهم . ولا ينقلون عن الرسل عليهم السلام ، ولا يأخذون مما معهم من آيات الله ، وبعضهم يؤمن بالله ، وبأيات الله ، وبرسل الله ثم يؤتون ما أتوا من طاعات وعبادات وهم في صراع مع أنفسهم ، وفي خوف من لقاء الله أن يكونوا قصروا فهؤلاء جميعا يمكن أن يتجهوا إلى الخير ويجاهدوا أنفسهم لأنهم يحملون شرارة من الإيان ، وأنهم على هدى من ربهم وعلى طريق الخير والإحسان ..

فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم قال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال سبقك بها عكاشة . الحديث رواه البخاري مطولا ومختصرا ومسلم والنسائي والترمذي ..

الرقية: هي العوذة التي يرقى بها الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات. قال ابن الآثير: ( وقد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية، وفي بعضها النهي، والأحاديث في القسمين كثيرة، ووجه الجمع بينها أن الرقي يكره منها ما كان بغير لسان العربي، وبغير أساء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة، وأن يعتقد أن الرقي نافعة لا محالة فيتكل عليها.

الخوف من الشرك: قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (سورة النساء 47). وقال الخليل عليه السلام ﴿ واجنبني وبني أن نعبه الأصنام ﴾ (سورة البراهيم 37). وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال الرياء » رواه أحمد. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله علي قال: « من مات وهو يدعو من دون الله ندا (1) دخل النار » رواه البخاري ومسلم. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله علي قال: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » ...

<sup>1)</sup> ندا: النظير المشارك له.

### الدعوة إلى شهادة أن لاإله إلا الله

قال الله عز وجل: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴿ (سورة يوسف 108). السبيل التي استقام عليها النبي بأمر ربه ودعا الناس اليها وأنه ليدعو إلى الله على هدى ونور من ربه فن اتبع الرسول فقد عرف الحق فكان على بصيرة من أمره.

وعن إبن عباس رضي الله عنها: أن رسول الله صلامة لم لعث معاذا إلى الين قال له : إنك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا الله . وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ( أخرجه الشيخان ) ، ولها عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله عليه عليه قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . يفتح الله على يديه ، فبات الناس يَدُوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فَلَمَا أَصبحوا غدوا على رسول الله عَلِيِّ كُلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبي طالب ؟ فقيل هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا اليه فأتى به ، فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النّعم ».

### تفسير التوحيد ، وشهادة أن لاإله إلا الله

قال تعالى: ﴿ أُولئك الندين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة (1) أيهم أقرب ﴾ (سورة الإسراء 57).

شرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب، فيه أكبر مسائل أهمها وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة . قال تعالى : ﴿ وابتغوا إلى الله الوسيلة ﴾ .

وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة والوسيلة الراغب فيها إلى الله تعالى .

والتوسل بالنبي عَلِيْنَةٍ هو الإستسقاء به في حياته وثبت التوسل بغيره أي بعد موته على الله عنه بعد موته على المحاع الصحابة إجماعا سكوتيا في حديث عمر رضي الله عنه كا قال : « كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبيك » ولم ينكر عليه أحد من الصحابة وأما التوسل بغيره فلا يجوز . والأصل هو أن تتوسل إلى الله بالله ، كأن تقول اللهم إنا نسألك عوجبات رحمتك ، أما التوسل بالعباد « فوساطة » يرفضها الإسلام لأنها نوع من الشرك .

الوسيلة: هي ما يتوسل به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة التي ترضي الله وتدني الإنسان من ربه ، وتقوى الله هي مطلوب كل مؤمن بالله ، ورغبة كل طامع في رضى الله ، ساع إلى مرضاته ولهذا فقد أمر الله الذين أمنوا بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ يَأْيُهَا الدَّيْنِ آمنوا التّقوا الله ﴾ (سورة الحشر 18). فليس الإيمان هو مجرد الإيمان ، وانما الإيمان هو الذي ينتج التقوى ويستشعر المؤمن ان النهاية عظية وأن الحساب عسير إلا على المتقين .

<sup>1)</sup> قال الراغب: الوسيلة التوصل الى الشيء برغبة وهي أخص من التوسل لتضمنها معنى الرغبة.

والتقوى هي اجتناب محارم الله ، وامتثال أوامره ، أو هي كا عرفها بعض العارفين : « ألا يراك حيث نهاك ، وألا يفتقدك حيث أمرك » .

التقوى صعب المنال ، غالي الثمن ، لا يقدر على الوفاء به إلا من رزقه الله قوة الإيمان ، وثبات اليقين ووثاقة العزم تلك هي بعض الوسائل التي يتوسل بها إلى التقوى وما يأخذ به بعض المسلمين من التوسل بالأموات ممن يعتقد في صلاحهم واستقامة سلوكهم في الحياة فيلمون بقبورهم وأضرحتهم طالبين قضاء حوائجهم التي قصرت عنها أيديهم ..

والذي يأباه الدين هو زيارة كثير من الناس قبور الصالحين وتمسحهم بها ومناجاتهم وطلب الغوث منهم حتى كأنّ هذا الرجل الصالح يتصرف في الكون ..

قال الإمام الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية قال: «قد أكثر الناس من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات ... يا سيدي فلان أغثني ، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء ، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك ، وألا يحوم حول حماه ، وقد عدّه أناس من العلماء شركا ، وألا يكننه فهو قريب منه ، ولا أرى أحدا بمن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب ، أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ، ويقدر بالذات ، أو بالغير على جلب الخير ، ودفع الأذى ، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ..

فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله القوي الغني الفعال لما يريد » انتهى .

ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه من أنه كان في زمن النبي عَلَيْكَةٍ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال الصديق ـ أبو بكر رضي الله عنه م هيا بنا نستغيث برسول الله عنه من هذا المنافق ، فجاءوا إليه ، فقال : عَلَيْكَةٍ « إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله » (1) من عرف

<sup>1 )</sup> رواه الطبراني في معجمه .

سر ذلك فلا يستغيت بالموتى ولا يطلب منهم شيئا وإنما يستغيث بالله ويطلب من الله .

قال عز وجل: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ (سورة الزخرف). فاستثنى خليل الرحمن من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البرآءة وهذه المولاة هي الشهادة أن لاإله إلا الله فقال: ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ . وقوله عز وجل: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ (سورة التوبة) . بين الله سبحانه وتعالى أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في غير معصية لا دعائهم إياهم أربابا فهذا هو عين الشرك ..

وفي الصحيح عن النبي شَخِيْجُ أنه قال: « من قال لاإله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » وهذا من أعظم ما يبين معنى ( لاإله إلا الله ) فإنه لم يجعل التلفظ عاصا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه .

### من الشرك لَبْسُ الحلقة والخيط ونحوهما

قال تعالى : ﴿ قُل أُرأيتُم ما تدعون من دون الله أن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره . أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴿ (سورة الزمر 36 ) . وفي هذه الآية الكريمة تشنيع على المشركين ، الذين يعبدون آلهة من دون الله وتسخيف لعقولهم المريضة لأنهم يعتقدون في أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا تملك نفعا ولا ضرا .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه : « أن النبي عَلَيْتُ رأى رجلا في يده حلقة من صُفر فقال ما هذه ؟ قال الواهنة ، فقال أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به ..

قال ابن الأثير في النهاية الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها وقيل هو مرض يأخذ في العضد ، وربما علق عليه جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء ، ونهاه عنها لعل يعنقد أنها تعصه من الألم ، فكانت عنده في معنى المائم المنهى عنها . والحلقة كان المشركون يجعلونها في عضدهم من نحاس أصفر أو غيره ، ويزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوها ، والخيط كانوا يعتقدونه و يتقلدون به فنهى عنه لما فيه من شائبة الشرك .

وعن عقبة بن عامر مرفوعا ! « من علّق تمية فلا أتم الله له ، ومن علّق ودعة فلا ودع الله له » (1) . وفي رواية « من علق تمية فقد أشرك » (2) ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه : أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (سورة يوسف ) .

<sup>1 )</sup> رواه مشرح بن عاهان باسناد ضعیف

<sup>2)</sup> رواه البخاري ، واخرجه أحمد .

### الذبائح لغير الله

قال تعالى: ﴿ قل إِن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ( سورة الأنعام ) . قال الحافظ بن كثير يأمر الله نبيه على أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ، أنّه مخالف لهم في ذلك ، لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم النسك هو الذبح في الحج والعمرة . قال الإمام ابن تبية أمر الله نبيه على النسك النسك هو الذبح في الحج والعمرة . قال الإمام ابن تبية أمر الله نبيه على القرب أو التواضع والافتقار ، وحسن الظن ، وقوة اليقين ، وطمأنينة القلب الى الله والى عبادته ، عكس حال أهل الكبر والأنفة وأهل الغني عن الله تعالى الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم ، والذين لا ينجرون له حوفا من الفقر ولهذا جمع الله بينها في قوله : ﴿ قل إِن صلاتي ونسكي ﴾ وعن الله من دبح لغير الله لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى عدثا ، لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم

اللعن: هو البعد عن مظان الرحمة ومواطنها ، واللّعين هو المعون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها . قال صاحب النهاية ( أصل اللعن الطرد والابعاد من الله ، ومن الخلق السّب والدعاء ، وفي الحديث جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين ، وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان : أحدها أنه جائز إختاره ابن الجوزي وغيره ، والثاني أنه لا يجوز ، اختاره أبو بكر عبد العزيز وشيخ الاسلام رحمها الله تعالى ، وهو المتجه جميعا بين الروايات ، وقوله : ( محدثا ) روي بكسر الدال المهملة وبفتحها ، فعلى الأول معناه نصر جانبه وآواه ، وأجاره من خصه ، وحال بينه وبين من القتص منه ، وعلى الثاني هو الأمر المبتدع نفسه ومعنى إيوائه الرضا به ، والصبر عليه ، فإنه إذا رضي بالبدعة ، وأقرّ فاعلها ، ولم يترك عليه فقد

اواه ، ومنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها ومعالمها يفعل ذلك ليغتصب من جاره أرضه والله أعلم .

### من الشرك النذر لغير الله

قال تعالى: ﴿ يوفون بالنذر ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ . الآية تبدل على وفاء النذر ومدح من فعل ذلك ، فالنذر من العبادة وصرفه لغير الله شرك ، فإذا أنذر طاعة وجب عليه الوفاء بها ، والنذر قربة إلى الله تعالى ، ولهذا مدح الموفين به ، فإن نذر لخلوق تقربا إليه وتشفعا منه له عند الله ، أو ليكشف ضره ونحو ذلك فقد أشرك في عبادته سبحانه غيره ، كا أن من صلى لله وصلى لغيره فقد أشرك . ووجه الدلالة من الآية الشريفة على هذا المعنى أن الله مدح الموفين بالنذر ، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك حرام ، وذلك هو العبادة ، فمن جاء به لغير الله تقربا إليه فقد أشرك .

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضن ذلك مجازاته بأوفر الجزاء للعاملين به إبتغاء وجهه. إذا علمت ذلك فأعلم أن هذه النذور الواقعة من عبّاد القبور تقربا بها اليهم وليقضوا لهم حوائجهم ، أو ليشفعوا لهم شرك في العبادة بلا ريب كا قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذراً من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فيا كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكون ﴾ وسورة الأنعام ) . قال الشيخ قاسم في شرح درر البحار النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أو مريض ، أو له حاجة فياتي إلى قبر بعض الصالحين ويجعل على رأسه سترة ويقول عا سيدي فلان إن رد الله غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي يا سيدي فلان إن رد الله غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا ، أو من الفضة كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الله عائب نفهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه . منها أنه نذر لخلوق ، والنذر له لا يجوز لأنه عبادة والعبادة والعبادة

لا تكون لخلوق . ومنها أن الندر لميت والميت لا يملك شيئا ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله ، واعتقاد ذلك كفر إلى أن يقال إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشع والزيت وغيرها ، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا اليهم محرم باجماع المسلمين نقل ذلك عنه ابن نجيم في البحر الفائق ، ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وازدادوا وقال في شرح المنهاج قريبا من هذا . وكلام العلماء أهل المعرفة في هذا الباب كثير ، وكتاب الله وسنة رسوله يغنيان عن ذلك كله والله أعلم .

# الاستعادة بغير الله شرك

قال تعالى : ﴿ وإنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ (سورة الجن ) .

- 1) قال ابن كثير: الاستعادة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من شركل شر، والعياد يكون لدفع الشر، وطلب الخير، وهذا تمثيل، والا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والانظراح بين يدي الرب والافتقار اليه، والتدلل لديه أمر لا تحيط به العبارة.
- 2) كان الرجل من العرب إذا أمسى بواد ، وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد كبير الجن قال مجاهد . كانوا إذا هبطوا واديا يقولون نعوذ بعظيم هذا الوادي . فزادوا كفرا وطغيانا . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وارهابا وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم .

وعن خولة بنت حكم قالت: سمعت رسول الله ولي يقول: « من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » رواه مسلم

ق هذا الحديث دليل على أن الله شرع لأهل الاسلام أن يستعيذوا بكلمات الله بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن ومعنى ( التامات ) كا قال القرطبي الكاملات التي لم يلحقها نقص ولا عيب كا يلحق كلام البشر ، وقيل معناه الكافية الشافية قال شيخ الاسلام ابن تبية رحمه الله : وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها استعاذة بمخلوق وذلك شرك ، بل الله يعيذ المستعيذين ويعصهم من شر ما استعاذوا به .

إذا أنعم على عبد نعمة حفظها عليه ، ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه ﴿ إِن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

ومن تأمل ما قص الله في كتابه الكريم من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه ، إنما هي مخالفة أمره ، وعصيان رسله ، وكذلك من نظر في أحوال عصره ، وما أزال الله عنهم من نعمة ، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب ، كا قيل : إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم . فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ، ولا زالت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه ، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كا تعمل النار في الحطب اليابس .

<sup>1.)</sup> رواه مالك في موطنه ـ باب الدعاء ـ ٪

<sup>2 )</sup> أُخْرِجه مسلم . ورواه مالك في الموطأ عن عثمان بن ابي العاص ـ صحيح -

٤) اخرج القصة ابن هشام بطولها ، عن ابن اسحاق عن زياد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى
 مرسلا . ورجاله ثقات

ولما كان الشرهو الآلام وأسبابها كانت استعاذات النبي وللله جميعها مدارها على هذين الأصلين ، فكل ما استعاذ منه ، أو أمر بالاستعاذة منه فهو إما مؤلم ، وإما سبب يفضي اليه ، فكان يتعوذ في آخر الصلاة من أربع ، وأمر بالاستعاذة منهن وهي : « عذاب القبر ، وعذاب النار فها أعظم المؤلمات ، وفتنة الحيا والمهات وفتنة المسيح الدجال » (1) وهذان هما سببا العذاب المؤلم ، فالفتنة سبب العذاب وذكر الفتنة خصوصا ، وذكر نوعي الفتنة ، لأنها إما في الحياة ، وإما في المهات ، ففتنة الحياة قد يتراخى عنها العذاب مدة ، وأما فتنة بعد الموت ، فيتصل بها العذاب من غير تراخ ..

فهذه الاستعادة من الألم والعذاب وأسبابها من آكد أدعية الصلاة حتى أوجب بعض السلف والخلف الإعادة على من لم يدع به في التشهد الأخير، وأوجبه ابن حزم في كل تشهد، فإن لم يأت به فيه فبطلت صلاته، واستعاد رسول الله على من تمانية أشياء فقال: « اللهم إنّي أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع (2) الدين وغلبة الرجال» (3) وتعوذ على « من المأتم والمغرم» (4) فإنها سببا الألم العاجل ومن ذلك قوله: « أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك (5) » فالسخط سبب الألم، والعقوبة: هي الألم، فاستعاد من أعظم الآلام وأقوى أسبابا.

<sup>1)</sup> أخرجه البخاري والنسائي عن أبي هريرة . ـ صحيح ـ

<sup>2 )</sup> أي ثقله .

<sup>3 )</sup> الحديث لاحمد في مسنده ، ومسلم والنسائي عن زيد بن ارقم ـ وهو صحيح ـ

<sup>4 )</sup> شطر من حديث رواه مسلم رقم 588

وأبو داود رقم 183 والنائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة

<sup>5 )</sup> رواه مسلم ومالك ، وغيرهمآ . ـ عن محمد بن ابراهيم الحارث ـ

## الاستعادة بالله من شر ما خلق

نتكلم عن الشر ﴿ من شر ما خلق ﴾ (ما ) هنا موصولة ليس إلا . والشر مسند في الآمة إلى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب الذي هو فعله وتكوينه ، فإنه لا شرفيه بوجه ما . فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ، ولا في أفعاله ، كما لا بلحق ذاته تبارك وتعالى فإن ذاته لها الكمال المطلق ، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما ، وكذلك أفعاله كلها خبرات محضة ، لا شر فيها أصلا ، ولو فعل الشر سيحانه لاشتق له منه اسما ، ولم تكن أسماؤه كلها حسني ولعاد إليه منه حكم ، تعالى ربنا وتقدس عن ذلك ، ولكنه تعالى يلهم النفس البشرية خيرها وشرها لمكنها بعد ذلك المفاضلة والاختبار في صراع الايمان والضلالة ﴿ و نفس وما سواها فألهمها فجويرها وتقواها ﴾ وما يفعله الله سبحانه وتعالى من العدل بعباده ، وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض ، إذ هو محض العدل والحكمة ، وإنما يكون بالنسبة إلى العباد ، فالشر وقع في تعلقه بهم ، وقيامه بهم ، لا في فعله القائم به تعالى ، ونحن لا ننكر أن الشريكون في مفعولاته المنفصلة ، فإنه خالق الخير والشر وملهمها النفس إعداداً للتكليف.

وينبغي أن نعرف جيدا: أن ما هو شر، أو متضن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولا منفصلا، لا يكون لله تعالى، ولا فعلا من أفعاله. ذلك أن مقياس الخير والشر مقياس نسبتي معياري له دائما وجهان، فالشر الذي ينزل على فرد واحد في شكل عقوبة مثلا يحقق خيرا عميا للمجموعة التي يعيش فيها ذلك الواحد، ويحقق له هو نفسه نجاة من النار.

مثال: إنّ السارق إذا قطعت يده فقطعها شر بالنسبة اليه ، وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس لما فيه من حفظ أموالهم ، ودفع الضرر عنهم ، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمرا وحكما ، لما في ذلك من الإحسان إلى عبيده عموما ، بإتلاف هذا العضو المؤذي لهم المضر بهم ، فهو محمود على حكمه

يذلك ، وأمره به مشكور عليه ، يستحق عليه الحمد من عباده ، والثناء عليه والحبة له ...

وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم في دمائهم وحرماتهم فإذا كان هذا عقوبة من يصول عليهم في دنياهم فكيف عقوبة من يصول على أديانهم ، ويحول بينهم وبين الهدى الذي بعث الله به رسله ، وجعل سعادة العباد في معاشهم ومعادهم منوطة بنه ؟ أليس في عقوبة هذا الصائل خير محض ، وحكمة وعدل ، وإحسان إلى العبيد ؟ وهي شر بالنسبة إلى الصائل الباغى .

فالشر ما قام به من تلك العقوبة ، وأما ما نسب الى الربّ منها من الشيئة والإرادة والفعل ، فهو عين الخير والحكة فلا يغلظ حجابك عن فهم هذا النبأ العظيم ، والسر الذي يطلعك على مسألة القدر ، ويفتح لك الطريق الى الله ، ومعرفة حكته ورحمته ، وإحسانه إلى خلقه وأنه سبحانه كا أنه هو البر الرحيم الودود المحسن ، فهو الحكيم الملك العادل ، فلا تناقض حكته رحمته ، بل يضع رحمته وبره وإحسانه موضعه ، ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه وكلاهما مقتضى عزته وحكته وهو العزيز الحكيم ، فلا يليق بحكته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب ، ولا أن يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته .. وبعض الطوائف يقولون : إن الأمرين ـ الخير والشر ـ بالنسبة إليه على حد سواء ولا فرق أصلا ، وإنما هو محض المشيئة بلا سبب ولا حكة .

يرد القرآن على هذه الأفكار، وإنكارها أشد الإنكار، وتنزيه الرّب نفسه عنها كقوله تعالى: ﴿ أَفْنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ . وقوله كذلك ﴿ أم نجعل النذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ . فأنكر سبحانه على من ظن به هذا الظن السيّء ونزه نفسه عنه تعالى عاشركون .

فدل على أنه مستقر في الفطر والعقول السليمة : إن هذا لا يكون ولا يليق بحكمته وعزته والوهيته لا إله إلا هو ، تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا .

وقد فطر الله عقول عباده على استقباح وضع العقوبة والإنتقام في موضع الرحمة والاحسان ومكافأة الصنع الجيل بمثله وزيادة ، فإذا وضع العقوبة موضع ذلك استنكرته فطرهم وعقولهم أشد الاستنكار واستهجنته أعظم الاستهجان .

وكذلك وضع الاحسان والرحمة والاكرام في موضع العقوبة والانتقام ، كمن إذا جاء الى من يسيء الى العالم بأنواع الإساءة في كل شيء من أموالهم وحريهم ودمائهم فأكرمه غاية الاكرام ، ورفعه وكرمه ، فإن الفطر والعقول تأبى استحسان هذا ، وتشهد على سفه من فعله ، هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها ..

فما للعقول والفطر لا تشهد حكمته البالغة ، وعزته وعدله في وضع عقوبته في أولى المحال بها وأحقها بالعقوبة ؟ وإنّها لو أوليت النعم لم تحسن بها ، ولم يلق هذا التأويل بالفطر السلية ولظهرت مناقضة الحكة ...

قال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا البيس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ (سورة الكهف) فتأمل ما تحت هذا الخطاب الذي يسلب الأرواح حلاوة وعقابا وجلالة وتهديدا كيف صدره بإخبارنا ، إنه أمر إبليس ـ لعنه الله ـ بالسجود لأبينا فأبى ذلك ، فطرده ولعنه ، وعاداه من أجل ابائه عن السجود ، لأبينا ثم أنتم توالونه من دوني ، وقد لعنته وطردته إذ لم يسجد لأبيكم ، وجعلته عدوا لكم ولأبيكم فواليتموه وتركتموني ، أفليس هذا من أعظم الغبن وأشد الحسرة عليكم ؟ ويوم القيامة يقول تعالى : ﴿ أليس عدلا مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولى في دار الدنيا ؟ ﴾ .

فليعلمن أولياء الشيطان كيف حالهم يوم القيامة : إذا ذهبوا مع

أوليائهم، وبقي أولياء الرحمن لم يذهبوا مع أحد فيتجلى لهم ربهم ويقول:
« ألا تذهبون حيث ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقنا الناس
أحوج ما كنا إليهم، وإنما ننتظر ربنا الذي كنا نتولاه
ونعبده . فيقول هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها ؟
فيقولون : نعم إنه لا مثيل له فيتجلى لهم، ويكشف عن ساق
فيخرون له سجدا » .

فيا قرة عين أوليائه بتلك الموالاة ، وما أفرحهم إذا ذهب الناس مع أوليائهم ، وبقوا مع مولاهم الحق فسيعلم المشركون به الصادون عن سبيله أنهم ما كانوا أولياءه ان أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون .

فما أحوج القلوب إلى معرفة ربها ، ونزولها منه منازلها في الدنيا لمتنزل في جوار ربها في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

# من الشرك أن يستغيث المكلف بغير الله أو يدعو غيره

الإستغاثة هي طلب الغوث ، وهي إزالة الشدة ، والاستعانة : طلب العون ، قال بعض العلماء : الفرق بينها وبين الدعاء أنّ الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أع منه ، فيجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة ، فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة ، والدعاء نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، فدعاء مسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ، ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدا من دونه ممن لا يملك ضرا ولا نفعا كقوله تعالى : ﴿ قبل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعا ﴾ ...

قال شيخ الاسلام ابن تبية رضى الله عنه في الرسالة السنّية : إذا كان على عهد النبي عليه من انتسب الى الاسلام ومرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة هذه الأزمان قد عرق أيضا من الاسلام لأسباب: منها: الغلوفي بعض المشائخ كا غالت النصاري في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبى أو رجل صالح ، وجعل فيـه نوعـا من الالهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أنصرني وأرزقني وعافني ، أو أنا في حفظك وحمايتك ورعايتك ، ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فإن تاب وإلاّ قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليعبدوه وحده ، لا شريك له ولا يدعون معه إلها ، والذين يدعون مع الله إلها أخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم ، أو يعبدون صورهم ، يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفي ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعو أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة واستعانة : قال ومن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا ، نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم ..

قال ابن تمية رحمه الله: اعلم أن الاستغاثة في الاسباب الظاهرية العادية في الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه تجوز، كقولهم يا لزيد للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة وأما الإستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية في الشدائد، كالمرض والغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره، والله أعلم ...

قال الله عز وجل: ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ﴾ . وقال: ﴿ وإن يسسك بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ . وقوله: ﴿ فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وإليه ترجعون ﴾ وقوله: ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ ...

وقوله: ﴿ ولا تدع من دون الله ... ﴾ الآية ، قال ابن جرير: في هذه الآية : ولا تدع يا محمد من دون معبودك ولا خالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يضرك في دين ولا دنيا ـ يعني بذلك الآلهة ـ يقول : لو عبدتها راجيا نفعها ، أو خائفا ضرها ، فإنها لا تضر ولا تنفع ، فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذا من الظالمين ، أي المشركين بالله ، والله أعلم ، وحاشا الرسول أن يفعل ذلك إلا أن الخطاب خاص اللفظ عام المعنى ، فالله تعالى لا يخاطب الرسول وإنا وإنما يخاطب الرسول والنه من دوله من الناس ، ودلت هذه الآية على أنه سبحانه هو المتفرد بالملك والقهر ، والعطاء والمنع ، والضر والنفع دون كل ما سواه ، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك ولا شيئا مما هنالك غيره كائنا من كان من أوليائه أو أعدائه ، فهو المستحق للعبادة والدعوة وحده دون من لا يضر ولا ينفع ، فالخطاب في هذه الآية للنبي علي الله عام للآمة .. والمقصود ولا ينفع ، فالخطاب في هذه الآية للنبي علي الكنه عام للآمة .. والمقصود

سنه ذن الرسول بَرِيْكَ معصوم من الشَّرك بل معصوم من الصغائر وعصة الأنبياء والرسل من مسائل العقيدة في التوحيد .

وقوله تعالى: ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ أمر الله عباده بابتغاء الرزق عنده وحده دون سواه بمن لم يملك لهم رزقا من السبوات والأرض. قال الحافظ ابن كثير: ( معناه ابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره ، لأنه المالك له ، وغيره لا يملك شيئا من ذلك . أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له واشكروه على ما أنعم عليكم ، إليه ترجعون ، فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى: ﴿ ومن أضل بمن يدعو من دون الله ﴾ الآية : فيه نفى سبحانه أن يكون أحد أضل غيره منه ، وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه الى يوم القيامة ، والآية تعم كل من يدعو من دون الله ، والله أعلم .

وقول عنز وجل: ﴿ أَمَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ أخبر الله عز وجل في هذه الآية أنه هو الكاشف للضر لا غيره ، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين ، وأنه المستغاث لذلك وأنه القادر على دفع الضر ، والقادر على إيصال الخير ، فهو المنفرد بذلك ، فإذا تعين ـ جل ذكره ـ خرج غيره من ملك ونبي وولي وغير ذلك .

ه روى الطبراني باسناده : « أنه كان في زمن النبي وَ الله عَلَيْكُ منافق يؤدي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله عليه من هذا المنافق ، فقال النبي عَلَيْكُ : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله » ؟!

قول الله عز وجا ﴿ أَيْشَرَكُونَ مَا لَا يَخْلَقَ شَيْنًا وَهُم يَخْلَقُونَ ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾ وقوله : ﴿ والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير( 1 ) ﴾ .

<sup>1 )</sup> قشرة النواة .

قال المفسرون في هذه الآية وهي قوله ﴿ أيشركون ... ﴾ فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو خلوق ، والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها ، وبيّن أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، فكيف يشركون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه ، وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله . وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد عَلَيْكُم كان يستنصر ربه على المشركين ويقول :

« اللهم أنت عضدي وأنت نصيري ، بك أجول وبك أصول . وبك أقاتل » (1) .

وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي على يالية يسوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزل ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله مسلم والنسائي والترمذي والامام أحمد بن حنبل ، قال ابن اسحاق في المغازي : حدثنا حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبي على يعم أحد وشج وجثه ، وجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله الآية .

وذكر ابن هشام في السيرة من حديث أبي سعيد الخاكري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي والله ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذي شجه في وجهه ، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله والله و

 <sup>1)</sup> رواه إبو داود ( في الجهاد ) . والترمذي ( في الدعوات ) . ورواه أحمد في مسنده . واسناده صحيح . وحسنه الترمذي .

رضي الله عنه الدم عن وجه رسول الله عليه م ازدرده ، فقال رسول الله مرفي : « من مس دمه دمى لم تصبه النار ... » .

قال النووي: وفي هذا وقوع الاسقام والابتلاء بالأنبياء عليهم السلام لينالوا جزيل الأجر والثواب، ولتعرف أمهم ما أصابهم من أهل الشر فيتأسوا بهم، قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر مخلوقون تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا تفتن بما أظهر الله على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم، والمؤمنون لهم أسوة حسنة برسول الله على الأذى الحاصل من الملحدين والمارقين وليجاهدوا وليثبتوا ﴿ لم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ﴿ .

#### العقيدة الاسلامية

تقوم العقيدة الاسلامية على ثلاث دعائم كلهل يسلّم العقل بها ، ويقوم الدليل المستمد من البديهة عن صحته ، وليس فيه مجال لوهم ولا خرافة هي : الوحدانية والايمان بالغيب ، والرسل أجمعين ...

فأول هذه الدعائم ـ الايمان بواحد أحد هو الفرد الصد ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير هو منزه عن مشابهة الحوادث لأنه غيرها ، ولاتتحقق هذه المغايرة إلا إذا كان من غير جنسها . هو خالقها ومبدعها ، والشيء لا يخلق بعضه بعضا ، فهو ليس جسا من الأجسام ، وليس عرضا من الأعراض لأنه خالقها وخالق كل شيء ، وهو فوق كل شيء ، وليس له مكان يحدة ، لأن المكان هو الذي يحدد الأجسام وليس مركبا من أجزاء كا نتركب ، فهو واحد في ذاته ، وواحد في صفاته ، قد اختص وحده بالأشياء والتكوين ، فهو بديع الموات والأرض ، ليس بوالد ولا مولود ، وقد خلق الأسباب والمسبات ، ونظم الكون بحكته ، وسيره بإرادته ، وأبدع نواميسه بقدرته ، وهو وحده المستحق للعبادة ، وليس في خلقه ما يحل هو فيه لأنه ليس جسا يحل في غيره .

التوحيد هو العاد الأول والأقوى للإسلام وتعاليم القرآن ، والذي شغلت الدعوة إليه وتقريره حيزاً كبيراً ينادي بتحرير الإنسان من سيطرة الأوهام والخرافات والخضوع لما لا يملك ضرا ولا نفعا ، والتوسل بالوسائل الزائفة لحماية نفسه ، واتخاذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله كا هو بارز في آيات عديدة من القرآن ، قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (سورة آل عمران) ، وقال في (سورة الزمر) : ﴿ أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن يهدى الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام . ولئن سألتهم من خلق السموات

والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾.

وقال أيضا في نفس السورة ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾:

وذلك لما في عبادة غير الله والخضوع له والتوسل به من تسخير لقوى الانسان ، وتعطيل لمواهيه وإذلال نفسه إذلالا من شأنه أن يظل راغتًا خائفا جزعا مما لا يبعث في الحقيقة على شيء من ذلك ، في حين أن التوحيد والإيمان بالله ( بآله ) واحد متصف بجميع صفة الكمال والحق والعدل والخبر والقوة واعتبار كل ما عدا الله صغيرا مها كبر فالله أكبر منه والانسان ضعيفا مها قوى فالله أقوى منه ، وعاجزا مها قيدر فالله أقيدر منه ، وفقيرا مها غني فالله أغني منه ، فلا يتجه أحد إلى غير الله ، ولا يستشعر بخوف ، ولا رهبة من أحد غيره ، ولا يبدل نفسه في حاجة لأحد غيره ، وناهيك بهذا قوة هائلة محررة لما أودعه الله في الإنسان من قوى الخوف وموجهة لها نحو الخير والصلاح والكمال في هذه الحياة ، ومساعدة له على القيام بواجباته الاجتماعية والانسانية ، ثم حافزة لـ على عدم الرضا بالظلم والقهر، والتجبر والمرد على البغاة والمتجبرين والمتكبرين ، وبالاضافة إلى هذا فإن الدعوة إلى الله وحده قد انطوت على تقرير ما في الايمان بالله وحده ، والاتجاه إليه وحده بإلعبادة والدعاء ، من فوائد عظمة متصلة بشؤون الحياة الدنيا صلة وثيقة من حيث توكيد استجابة الله لداعيه وذكره لذاكريه ، وقدرته وحده على تفريج ما يحل فيهم من خطوب ، ومنحهم ما يرجونه من رغائب ، وتحقيق ما يأملونه من مطالب كما هو واضح في الآيات الآتية : ﴿ وَإِذَا سَأَلُكُ عَبَادِي عَنِي ا فإني قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون \* (سورة البقرة ) . وقال في (سورة النهل) ﴿ أَمِن يَجِيبِ المُضطرِ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم

خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون، أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

## بعض معالم التوحيد في العقيدة

معالم التوحيد في الأخلاق هو ألا يصدر الإنسان ولا يرد في سلوكه الشخصي ، أو في سلوكه الاجتاعي الا عن توجيه إلهي .

ومعالم التوحيد في النية أن يكون الإنسان في كل ما يأتي وما يدع قاصدا وجه الله تعالى ، وأن تكون حياته كلها لله ، وليست الحياة وحدها ، وإنما المات أيضا .

والتوحيد على العموم: هو أن يهب الإنسان نفسه لله في قيامه وجلوسه، في نومه ويقضته، في غضبه ورضاه، في صداقته وعداوته، في بيعه وشرائه، في عمله وراحته، في أفكاره وآرائه، في توجيهه وإشارته. في نصائحه وتحذيراته، في كل نفس يتنفسه، أو طرفة عين يطرفها.

وإن توحيد الإنسان هو أن تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له ويقترب الإنسان من المثل الاعلى الإسلامي بقدار قربه من هذه المعاني عقيدة وأخلاقا ونية ، وقوله تعالى ﴿ ألا له الدين الحالمي ﴾ إنما يشير بنا إلى خلوصه من كل شائبة شرك سواء أكان الشرك في العقيدة ، أم كان في الأخلاق والنية ، والله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك . فن عمل عملا لله ولغيره فإن الله سبحانه بريء من عمله ، وكذلك من اعتقد شريكا لله فالله بريء منه ..

## علاقة الله بالإنسان

ليس من العجيب أن تكون علاقة الله بمخلوقاته ـ القائمة على العبودية إفراداً وإخلاصاً ودواماً وثباتاً ـ ، أو علاقة الانسان به هي محور للعقيدة الاسلامية التي عرضها القرآن ..

فقد وصف القرآن الكريم باعتبار ذاته: بأن الأول والآخر والظاهر والباقي، والباطن، والقيوم والواحد والحي والمتعالي، والغني والقادر، والباقي، والعظيم والقهار، والحميد والجيد، والقوي المتين والعليم واللطيف، والحكيم والسميع والبصير، والملك القدوس، والبر الرحيم، ونور السموات، والحق إلى غير ذلك من الصفات التي تصور الله غنيا بنفسه أبديا، واسع القدرة والمعرفة، محيطا بكل شيء، وأنه الحق وحده ...

وباعتبار صلته بمخلوقاته تحدث عنه بأنه الخالق ، وبأنه المبديء والمعيد ، والباريء ، والمصور والحيي والمميت ، والوارث والباعث ، والحافظ ومالك الملك ، والولي والمقتدر ، والجبار ... إلى غير ذلك من النعوت التي تبين أنه الخالق المطلق ، المدبر الحاكم ، والملك . الذي لا قوة غير قوته ، ولا سلطان غير سلطانه في الوجود .

وباعتبار علاقته بالإنسان : وصفه بأنه الرحمن الرحم والغافر والغفور والغفار ، والعفو والحليم والشكور ( الذي يجازي الناس على حمدهم ) والصبور والرؤوف الودود الرقيب والشهيد .

وباعتبار علاقة الإنسان به: نعته بأنه المهين والهادي والوكيل ، والولي والوهاب ، والرزاق والجيب والمعطي والمغني يبسط الرزق لمن يشاء إلى غير ذلك من الأوصاف التي تدل على أن صلة العبد به صلة احتياج . فالعبد محتاج إلى عفوه وتدبيره ، والله هو الرقيب والحسيب عليه المهين على العباد جميعا يعينهم ويهديهم ، فهو مصدر الرزق بأوسع معانيه ...

والله إذن هو الفاعل لكل شيء في الوجود ، وإرادته هي سبب ما في الوجود كله .. هو يضل من يشاء ويهدي من يشاء ... والإنسان المؤمن

لا يستطيع إزاء ذلك غير أن يرجو الله ويدعوه الهداية ، وأن يسأله ألا يجعله من الدين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وكانوا في الأخرة من الخاسرين ..

ننقل بعض المعاني لأسماء الله الحسنى ، لابن قيم الجوزية من تفسيره لفاتحة الكتاب

دلالة الحمد على توحيد الأساء والصفات وأما دلالة الأساء الخسسة على على على الله ، والرب ، والرحمان والرحم ، والملك فبني على أصلين :

أحدها: أن أساء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كاله ، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أساء وصفات وبذلك كانت حسنى ، إذ لو كانت الفاظا لا معنى فيها لم تكن حسنى ، ونفي معاني أساء الله الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى : ﴿ وَدُرِ الّذِينِ يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (سورة الأنفال) . ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها ، وأثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، كقوله تعالى ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ فعلم أن القوة من أسائه ، ومعناه الموصوف بالقوة ، وكذلك قوله : ﴿ فلله العزة جميعا ﴾ فالعزيز من له العزة ، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويا ولا عزيزا .

وفي الصحيح عن النبي عَلِيهِ « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ،

وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » فأثبت المصدر الذي اشتق منه اسمه ( البصير ) ، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات » ، وفي حديث الإستخارة « اللهم إني استخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك » فهو قادر بقدرة ، وقال تعالى لموسى : ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ﴾ فهو متكلم بكلام ، وهو العظيم الذي له العظمة ، كا في الصحيح عنه مُراسية يقول الله تعالى :

« العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي » ، وهو الحكم له الحكم ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ وأجمع المسامون أنه لو حلف بحياة الله أو سمعه أو بصره ، أو قوته أو عزته ، أو عظمته إنعقدت يمينه ، وكانت مكفرة لأن هذه صفات كاله التي انشقت منها أماؤه ..

لولم تكن أساؤه مشتملة على معان وصفات لم يسع أن يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال : يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد ، فان ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى أصل الصفة إستحال ثبوت حكها ..

روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل ﴿ الذين يلحدون في أسمائه ﴿ قال: يكذبون عليه ، وهذا تفسير بالمعنى ، وحقيقة الإلحاد فيها: العدول عن الصواب ، وإدخال ما ليس من معانيها عليها ، وإخراج حقائق معانيها عنها ، هذا حقيقة الإلحاد ، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله ، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب ، وهو غاية الملحد ، في أسمائه تعالى ، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها ، وخرج بها عن حقائقها أو بعضها ، فقد عدل بها عن الصواب والحق ، وهو حقيقة الإلحاد ، فالإلحاد : إما بجحودها وإنكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة .

الأصل الثاني: إن الإسم من أسمائه تبارك وتعالى كا يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم ، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن

الصفة ، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم . فان إسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضن ، وكذلك اسم ( العلي ) واسم الحكيم وسائر أسمائه ، فان من لوازم اسم ( العلي ) العلو المطلق من جميع الوجوه : علو القدرة ، وعلو القهر وعلو الذات ، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه ( العلى ) .

وكذلك اسمه الظاهر من لوازمه: ألا يكون فوقه شيء كا في الصحيح عن النبي عَلِي « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » بل هو سبحانه فوق كل شيء فن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم إسمه ( الظاهر ) ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدرة فقط ، كا يقال الذهب فوق الفضة ، والجوهر فوق الزجاج ، لأن هذه الفوقية لا تتعلق بالظهور ، بل قد يكون المفوق أظهر من الفائق ، فيها . ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط وإن كان سبحانه ظاهرا بالقهر والغلبة لقابلة الإسم ( بالباطن ) وهو الذي ليس دونه شيء ، كا قابل الأول ، الذي ليس قبله شيء ، كا قابل الأول ،

وكذلك اسم الحكيم من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله ، ووضعه الأشياء في مواضعها ، وإيقاعها على أحسن الوجوه ، فانكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه ، وكذلك سائر أسائه الحسني ..

## التعريف باسم الجلالة

إذا تقرر هـذان الأصلان: فـاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالـدلالات الثلاث فإنه دال على الوهيته المتضنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال ، وعن العيوب والنقائص ، ولهذا يضيف الله تعالى إلى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ ويقال : الرحمن والرحيم ، والقدوس ، والسلام والعزيز والحكيم ، من أساء الله ولا يقال الله من أساء الرحمن ، ولا من أساء العزيز إلى غير ذلك .

فعلم أن اسم (الله) مستلزم لجميع معاني الأساء الحسنى دال عليها بالاجمال وللأساء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الالهية التي اشتق منها اسم الله ، واسم الله دال على كونه مألوها معبوداً تؤلهه الخلائق محبة وتعظيا وخضوعا وفزعا إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكال ربوبيته ورحمته المتضنين لكال الملك ، والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كاله اذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ، ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ، ولا فعال لما يريد ، ولا حكم في أفعاله فصفات الجلال ، والجمال أخص باسم الله . وصفات الفعل والقدرة ، والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة ، وكال القوة ، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب .

وصفات الاحسان ، والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف ، أخص باسم الرحمن وكرر إيذانا بثبوت الوصف ، وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته ، فالرحمن وصفه الرحمة ، والرحم : الراحم لعباده ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُومَنِينَ رَحِياً ﴾ ﴿ إنّه بهم رؤوف رحيم ﴾ ولم يجيء رحمان بعباده ، ولا رحمان بالمؤمنين مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف ، وثبوت جميع معناه الموصوف به ألا ترى أنهم يقولون : غضبان : للممتليء غضبا وندمان وحيران وسكران ،

ولهفان لمن ملي، بذلك ؟ فبنا، فعلان للسعة والشهول ولهذا يقرر استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرا كقبول وسعيالى : ﴿ الرحمن على العرش الستوى ﴾ ﴿ ثم استوى على العرش الرحمان ﴾ . فاستوى على عرشه باسم الرحمن ، لأن العرش محيط بالخلوقات قدر وسعها ، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم ، كا قبال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ فاستوى على أوسع الخلوقات بأوسع الصفات . فلذلك وسعت رحمته كل شيء ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبال رسول الله عنه قال : قبال رسول على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ « فهو موضوع عنده على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ « فهو موضوع عنده على العرش » .

فتأمل خصائص هذا الكتاب بذكر الرحمة ، ووضعه عنده على العرش ، وطابق بين ذلك وبين قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقوله ﴿ ثُم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ﴾ ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم .

وصفات العدل ، والقبض والبسط ، والخفض والرفع ، والعطاء والمنع ، والاعزاز والاذلال ، والقهر والحكم ونحوها : أخص باسم الملك وخصه بيوم الدين ، وهو الجزاء بالعدل لتفرده بالحكم فيه وحده ، ولأنه اليوم الحق ، وما قبله كساعة ولأنه الغاية ، وايام الدنيا مراحل اليه .

### ارتباط الخلق بالاسماء الثلاثة

تأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة وهي : « الله ، الرب ، الرحمن » كيف نشأ عنها الخلق ، والأمر ، والثواب ، والعقاب ؟ وكيف جمعت الخلق وفرقتهم ؟ فلها الجمع والفرق .

فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات . فهو رب كل شيء وخالقه ، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته ، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته ، وتحت قهره ، فاجتمعوا بصيغة الربوبية ، وافترقوا بصفة

الالهية ، فألهه وحده السعداء ، وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لا إلىه إلا هو النذي لا تنبغي العبادة والتوكل ، والرجاء ، والخوف . والحب والانابة والإحبات والخشية ، والتذلل والخضوع إلا له .

وهنا افترق الناس وصاروا فريقين : \_ فريقا مشركين في السعير . \_ وفريقا موحدين في الجنة .

فالألهية هي التي فرقتهم ، كا أن الربوبية هي التي جمعتهم فالدين والشرع . والأمر والنهي ، مظهره وقيامه : من صفة الألهية . والخلق والا يجاء والتدبير والفعل : من صفة الربوبية . والجزاء بالثواب والعقاب ، والجنة والنار من صفة الملك وهو ملك يوم الدين . فأمرهم بالهيته ، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم ، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله ، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى ... وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده فالتالية منهم له ، والربوبية منه لهم . والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده . بها أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم ، وأسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم ، فبينهم وبينه سبب الرحمة ...

واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ مطابق لقوله ﴿ رب العالمين الرحمن الرحم ﴿ وب العالمين الرحمن الرحم ﴿ فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها ، فوسغ كل شيء برحمته وربوبيته .

## تنزيه الله جل جلاله

إنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ، ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر . ولا تحله الجواهر ولا بعرض ، ولا تحله الاعراض ، بل لا يماثل موجودا ، ولا يماثله موجود ، ليس كثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحييط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون والسموات .

وإنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزها عن الماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والساء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كا أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كا لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان . كا تقدس عن أن يحده زمان . بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان . وهو الآن على ما عليه كان . وانه بائن من خلقه بصفاته ، وليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ..

وأنه مقدس عن التغيير والانتقال ، لا تحلمه الحوادث ولا تعترضه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال ، وفي صفة كالمه مستغنيا عن زيادة الاستكال ... وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالابصار ، نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار ، واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم .

القدرة : وأنه حي قادر ، جبار قهار ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك

والملكوت ، والعزة والجبروت ، لـ السلطان والقهر ، والخلـق والأمر ، السموات مطويات بيينه ، والخلائق مقهورون في قبضته .

وأنه المتفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العلم: وأنه عالم بجميع المعلومات. محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين الى أعلى السبوات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصاء في الليلة الظلماء، ويعدرك حركة الذر في جوف الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضائر، وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوف في آزال الآزال لا بعلم متجرد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال ...

الإرادة: وأنه مريد للكائنات، مدبر للحادثات، لا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، عرفان أو نكر، فوز أو خسر، زيادة أو نقص، طاعة أو عصيان، كفر أو ايمان، إلا بقضائه وتقديره، وحكمه ومشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناضر، ولا فلتة خاطر، بل هو المبديء للعيد، الفعال لما يريد، لا راة لحكمه، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد من معصيته، إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته الا بمحبته وإرادته، لو اجتمع الانس والجن، والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عنه.

وان إرادته قائمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوف ابها ، مريدا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها ، كا أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبديل ولا تغيير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن :

السمع والبصر: وأنه تعالى سميع بصير، يسمع ويرى، ولا يعرب عن مسموعه مسموع وال خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق، لا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصخة وآذان، كا يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق، كا لا تشبه ذاته ذات الخلق.

الكلام: وأنه متكلم آمر ناه ، واعد متوعد ، بكلام أزلي قديم قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس من انسلال الهواء ، أو اصطكاك أجرام ، ولا حرف منقطع باطباق شفة أو تحريك لسان .

وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور، كتبه المنزلة على رسله، وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب بالمصاحف مخطوط في القلوب، وأنه مع ذلك قديم، قائم بذات الله تعالى. لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال، في القلوب والاوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كا يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض، ومن كانت له هذه الصفات كان حيا عالما، قادرا، مريدا، سميعا، بصيرا، متكاما، بالحياة والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والكلام عجرد الذات...

الأفعال: وإنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها ، واتمها وأعدلها ، وأنه حكيم في أفعاله ، عادل في أقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فإنه لا يصادف لغيره ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلما ...

فكل ما سواه من إنس وجن ، وشيطان وملك وساء وأرض وحيوان ونبات ، وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه بعد إن لم يكن شيئا ، إذ كان في الأزل موجودا

وحده ، ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعده إظهارا لقدرته وتحفيقا لما سبق من إرادته ، وحق في الأزل من كامته ، لا لافتقاره اليه وحاجته .

وأنه تعالى متفضل بالخلق والإختراع والتكليف ، لا عن وجوب ، ومتطاول بالانعام والاصلاح ، لا عن لزوم وله الفضل والإحسان ، والنعمة والامتنان ، اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولم يكن قبيحا ولا ظاما .

وانه يثيب عباده على الطاعات ، بحكم الكرم والوعد لا بحكم الإستحقاق واللزوم ، إذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب لأحد عليه حق ...

وحقه في الطاعات واجب على الخلق بإيجابه على لساز أنبيائه ، لا مجرد العقل ، ولكنه يبعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم بما جاءوا به .

#### الإيمان بالغيب

الإيمان بالغيب هو الدعامة الثانية من دعائم العقيدة الإسلامية ، والإيمان بالغيب هو الدعامة في كل دين ، لأن وراء هذا العالم المادي عالم آخر غيره ، فن لم يؤمن به فقد جحده ، ولا يمكن أن يكون إيمان بالله من غير إيمان بالغيب ، ولذلك يقول الله في أوصاف المؤمنين ﴿ المذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴿ الغيب ما خرج عن متناول الحواس ، وإدراك العقل ، والإيمان بما يجيء من عالم الغيب ، لا معتبر له إلا إذا كان مسند إلى جهة لا يتطرق اليها الكذب ، وإلا كان التصديق بما يخبر به العرافون والكهنة وغيرهم ممن يدعون علم الغيب ، ايمانا ، وهو ليس من الإيمان في شيء ، وإغا المراد بالإيمان هنا ما يخبر به رسل الله وأنبياؤه أقوامهم من أمر الاخرة والتي لا علم للناس بها .

فأول صفة من صفات المتقين هي الإيمان بالغيب التي يخبر بها الرسل عليهم السلام حيث تلقوا الأخبار عن تلك الغيبيات وحيا من الله ، وهم الأمناء على ما أوحى اليهم من ربهم ...

فلا إيمان لمن لا يؤمن بالله ، ولا إيمان لمن لا يؤمن برسل الله ، ولا إيمان لمن لا يؤمن بما يحمل رسل الله من رسالات وما يبلغون من أوامر ونواهي . وما يبلغون من أخبار ، وملاك التقوى هو الإيمان ، فلا تقوى لمن لا إيمان له ، فإذا جاء الإيمان على تلك الصورة ، كان داعية لأن يقيم الإنسان على طريق التقوى ، وأن يؤهله لتلك الصفات التي وصف الله سبحانه بها المتقين ، الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، ويؤمنون بما أنزل على محمد مُولِينَةٍ ، إيمانا مفصلا ، وبما أنزل على رسل الله من قبله إيمانا مجملا ، ثم ينتهي بهم ذلك الإيمان الى الإيمان باليوم الآخرة ، والإيمان بالملائكة وهي الأرواح المطهرة ، والإيمان بكل المخلوقات المغيبة عن حسنا ، والإيمان بأن هذه الحياة الدنيا هي الحياة الفانية ، وما بعدها عن حسنا ، والإيمان بأن هذه الحياة الدنيا هي الحياة الفانية ، وما بعدها

هي الحياة الباقية ، وهي الأخرى ، وأن الإيمان بالحياة الأخرى هو لب الدين ، يجازي فيها الحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ..

وأن الإيمان بالغيب والنشور والحساب والعقاب والثواب من شأنه أن يعلو بالإنسان من مرتبة الحيوان ولا يجعل حياته عقبة لا تنتج، ويدفع عنه التشاؤم النفسي، فهي إن لم يسعد في الحاضرة رجا السعادة في الآخرة، والمؤمن يتربى فيه الوجدان والاحساس بالتبعية إذا آمن بالآخرة ...

ولقد كان العبيد والفقراء يقاومون السادة والأغنياء ويرضون بالعذاب ولا يبالونه لأنهم مؤمنون بما عنده في اليوم الآخر ، فالإيمان باليوم الآخر ذخيرة إنسانية ومن حرمها فقد حرم خير زاد يعلو به الإنسان ، ويقاوم أحداث الزمان .

ولا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبرت عنه السنة بعد الموت من سؤال منكر ونكير في القبر وهما ملكان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد، فيسألانه عن التوحيد، والرسالة ويقولان: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر، وسؤالها أول فتنة القبر، وأن يؤمن بعذاب القبر، وأنه حق، وحكمه عدل، على الجسم والروح على ما يشاء ...

ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى سواء كانت كبيرة أو صغيرة مشل مشاقيل الذر ، والخردل ، تحقيقا لتمام العدل ، وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور ، فيثقل بها الميزان ، على قدر درجاتها عند الله ، بغضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات في كفة الظامة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ...

وأن يؤمن بالصراط فهو حق ، وهو جسر ممدود على متن جهم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، تزلّ عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى ، فيهوي بهم الى النار ، وتثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون الى دار القرار ...

وأن يؤمن بالحوض المورود حوض سيدنا محمد والله يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ، ويؤمن بيوم الحساب ، وتفاوت الحق فيه ، إلى مناقش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، والى من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم المقربون ...

فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال ...

ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد قضاء ما عليهم فيها ، حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى . ويؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ، وشفاعة هؤلاء جميعا لا تكون إلا بإذن الله ، فهي ليست شفاعة قدرة من العباد بل هي شفاعة تكريم الله لبعض الاتقياء ومن بقي من المؤمنين لم يكن له شفيع أخرج بفضل الله تعالى ، ولا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه ذرة من الإيمان ...

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله عنهم ، وأن يحسن الله عنهم ، وأن يحسن الله عنهم ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثان ، ثم علي رضي الله عنهم ، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كا أثنى الله تعالى ورسوله عليه عليهم أجمعين ، فكل ذلك وردت به السنة ، وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به ، كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال والبدعة ...

### الإيمان بالرسل أجمعين

الإيمان بالرسل السابقين جزء من العقيدة الإسلامية وقد صرح القرآن الكريم بذلك قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين الى آخر الآية ﴾ والآيات القرآنية في هذا المعنى كثير ...

الإسلام يطوي في عقيدته الخالصة كل عقيدة صحيحة في الأديان كلها لأنه دين الوحدانية الإنسانية .

إن الله بعث النبي الأمي محمد والمنتج برسالة الإسلام الى كافة الخلق من الإنس والجن بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فنسخ بشرعه الشرائع السابقة إلا ما قرره ، وفضله على سائر الأنبياء ، وجعله سيد البشر ، وجعل كال الإيمان بشهادة التوحيد لاإله إلا الله وقرن إليها شهادة محمد والنبيج ، وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت فحكمة الله سبحانه وتعالى تقتضي بأن يتخير لهذه السفارة خلاصة الانسانية وهامتها ، فلا تصطفي لها في أي عصر إلا الرجل الأول في الكال الإنساني ، فيكون هو الإنسان الذي تتثل فيه كالات الجنس البشري لعصره بحيث يكون وصلة ما بين الساء والأرض ، وسفيزا بين الله والناس .

محمد على الله لله السماء لأعظم رسالة حملها نبي ، ولأكمل دعوة قام بها رسول ، إنه يحمل آخر كلمة من الله إلى الناس ، هي الكلمة الأخيرة ، الكلمة الحاسمة فيا بين السماء والأرض ، فليس بعدها كلام إنها الخاتمة ...

محمد عَلِيْكَةٍ هـو خـاتم النبيئين ليس بعـده نبي ، وليس وراءه بشير ولا نذير ، وإذا كان ذلك كذلك فإن لنا أن نقول ان محمدا هو منتخب الإنسانية كلها وهو مجتمع كالاتها في أكمل حالاتها وأتم صورها ...

كانت رسالات الرسل ـ قبل محمد عليه المسلات محلية أشبه بالوصاية على الأفراد ، يظهر الرسول في جماعة من الجماعات ، أو قوم من الأقوام ،

يقوم لهم وجودهم المعوج ، ويضيء لهم طريقهم المظلم ، ثم لا يلبث أن يخلفه فيهم رسول ، ويخلفه رسول وهكذا ...

حتى إذا بلغ الكتاب أجله ، وأراد للناس أن يستقلوا بوجودهم وأن يفكروا لأنفسهم بعدما بلغوا الرشد ، وصاروا في عداد الرجال كانت رسالة الإسلام ، وكان رسولها الأمين محمد بن عبد الله رسول الله عليه وخاتم النبيئين ...

ومن هنا ندرك السر في أن الرسالة الإسلامية كانت رسالة عقلية منطقية تخاطب العقل ، وتقنعه عن طريق الحجة القائمة على البراهين الإستدلالية التي يستقيم تفكير الناس جميعا .

إن الرسالة الإسلامية لم تستند الى معجزة قاهرة تطغى على عقول الناس ، وتغتال تفكيرهم ، وتشل إرادتهم حين لا يملكون لها ردا ، ولا يستطيعون لها نقضا ، وإنما استندت الى الكلمة ، وما فيها من عقل منطق . فلم تطلب من الناس أكثر من أن يتفكروا ، وأن يستخذموا ، عقولهم المعطلة ، فإنهم إن فعلوا ذلك فلن تبعد بينهم وبين الرسالة الإسلامية شقة الخلاف بل انهم والرسالة سيلتقيان على طريق واحد إذا فكروا وأخلصوا التفكير ...

﴿ قبل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ﴾ (سورة سبأ ) .

هذا هو عنوان الرسالة الإسلامية ، وهذا هو مفتاحها استخدام العقل ، واحترام معطياته . ليستعمل الإنسان عقله وليفكر فيا تحميل الرسالية الإسلامية من مفردات ليفكر وحده ، بينه وبين نفسه متأملا متعمقا أو ليفكر مع غيره ، يعرض الأمر ويقلبه ، مؤيدا أو معارضا إنه في كلا الحالين سيصل إلى مقررات ان لم تكن حقا خالصا فهي أقرب شيء إلى الحق .

فالعقل في مواجهة الرسالة الإسلامية محمول على أن يفكر وأن يتحرك في كل مجالاته غير مقيد بشيء ، أو مشدود إلى شيء ، بل إن الرسالة

الإسلامية لتغري العقل إغراء على التفكير بما تنادي به من دعوات عالية الى إيقاظ العقل وتنبيهه ، وبما تقدم اليه من صور ، وما تفتح له من مجالات ، تدعو أكثر الناس بلادة وغباء الى استخدام عقولهم ﴿ قُلُ انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (سورة يونس).

### النبوة رحمة

النبوة رحمة راحمة حيث كانت ، وخير عدق حيث أصابت لأنها تحمل كلمة السماء الى الناس محمّلة برحمة الله الى عباده ، موقرة بالخير لمن اتصل بها ، وفتح قلبه لها ... فما بزغ في الناس نبي من أنبياء الله أو رسول من رسله إلا والناس منه في معرض الرحمة ، وفي عارض ممطر بالرفد والخير العميم .

فبين يدي كل نبي نور يضيء دنيا الناس ، ويكشف لهم معالم الطريق الى الخير والحق . وعلى لسان كل كلمات ربانية ترسم للناس مناهج العمل لغايات الخير والسعادة يقول الله سبحانه ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴿ سورة الحديد ) .

ويقول سنحانه ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿ ، ويقول تعالى : ﴿ وما كنَّا معذيين حتى نبعث رسولاً ﴾ ، فأنبياء الله ورسله هم حجة الله على عباده انهم يحملون الى الناس أطواق النجاة حين تضطرب بهم سفينة الحياة وحين تنظمس أمامهم معالم الطريق الى شُطأن الأمن والسلامة ، فن استجاب لهم ، وتناول ما في أيديهم من أضواء الحق وأطواق النجاة سلم ونجا وكان من الفائزين برحمة الله ورضوانه ومن أبي واستكبر أن يمد يده الى هذا الحيل المهدود لنحاته واستنقاذه من الهلاك المطل عليه فيلا بلومنّ إلا نفسه ؟ ومن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلَّ فإنما يضل عليها ، إن أنبياء الله ورسله هم رحمة خالصة ، لا أجر عليها ، ولا منّ معها إنها من الله والى عباد الله ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري إلا على الله ﴾ فما حملت دعوة نبي ، أو رسالة رسول شيئا من شأنه أن يضيق به الناس ، أو يشقوا به ، انها دعوة تحمل الى الناس الحياة الأموات القلوب والهدى لضلالات العقول كا يحمل الغيث الحياة لصنوف الأحياء . وأما من شأنه أن يكون في الأحياء ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمثى به في الناس كن مثله في الظامات ليس بخارج

منها ... ﴾ نعم قد يضيق بعض المنحرفين والمتسلطين بدعوات الأنبياء لان انحرافهم لا يستقيم معها ، ولأن تسلطهم لا يحيا في ظلها ، اذ هي دعوة من شأنها أن تقيم العوج ، وتقضي على التسلط ، وتقيم بين الناس موازين المساواة والعدل .

ومن أجل هذا كان الذين يعادون الأنبياء ، ويصدون الناس عنهم هم دائما أصحاب السلطان ، وأرباب الجاه والغنى ، اذ يحسبون في هذا الذي تحمله الدعوة النبوية الى الناس من عدل وإخاء تضييعا لما معهم من سلطان وجاه ، وذهابا لما بين أيديهم من مال وحطام .. أو هو على أقل تقدير ازعاج لما هم فيه من حال رضوا بها واطهأنوا اليها .

ولو عقل هؤلاء لعرفوا أن النبي لا ينزع سلطانهم ليضعه في يده ، ولا يأخذ مالهم ليضيفه الى نفسه ، فما جاءت رسل الله لطلب جاه أو سلطان ، وما عملوا على جمع المال ، ولا تشييد القصور ، والاستكثار من الحشم والخدم ، ان دعوة النبي وجهاده وكفاحه من أجل الناس ، ولحساب الحق والعدل وليس له من شيء الا ما تفضل الله به عليه من منزلة كريمة عنده ، وتواب طيب لما حمل من عبء الدعوة ولما لقي في سبيلها من عنت وأذى ان أجرى إلا على الله ... ولو عقل هؤلاء الذين يعادون الأنبياء لعرفوا أن دعوتهم هي دعوة الحق والاحسان والعدل والبر ، وأنها لا تتعرض للسلطان العادل ، ولا تقف في وجه الغني إذا كان يؤدي حق الله ، وحق السائل المحروم .

ومن كال حكمة الله سبحانه وتعالى أن لا يخلق الخلق ويتركهم سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولهذا نزّه نفسه عن هذا في غير موضع من كتابه . وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة ، ويقول ما أنزل الله على بشر من شيء فإنه ما عرف الله حق معرفته ، ولا عظمه حق عظمته ، ولا قدره حق قدره بل نسبه الى ما لا يليق به ، ويأباه حمده ومجده ...

كون الله سبحانه وتعالى إلهاً ، فان ذلك مستلزم لكونه معبودا مطاعا ، ولا سبيل الى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله وكونه ربا ، فان الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم وجزاء محسنهم باحسانه ،

ومسيئهم باساءته ، هذه حقيقة الربوبية وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة .

وكون الله رحمانا رحيا ، فان كال رحمته : أن يعرّف عباده نفسه وصفاته ويدلهم على ما يقربهم اليه ، ويباعدهم منه ويثببهم على طاعته ، ويجزيهم بالحمنى ، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة ، فكانت رحمته مقتضية لها والله سبحانه وتعالى ملك ، والملك يقتضي التصرف بالقول كا أن الملك يقتضي التصرف بالفعل ، فالملك هو المتصرف بأمره وقوله ، فتنفذ أوامره ومراسيه حيث شاء ، والله له الملك فهو المتصرف في خلقه بالقول والفعل وتصرفه نوعان : تصرفه بكلماته الكونية ﴿ كن فيكون ﴾ وتصرف بكلماته الدينية ، ولهذا أرسل رسله الى الناس ليعرفوهم ربوبيته . وملائكته والايان بهم لأنهم رسل الله في خلقه ...

وهناك يوم الدين ، وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا ، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي ...

وان الله سبحانه لا يعبد إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا سبيل للخلق الى معرفة ما يحبه ويرضاه إلا من جهة رسله ، فانكار رسله انكارا لكونه معبودا ، وأنه هاد الى صراط مستقيم وهو معرفة الحق والعمل به ، وهو الطريق الوحيد الموصل الى طاعة الله ، ولا يعلم ذلك إلا من جهة الرسل .

والله سبحانه وتعالى منعم على أهل الهداية ، فإن انعامه عليهم انما تمّ بارسال الرسل إليهم ، وجعلهم قابلين للرسالة مستجيبين لدعوته ، وبذلك ذكرهم منته عليهم وانعامه في كتابه .

انقسام خلقه الى منعم عليهم ومغضوب عليهم وضالين فان هذا الانقسام ضروري بحسب معرفتهم للحق والعمل به: الى عالم به عامل بموجبه وهم أهل النعمة ، وعالم به معاند له ، وهم أهل الغضب ، وجاهل به ، وهم أهل الضالين ، وهذا الانقسام انما نشأ بعد الرسل فلولا الرسل لكانت أمة واحدة ، فانقسامهم إلى هذه الاقسام مستحيل بدون الرسالة ، وهذا الانقسام ضروري بحسب الواقع فالرسالة ضرورية ..

### الرسالة المحمدية

وإذا كانت دعوات الأنبياء رحمات وبركات على الناس في أجيالها وأوطانها ، فإن رسالة محمد على الأبيام والملة ، وبركة عامة للناس جميعا من كل أمة ، ومن كل جنس على مدى الأيام والدهور ...

انها رسالة لا تخص أمة من الأمم ، ولا تنتهي عند زمن من الأزمان ، فهي ليست للعرب وحدهم وليست لعصر النبوة وحده . فما العرب فيها إلا لسانها وترجمانها وما عصر النبوة إلا مطلعها ، ومجلى أنوارها ، ثم هي بعد ذلك رحمة مشاعة في الناس كلهم وحظ مقسوم لجميع الأزمان ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والأرض لاإله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ (سورة الأعراف) ومن أول آية نزلت من القرآن شعر النبي أنه رسول الله الى الناس كافة إذ كانت الآية شارحة لقضية الانسانية ، من حيث أنها مخلوقة من معدن واحد ، فليس شارحة لقضية الانسانية ، من حيث أنها مخلوقة من معدن واحد ، فليس الوطن ، ولا في الزمن السابق أو اللاحق ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق ، خلق الانسان من علق ﴾ فهذه أول آية يتلقاها الرسول من معلوقات الله ، قد خلق ( الانسان ) من علق ...

هذا هو عنوان الرسالة المحمدية : الانسان .. الانسان مطلقا في أي زمان ، وفي أي مكان ...

القرآن الكريم كله في أحكامه وتشريعاته ، وفي أمره ونواهيه وفي نصائحه ووصاياه يخاطب الناس جميعا ، ويدعو الناس جميعا بهذه الكلمة العامة الشاملة ﴿ ياأيها الناس ﴾ أو ﴿ يا بني آدم ﴾ أو ﴿ يأيها الانسان ﴾ ولم يختص العرب وحدهم أو قريشا بخطاب أبدا ، فلم يقل ياأيها العرب ، أو يا بني عدنان وقحطان . كا كان ذلك شأن أنبياء الله ورسله في أقوامهم ، ومن أرسلوا اليهم ، فكان كل نبي

يدعو قومه خاصة كا حكى القرآن الكريم ذلك في قصص الأنبياء: ﴿ الْعَا أُرْسِلْنَا نُوحا الى قومه أَن أَنْذُر قومك من قبل أَن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ﴾ الى غير ذلك من الآيات التي تخاطب أقوام الأنبياء.

هذه رسالة محمد علي قد حملها صاحبها - بتدبير الساء - الى الناس كافة ، فأذنهم من أول يوم بما أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يؤذنهم به : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسِ انِّي رسول الله اليكم جميعا ﴾ وجاءت آيات الكتاب تحمل أحكام الشريعة للانسانية كلها: ﴿ يِمَا أَيُّهَا النَّاسِ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ﴿ يا أيها الناسُ اتقوا ربكم أن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا ﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ﴿ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطانُ كَا أُخرِج أَبِـويكم من الجنــةُ ﴾ وهكـــذاً تكررت دعوة الاسلام على لسان الرسول عَلِيُّهُم ، وفي أيات القرآن في تلك الصورة العامة للناس جميعا لا يلتبس بها شيء من التخصص بأمة دون أمة أو جيل دون جيل فهي خير مطلقا للناس جميعا ورحمة مبسوطة لكل من يتعرض لها ويمد يديه إليها.

وقد ظهرت آثار هذه الدعوة الشاملة العامة منذ اليوم الأول للاسلام ، فدخل فيه العبيد والاحرار ، والعرب والعجم ، فكان بلال العبد وسلمان الفارسي من أول الناس اسلاما . سئل الرسول عَلَيْنَةٌ من أول من بايعك على الاسلام ؟ قال : « حر وعبد » . قيل أن الحر هو أبو بكر والعبد هو بلال رضى الله عنها ..

وكان من مقررات الرسالة المحمدية دعوة النبي للملوك والقياصرة والرؤساء من غير العرب، فبعث النبي عَلِي بكتبه ومبعوثيه الى النجاشي

ملك الحبشة والى كسرى ملبك الفرس، والى المقوقس رئيس القبيط في مصر، يدعوهم جميعا الى الايمان بالله، والاستجابة لله ولرسوله، فالملوك والسوقة، والاحرار والعبيد، والرجال والنساء كلهم مدعوون الى الايمان بالله، والاستجابة لداعي السماء. ثم انه لم تمر سنوات على الدعوة الاسلامية حتى دخل في دين الاسلام كثير من الأمم والشعوب من جميع الاجناس ومن مختلف الأمم، وكان مكانهم في الاسلام بمنزلة واحدة لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسِ إِنَا خَلَقْنَاكُمُ مَنْ ذَكُرُ وأَنْ يُ وَجَعِلْنَاكُم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ إن الله عليم خبير ﴾ (سورة الحجرات).

الرحمة التي جاء بها محمد طلية ، فالقرآن الكريم تكلم عليها في غير ما موضع فقال مخاطبا النبي الكريم ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وقال سبحانه ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ فالرسول مبعوث لرحمة الناس جميعا ، وليس لشيء في باب الرحمة بالناس أفضل من استنقادهم من الضلال وتزكية نفوسهم وتطهيرها من الرجس ، ان ذلك يعادل الحياة بعد الموت ، والبصر بعد العمى ، والسمع بعد الصم ﴿ أومن كان ميت فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ؟ ورسالة محمد والله تحمل للناس جميعاً الهدى في رفق ، وفي لين ، فليس فيها البريق الذي يخطف الأبصار ثم يخبو ، وليس فيها العنف الذي تنقطع له الانفاس ، وينقطع دونه جهد كثير من الناس إنها ليست رسالة عذاب كا كانت كثير من الرسالات قبل مجيء محمد عليه ، فكان اتباع الرسل قد تطبعوا بطبائع الوحوش الكاسرة ، ولم يمتثلوا لما جاءتهم به رسلهم الكرام وتمادوا في طغيانهم فتنتهي حياتهم بالبتر الحاسم والتدمير الكامل بالمجتمع المريض ، فقد شهد كثير من الرسل مصرع أمهم ، واستئصال فروعهم وأصولهم ولم ينج منهم الا قلة تعد على رؤوس الأصابع قال تعالى : ﴿ الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة ، كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ﴾ ﴿ وأنه أهلك عادا الأولى ، وثمودا فما أبقى ، وقوم نوح من قبل ، انهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ فالهلاك الجماعي والابادة العامة ، والاستئصال الشامل لهؤلاء المنحرفين داعية من دواعي التأمين للانسانية ، وحمايتها من عدوى هذا الانحراف الذي لا يرجى له شفاء ! والذي ان عاش في الناس امتد عدواه الى غير المصابين به ..

أما الرسالة المحمدية فانها لم تجيء من أجل أمر عارض ولا لحالة طارئة في جيل من أجيال الناس ، وانما جاءت للناس جميعا في جميع أحوالهم...

ولهذا لم يكن من تدبيرها تلك الاجراءات السريعة الحاسمة التي تنهي الموقف بين النبي وقومه في لحظة واحدة ، ينتهي فيها كل شيء ، ويسكن فيها كل شيء ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ بل ان تدبيرها قائم على ترويض الناس ، وأخذهم بالرفق ، واعطائهم الدواء جرعة بعد جرعة على فترات متفاوتة ، ولم يكن لرسالة عامة شاملة أن تجيء على غير التدبير والتقدير لكي تنجح في مهمتها ، وتبلغ الغاية المرجوة منها .

والذي ينظر الى رسالة محمد عليه يجدها أنها تناولت الحقائق العامة ، والأحوال الثابتة التي تعيش في الناس ، ويعيش بها الناس في جميع الظروف والأحوال ولم تقف عند الحالات التي لا تقع الا في النادرة الشاذة من الحياة ...

ولك أن تأخذ أي مبدأ من مباديء الاسلام ، وأي حكم من أحكامه ، وأن تنتقل به عبر الأزمان ، وأن تطوف به في مختلف الأمم والشعوب ، فإن رأيت فيه نبوا على الحياة أو مجافاة لطبائع الناس ، أو تخلفا عن مواطن الخير والفلاح لمن اعتقده وعمل به \_ فلك أن تسىء الرأي بهذا الدين ، وأن تنضم الى الجهة المعادية له ، وأنا زعيم لك ان أنت نظرت فأحسنت النظر ، وقدرت فأحسنت التقدير وحكمت فعدلت في الحكم ،

ووقفت الى جانب الحق نه وأن تعود بعد هذا وملء كيانك ايمانا بأن هذا الدين هو الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ...

تلك هي الرسالة التي تلقاها محمد عَلِي من ربه ، ونصب نفسه لها ، وجاهد في سبيلها واحتمل ما احتمل من ألوان الأذى والضر من أجلها ، فكان له هذا النصر المبين ، وكان لرسالته هذه الثرات الطيبة المباركة في الحياة ، بما غرست في القلوب من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبما رسمت للناس من مناهج الحق ، والخير والاحسان ، وتلك عقبي الدعوات الصادقة ، والنيات الخالصة ، لا يخطئها النجاح أبدا ، وان قامت في وجهها العواصف ، واعترضت طريقها المعاثر ، فان يد الله قائمة عليها تشد أزرها وتثبت خطاها ، وتمكن لها أسباب البقاء في الحياة .

# البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم

بعث الله تعالى نبيه الكريم، ورسوله العظيم سيدنا محمدا والتيم حين فترة من الرسل وفي جاهلية جهلاء لا تعرف من الحق رسما، ولا تقيم للعدل وزنا، لقد اصطفاه الله ليكون رسولا للعالمين، بشيرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا حاملا معه مختتم الرسالات السماوية الى الناس كافة، وقد أمده الله بالصبر واليقين والعزم، فواجه بها كفار قريش كلي سلفهم وكبريائهم وجبروتهم وعتوهم وغرورهم فلم يحفل بتهديدهم مدينهم، ولا لان لهم، فعارضوه ورموه بالزور والبهتان، وبالكذب ناره، وهو الصادق المصدوق لم يجربوا عليه كذبا قبط، وتارة يتهمونه بالسحر وهم يعلمون أنه لم يكن من أهله، وتارة يقولون انه مجنون وهم بالخون في كال عقله، وحرلوا مرارا أن يستنزلوه على طريق عبادتهم ليظفروا منه بالموافقة على الاعتراف باعتقاداتهم الفاسدة، فأبي عليه الصلاة والسلام الا الثبات على أوضح طريق الحق...

حمل الرسالة الساوية ، وواجه بها الناس جميعا متحديا عقائد فاسدة ، ومتصديا لقلوب مريضة وعقول عظامة ، وطبائع صلدة متحجة ، فما وهن على الله عليه وآله وسلم ، وما ضعف عن حمل هذه الرسالة ، وصبر على ما شرء به الجبال من الاحمال الشاقة ، فلكم لقى من السفهاء والحمقى والطغاة عظالمين من بغي وعدوان ؟ كيف به وقد بلغ بصبره وجهاده وعزمه ما أراد الله لدنوته أن تبلغ ؟ وهكذا ما آنفك يدعو الى الله فيأتي اليه الواحد بعد الواحد متسللين مختفين خوفا من اعتداء الكفار عليهم ، ولما اشتدت الواحد متسللين مختفين خوفا من اعتداء الكفار عليهم ، ولما اشتدت ما أرب كفار قريش لدعوة الاسلام ، وتكالبت على الرسول وأصحابه قوى وضعيان خاف على الدعوة أن يسكها المنركون على أن تبلغ غايتها ، وتملأ أماع الناس بهديها ، وتفتح مغالق القلوب بنورها ، فخرج مهاجرا من البلد الحرام حاملا لهذه الرسالة الربانية ثم خاض غمار الحروب في سبيلها ، فكان إلى يتقدم صفوف الأبطال والفرسان ..

وقد لقى مكر اليهود في المديسة بلطف ووداعة ، حتى اذالجوا في الصلال ، وتمادوا في الكيد والبغي صدمهم صدمة ألقت بهم خارج الجزيرة العربية كلها ، فبلغ رسالة ربه ، وجاهد في سبيلها حتى اجتمع الناس عليها ، ودخلوا في دين الله أفواجا .

لقد امتن الله على العالم عامة وعلى العرب خاصة ببعثة سيدنا محد على أنه التقل من الضلال الى الهدى ، ومن الظلام الى النور ، ودر الجهل الى العلم ، ومن القسوة الى الرحمة ومن الظلم الى العدل ، ولم يتذوق العالم طعم المدنية الصحيحة ولا الانسانية الكاملة ، ولا الحرية والعدات الحقيقيتين إلا بعد البعثة المحمدية التي غيرت مجرى تاريخ البشر وتفكير العالم ووجهته أحسن توجيه .

البعثة المحمدية صححت العقول الفاسدة ، والمفاهيم الخاطئة للناس ، وسمت بهم ، فأصبحوا لا يؤمنون إلا بالله وسمت بهم ، فأصبحوا لا يؤمنون إلا بالله الواحد القوي العزيز الذي لاإله إلا هو ...

فبهذه البعثة الميونة تحرر الضعفاء من الاستبداد والاستعباد والأفكار والعقائد من القيود والخرافات والأوهام ..

نجحت الدعوة الاسلامية في مكة وربوعها ، وعلى العرب المتعصبين الضالين ، ومن بعد نجحت في العالم شرقا وغربا ، وسرُّ نجاحها وتغلبها على العقبات والصعاب ، يرجع الى المسلمين الذين تمسكوا بالعقيدة تمسكا قويا ، بالإخلاص لها والتفاني في سبيلها ، فقد كانوا يقدمون على المعركة في سبيل الله وهم أقلة في عددهم وعدتهم يجابهون كثرة من الأعداء ، وهم في صلفهم وغرورهم بخلاف المؤمنين الذين يلقون أعداءهم مستبسلين يرجون رضاء الله ، ولا عليهم في ذلك أعادوا الى الديار سالمين منصورين أم فاضت أرواحهم الى ربها راضية مرضية .

وأول معركة في الاسلام هي غزوة بدر الكبرى انتصر فيها التوحيد على الشرك ، والحق على الباطل وغلبت الفئة المؤمنة الصابرة الكثرة المتعجرفة ، ما هي إلا دليل على الاخلاص والصبر .

وقعت هذه الغزوة المباركة في السابع عشر من شهر رمضان المعظم في السنة الثانية من الهجرة ... كان الاسلام المهاجر لا زال خافض الجناح في المدينة وكان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار لا زالوا تحت البلاء يتحن الله صبرهم بالالم ، ويختبر ايمانهم بالفتنة ليجتبيهم لنشر دعوته ويعلم الذين يصطفيهم لتبليغ رسالته ، فلما أراد الله لدينه أن يسود ولمجده أن يعود ، ولنوره أن يتم ، أرسل جنوده الثلاثمائة نفر الى وادي بدر يعتقبون على سبعين بعير ، ويستعينون بصبر المجاهد على قلة الزاد وبعزة المؤمن على الذل ، وبعفة الزاهد على الفاقة ، كانوا يسيرون الى بدر في استغراق الصوفي الى ما وعدهم الله احدى الطائفتين ـ العير أو النفير ، أو إحدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد .

فهوقف غزوة بدر من الشرك كان موقف محنة ، فاما أن يقود محمد على الله والما أن يردها أبو جهل الى مجاهل التيه والضلال فتهلك ...

وقفت مدنية الانسان بأديانها وعلومها وراء محمد مَلِي وراء القليب، ووقفت همجية الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبي جهل على الكثيب، فكان طريق وعقبة، ونور وظلمة، وإله وشيطان فاما أن يتمزق تراث الانسانية على هذا الصخر، ويتبدد نور الله في هذا القفر، واما أن تتم المعجزة فتفيض الحياة على الناس من هذا البئر، ويتصل الماضي بالمستقبل من هذا الطريق، ويبدأ التاريخ عهده الجديد بهذه المعركة الفاصلة ...

كان النبي ﷺ أمام العريش يدعو ربه ووجهه الى القبلة ، ويداه الى الساء ، ورداؤه من الذهول في الله يسقط عن منكبيه فيقول : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة ، فلن تُعبد في الأرض » (1) فيرد الصديق عليه رداءه ، ويقول بعض هذا يا نبي الله فان ربك منجز وعدة ، وما هي الا خفقة من خفقات الوحي حتى نزل

<sup>1)</sup> شطر من حديث طويل في غزوة بدر . اخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس

الوعد بالنصر ، وجاءت البشرى بالجنة ، فغاب المسلمون في اشراق عبيب من الايمان لا يرسم في أدهانهم الا الحور العين ولا يصور في أعينهم إلا الملائكة وقد قذف الله في قلوب المشركين الرعب فانهار السدّ الغليظ أمام النبع النابض من صخور بدر ، وانجاب القتم الكثيف عن النور الوامض من ربوع يثرب ، وانكشفت المعجزة الالهية عن انتصار ثلاثمائة على ما يقرب من ألف جندى من جيش الضلال والشرك ...

غزوة بدر غيّرت وجه التاريخ ، ومكّنت للمسلمين العرب أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الدين ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم والوحي ، لم يكن النصر فيها غرة من غرة السلاح والكثرة ، ولكنه كان غرة من غرة الايمان والصدق ، قوة من الله فيها الملائكة والروح ، وفيها الأمل ، والمثل العليا ، فيها الحب والإيثار فلا تبالي بالعدد الكثير ، ولا ترهب السلاح ، ولا تعرف الخطر ...

بهذا الايمان الصادق خلق الله من الضعف قوة في غزوة بدر والقادسية واليرموك ، وبهذا الايمان الصادق جعل الله من البادية والعروبة عرانا صادقا طبق الأرض بالخير وملكا نظم الدنيا بالعدل ، ودينا ألف القلوب بالرحمة .

بهذا الشعور القدسي ، وبهذا اليقين النفسي وقف المسلمون في كل معركة انتصروا فيها عبر التاريخ ، فالدعوة المحمدية تتطلب من المسلمين أن يعملوا لدنياهم ولأخراهم فتريدهم أن يكونوا شجعانا فيا يقولون ، وفيا يعتقدون ، ويفعلون لا يخشون في الله لومة لائم . وليست الشجاعة مقصورة على الحروب والمعارك ، فان الدعوة الى الحق في عالم ضال شجاعة ، والدعوة الى الإصلاح في أمة فاسدة النظم شجاعة ، والاستماك بالعقيدة شجاعة ، مها أوذي صاحبها ، والدفاع عن الدين أو العرض أو الجار المضطهد أو الأجير المظلوم شجاعة ، والشجاعة تعد فضيلة لأنها مجازفة بالحياة ، والحياة أغلى ما يملك الإنسان . أما الجبن فانه رذيلة لأن صاحبه يرضى بالمذلة والمهانة ، ونذير باسترار الضعف والتخلف والفوضى ، ان تاريخ المسلمين لحافل بأعلى ونذير باسترار الضعف والتخلف والفوضى ، ان تاريخ المسلمين لحافل بأعلى

المثل في الشجاعة التي ناصرت الحق على الباطل ، وأزرت الخير على الشر وظاهرت الصلاح على الطلاح ..

كان المسلمون الأولون على أهبة الاستعداد دامًا لما عساه أن يطرأ عليهم من الحوادث ، فاذا نزلت حادثة فجأة تجدهم مستعدين لها ، وشجاعة المسلمين في سبيل اقامة شعائر دينهم ، ومسارعتهم في رضى الله لا تحتاج الى برهان ، قال الله عز وجل في حقهم : ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ﴾ (سورة آل عمران).

كان النبي عَلِي شجاعا يقود المعارك ويتقدم الصفوف ، ويتصدى لكل بطل موهوب ، يقول سيدنا علي كرم الله وجهه ، « إذا حمى البأس ، واحمرت الحدق إتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو وقد ثبت في غزوة حنين لما تفرق عنه أصحابه ، فكان يسير نحو العدو » ، وهو يقول : « أيها الناس تعالوا إلى أنا محمد رسول الله أنا محمد بن عبد المطلب » (1).

وكان أبو بكر رضي الله عنه شجاعا لا ينثني عن عزيمة يعتقد فيها خيراً للاسلام ، فقد فوجيء إثر توليته للخلافة بارتداد العرب عن الإسلام ، وكان هذا الإرتداد ممثلا في رفض الصلاة والزكاة فقال :

« والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ما تركتهم ، ولو خذلني الناس لجاهدتهم وحدي » ( 2 )

ولم تكن مشكلة الصلاة والزكاة فحسب ، بل مشكلة الوحدة أيضا التي إنقصت عراها ، وأصبح المسلمون طوائف متنافرة متناحرة ، فكيف يطيق أبو بكر مشاهدة الأمة التي جمعها الإسلام ، وأنقذها من الكفر تتفرق وأعضاؤها تتناحر ، ووحدتها تتزق ، وكيف يمكن للعصاة الثائرين أن

<sup>1 )</sup> أخرجه بن هشام ومسنده صحيح .

<sup>2)</sup> القصة ثبتت في صحيح البخاري . ورواها مالك ـ بلاغا ـ

يحقّقوا أغراضهم ؟ فهذا ما لا يطيقه أبو بكر أبدا وكان سيدنا عمر رضي الله عنه شجاعا في إعلان رأيه متحديا كفار قريش ، ولما تولى الخلافة رتبي المسلمين على خلق الشجاعة وحثهم على أن يعلّموا أولادهم السباحة والرمى وكذلك كان سيدنا على كرم الله وجهه بطلاً شجاعا منذ نشأته إلى وفاته شجاعا في كل حرب خاضها ، شجاعا في كل رأي أذاعه ، وكل عمل قام به ، هذا الشرف العظيم الذي أحرز عليه المسلمون الأولون لم يأتهم تلقائيا ، أو جاءهم عفوا ، بل قدموا في سبيله الأموال والمهج والتضحيات الجسام ، والقرآن كان يرغبهم في الشهادة بقوله عز وجل : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ ( سورة آل عران ) الى غير ذلكً من الآيات الكثيرة التي تحث على الشهادة ، ويجـد المطلع على سيرة ابن هشام أحاديث للشهادة تطّيب لها النفوس ، وتهتز لها المشاعر في كل غزوة غزاها سيدنا ونبينا محمد عليات كان يبين للشهداء من الآيات البينات ، وكان يقول : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » (1) رواه الإمام أحمد ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لما أصيب إخوانكم بأحمد جعل الله أرواحهم في جوف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجد واطيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا إننا أحياء في الجنة نرزق ألا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، ققال الله أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله الآية السابقة . ولا تحسبن الخ » (2) وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ما من مؤمن يفارق الدنيا لا يحب أن يرجع

<sup>1)</sup> أخرجه أحمد في مسنده - الطبراني - الحاكم - عن ابن عباس - حسن -

<sup>2)</sup> أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس ورجاله ثقات وصحعه حبان والحاكم ووافقه

إليها ولو ساعة من نهار ، ولو أعطيت له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فانه يحب أن يرد الى الدنيا فيقاتل في سبيل الله فيقتل مرة أخرى » (1) ...

الدعوة الاسلامية كانت في الصدر الأول دعوة ربانية وقيادة في ممارستها وتنظيمها ، تخلف المسلمون يوم تخلفوا عن القيادة الفكرية ، وتقاعسوا عن حملها وأساءوا تطبيقها .

لم يتخلف المسلمون الحاضرون عن الركب الحضاري نتيجة تم بدينهم - كا يقول بعض المغرضين - وإنما بدأ تخلفهم يوم تمسكوا بالمبادي الوضعية ، وسمحوا للعوائد الأجنبية أن تدخل ديارهم وتحتل أذهانهم وتستهوي أبناءهم ، ولن يستأنف المسلمون الحياة الإسلامية إلا إذا حملوا دعوة الاسلام بقيادة فكرية إسلامية ، ويجب أن تحمل الدعوة كا حملت من قبل إقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن تحيد عن ذلك قيد شعرة ، ودون أن يحسب لاختلاف العصور أي حساب لأنها اختلفت فيها الوسائل والأشكال ، أما الحقائق والجواهر لم تختلف ، وينبغي لحامل الدعوة أن يكون صريحا في الحق وجريئا على الباطل ، وقويا بالإيمان ، ويجب على حامل الدعوة أن يدعو إلى سيادة الإسلام سيادة مطلقة بغض النظر عما إذا وافق الناس أم خالفهم ، ويعلن أحكام الإسلام سواء رضي بها الناس أم رفضوها ، فحامل الدعوة لا يتملق ولا يجامل من بيدهم الأمور .

حمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القيادة الفكرية في مكة فلما وجد أن أبناءها لا يحققون الغاية هيّاً أبناء المدينة لذلك ، ثم أوجد الدولة وطبّق الإسلام على المجتمع المدني ، وأحدث فيه إنقلابا في العقيدة ، وتقوية الصلة بالله ...

و يجب على كل من ينتمي إلى الإسلام أن يؤيد الدعاة في مهمتهم كواجب مكلفين به ، وأنهم مسؤولون أمام الله إذا لم يقوموا به ، قال الله :

 <sup>1)</sup> ورد بلفظ يقارب في صحيح مسلم . رواه الترميذي من حديث أنس . ورواه النسائي من حديث عبادة بن الصامت

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (سورة يوسف ) .

لقد نوّه الله سبحانه وتعالى بهذه البعثة الميونة ، والمنة الكبرى التي امتن بها على العالمين ، والنفحة الربانية العظيمة ، والرحمة المهداة ، ألا وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا رسالته لما اهتدينا ، ولا تحلّينا بسائر مكارم الأخلاق ، والخلال الحيدة التي سعدنا بها في ديننا ودنيانا أفرادا وأما .

وضعت هذه الرسالة الإلهية الخالدة حدا فاصلا لعصر الجاهلية وافتتحت عهدا جديدا ، عهد النور والعلم ، والعدل والمسامحة والإتحاد ، ودعا الناس إلى دين واحد ، وعبادة إله واحد ...

هيّأ الله صاحب الرسالة منذ صغره لجملها ، فحلاه منذ نشأته بالعلم الذي لا يشوبه جهل ، وبالفضيلة التي لا يعتريها نقص ، وبالصدق الذي لا يخالطه كذب ، فجمع له غرر الفضائل التي فاق بها الأولين والآخرين ، فنهل منها الناس على اختلاف أجناسهم ، ولا تزال على حالها منهلا عذبا للواردين من أصحاب اليين والسابقين ، قال تعالى : ﴿ وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (سورة النساء) .

فقد جمع له من مكارم الأخلاق ما تفرق في غيره من النبيئين والمرسلين وقدمه عليهم بقوله : ﴿ وَاذْ أَحَدْنَا مِن النبيئين ميشاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميشاقا غليظا ﴾ ( سورة الاحزاب ) . فصلوات الله وسلامه عليهم أجمين ...

أكرم الله الأمة الإسلامية بخاتم الرسالات الذي زكّاه ربه وطهره من أدران الجاهلية ، فكان صلوأت الله وسلامه عليه يتقلب في أصلاب الساجدين وأرحام الطاهرات حتى برز إلى الوجود ، ولم يخرج من سفاح قط كما أخبر هو عن نفسه ...

فيلادك يا سيدي يا رسول الله كان حادثا سعيدا على البشرية جمعاء ، اهتزله الكون ، وطربت الساء ، وهتفت له الملائكة وابتهجت به الرسل ، وتغنت به الأطيار من فوق أيكتها ، وعمّت الناس البهجة والسرور ، ومادت الأرض فرحا بأمر ربها وأصغى الكون لما ترتله عليه من الآيات الباهرات ...

فها هي رسالتك ـ يا رسول الله ـ يكتب لها الخلود على الأبد ، ودعوتك تخرق الحجب الكثيفة ، وتغذي العباد في كل زمان ومكان وأينا حلّت تزيل الظلام والشرك من طريقها ، وتعصف بالظلم والظالمين ، ولا زالت تغزو المجاهل والأغوار والأدغال ، والصحاري والبحار فتثير القلوب الهامدة ، وتهيب بها إلى التوحيد فتنقذها من رذيلة الشرك والشك ، وتزيل عنها الحيرة والضلال ، وترفع عنها الإلتباس والغموض ، لا زال الناس يسيرون على هديها المستقم وطريقها الأمثل بعدما مض عليها أربعة عشر قرنا من بعثتك الميونة ، وصيحتك المدوية في الآفاق لا زالت ترن في الآذان إلى الآن وإلى الغد ...

سيدي يا رسول الله ـ سيرتك العطرة لا زالت غظة طرية لم يجد لها الزمان بديلا ، فأخلاقك العليا التي شهد لك بها التنزيل لا زالت محل اندهاش وإعجاب من طرف الأجيال المتعاقبة التي جاءت من بعدك ، وفي مقدمتهم العباقرة والفلاسفة والعلماء ، بل أصبحت شمسا منيرة في كل قلب طاهر نقي اللهم إلا ما كان من قلب حاسد فأعمى بصره وبصيرته ، نورك الوهاج فهو لا يبصر النور كالخفافيش التي تعيش في الظلام ، هكذا صاغك ربك ظاهرا وباطنا فكنت سر الوجود .

فنهاجك الرباني طهر النفوس من دياجير الشرك ، وأنارها بالتوحيد فرجّعها إلى فطرتها السلية التي فطر الله الناس عليها ، وأقام صرح العدل شامخا ، فأصبح الناس سواسية في هذه الحياة لا تفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح النافع للبلاد والعباد ، لا زال هو المنهج الوحيد الذي يكرم الانسانية ، ويحفظها من شوائب الظلم والطغيان ، لم يرق إليه أيُّ منهج من مناهج الناس الكثيرة بعدما تقدم العلم وصال الفكر في مجال العلوم

ومعارف الدين الذي جئت به ـ يا حبيب الله ـ ظهر على جميع الأديان كلها قال الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ (سورة الفتح) ...

هذا الدين حق ، وإن ارتاب فيه المبطلون ، وعارضه المكذبون وكفى بالله شهيدا على استقامته ، وما دام هناك تأييد الله لهذا الدين فلا بد أن يسود ...

تجلت عناية الله بهذا الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه فبعث إليه رسوله الكريم على حين فترة من الرسل بالإسلام الذي هو خلاصة الأديان المنزلة من قبله ، فأنقذ صلى الله عليه وآله وسلم العالم مما كان يتخبط فيه من الجهالة والحيرة والشرك والضلال بعد تضحيات جسام فحقق له ما كان ينشده من إيمان بالله وعبادته وحده ، وعدل ومساواة بين الناس ، وكرامة وحرية وإخاء ...

بهذه الرسالة كان المبعوث رحمة للعالمين ، بهذه الرسالة إلتقت السهاء مع الأرض ، والروح مع المادة ، بهذا الرسول الكريم كان خاتما للرسالات السهاوية ، وإيذانا بالوحدة البشرية ، الوحدة الشاملة التي لا تفرق بين أبيض وأسود ، الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ...

لما تمت النعمة وكمل الدين ، وبلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسالة ربه أحس بقرب أجله وخروجه من الدنيا ذكر الفقراء ، وكان طول حياته لا يرغب في المال ، وكان كلما جمع منه شيئا أنفقه في الصدقات ، وقد أعطى لعائشة رضي الله عنها يسيرا من المال لتحفظه فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته وغاب في سنة ، ولما أفاق سألها إن كانت أنفذت أمره ، فأجابته بد: « لا » ، فأمر بالنقود إلى العائلات المعوزات فوزعت عليهم ،

« عندها استراح عَلِي لانه كان يخشى أن يلاقي ربه وقد ترك في بيته مالاً لم ينفقه على عباد الله » ..

وكان في مرضه يخرج كل يوم ليصلي بالناس ، واخر يوم خرج فيه ، وهو متكيء على الفضل بن عبّاس ، وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، وقصد منبر الخطابة الذي كان يعظ عليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطب في المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال :

« أيها الناس تسمعون قولي إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه ، وإن كنت أسأت سمعة أحد فليتهم من سمعتي وإن كنت سلبت أحدا ماله فإليه مالي يقتص منه ، وهو في حلّ من غضبي ، فإن الغلّ بعيد عن قلبي ، ثم نزل على المنبر وصلى بالجماعة ، ثم دعا لشهداء البقيع ولمن حارب معه ، وطلب الرحمة والغفران ، وكان مشهد النبي في ذلك اليوم مشهد إجلال ووقار ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يبكى ويقول : هلا افتدينا روحك بأرواحنا » ، ثم أوصله الصحابة إلى بيت عائشة رضي الله عنها ، واضطجع تعبا مهزولا ، وبدأ المرض يشتد عليه ، فتخلف عن الصلاة ، قيل له قد جاء وقت الظهر ، فأشار الى أبي بكر ليصلى بالناس ، وأخبرت عائشة عن حالة احتضاره ، فقالت كان رأس رسول الله مسندا إلى صدري وبقربه قدر ماء يقوم ليضع فيها يده ، ويسح جبينه ويقول : « رب أغنى على تحمل سكرات الموت أدن مني يا جبريل رب اغفر لي ، واجمع بيني وبين أصدقائي في السماء » ، ثم ثقلت رأسه ، ومال ثانية إلى صدري ، والتحقت روحه الطاهرة بالرفيق الأعلى صلى الله عليه واله وسلم .

## محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يجب علينا ـ أيها المسلمون ـ أن يكون الرسول الحجوب لنا أسوة حسنة كا قال الله عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ، هذه الأسوة تمثلت في أخلاق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، حتى فاضت على أصحابه لأن الله تولى أدبه كا أخبر هو عن نفسه قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » (1) وأخبر الله عن أخلاقه في كتابه الكريم فقال : ﴿ وإنَّك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال أيضا : ﴿ ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ سئلت السيدة عائشة عن أخلاق الرسول مَرَاكِيَةً قالت كان : « كان خلقه القرآن » (2) .

الأخلاق متفاوتة بين الناس، وأخلاقه في الذروة منها، وأنها على درجات، والقرآن يذكر هذه الدرجات فيقول: فمنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، أو ثلبة من الأولين وقليل من الآخرين، أو درجة المقربين السابقين أو العافين عن الناس والله يحب الحسنين. ولاشك أن رسول الله في أعلاها والقرآن الكريم يحدد هذه الدرجة التي تكامت عليها السيدة عائشة بقوله: ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ ما هو هذا الخلق السيدة عائشة بقوله: ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ ما هو هذا الخلق هذا الخلق يشاركه فيه أحد من الأنبياء والملائكة، أم خاص برسول الله عليه الله عليه السلام إنّ إبراهيم لحليم أواه منيب، أو كسيدنا إساعيل وكان عند ربه مرضيا، أو كسيدنا عيسى عليه السلام وقد جعله الله مباركا، أو الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكن القرآن يحسم الأمو في ذلك ، ويبين صاحب الخلق الأعلى وهو النبي محمد المبعوث إلى الناس كافة وخاتم الانبياء، وأول المسلمين على الإطلاق فقال: ﴿ إن صلاقي ونسكي وعياي ومماتي لله رب العالمين الأشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (سورة الأنعام) هذه لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (سورة الأنعام) هذه

<sup>1)</sup> قال فيه ابن تيمية : المعنى صحيح ـ لكن لايعرف له اسناد ثابت

<sup>2)</sup> رواه أحمد وأبو داود عن عائشة . ومسلم عن حكيم بن حزام بلفظ مشابه

الاية الكرية تبين درجة الأخلاق الكاملة التي وصل إليها سيدنا محمد صلى الله عليه وأله وسلم عند ربه ، ولقد بعث والله لا يتنم مكارم الأخلاق » (1) فإنه لم يبعث لينشرها فكانت منشورة ولكنها لم تتم ، وعلى هذا كانت الإنسانية ناقصة قبل مجيئه صلى الله عليه وآله وسلم فكانت تريد شخصية أن يزكيها الله ويطهرها ، ويبارك في روحها ، وكان لا بد من هذه الشخصية المباركة ليكمل بها الدين وتتم النعمة ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تمت النعمة الكبرى ، وأكمل الله له الدين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ وبعدما تم هذا الدين وتمت النعمة قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين ﴾ وهكذا كانت هدايته لجميع الناس ، وربطت صفاته الخلقية بينهم برباط وثيق ، وكانت قيادته صلى الله عليه وآله وسلم ملهمة الخير لهذه الأمة ...

كان الصدر الأول من سلفنا الصالح مملوئي القلوب بالحبة لله ولرسوله مشغولي الجوارح بالطاعة ، طاعتهم ابتهال لله ، وإنابة اليه ، ألسنتهم ذاكرة ، وقلوبهم خاشعة ، وجوارحهم ساعية حافدة ، كانوا ممتثلين لأوامر الله بعيدين عن النواهي فحبتهم لله ولرسوله كانت مجلوة في مظاهر الإمتثال وإتباع السنة ، والإقتداء الكامل محفوفا بالوقار الشامل . قلوبهم عامرة ، وأجسادهم مجتهدة مجاهدة في كل مظنة قرب من الله ورسوله .

سيدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليك ـ الهدى ما بين الله وبينت ، وما أمر الله وبلغت فلنذكرك ونعظمك ونقدسك ، وليكن في ذكرنا لك ذكرى لكل قلب منيب ، وليخشى كل مدعي محبتك أن يبتدع فيا جئت به ، فما قصرت يا رسول الله في التبليغ ولا كتمت ، ولا تركت حاجة لمبين بعدك إلا تذكيرا وتعليا وتبصيرا ، فذكرنا لك يا رسول الله هو أن ننشر هديك ، ونحيي سنتك ، ونسلك سبيلك ، ونحارب البدع التي حذرتنا منها ...

<sup>1)</sup> صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في السنن ـ عن أبي هريرة .

الصلاة والسلام عليك يا خير مولود ، ويا خير مبعوث ، حق للعالم أن يفرح بمولدك الشريف كا كانت فرحت العظمى ببعثتك السعيدة . موفقامن ذكرك ، فإن الله لا يقبل أن يذكر ولا تذكر ، موفقا من عرّ أوقاته بالصلاة والسلام عليك واجتلى أنوارك عند كل مناسبة طيبة تذكر فيها .

كان المسلمون الأولون في احتفال دائم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينفذون شريعته ويطيعون أوامره ويرددون ذكره بكل إجلال وتعظيم ، واخلاص ومحبة في كلمتي الشهادة : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، وفي أذان الصلاة ، والتشهد وغيرها من الشعائر الدينية الأخرى يصلون عليه ويسلمون كلما ذكر اسمه الثريف طاعة وامتشالا لله ﴿ إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ ...

هكذا كان المسلمون الأولون قلوبهم مملوءة بمحبة رسول الله عَلَيْنَةٍ ، فإذا قرأوا القرآن يذكرونه ، وإذ يتحدثون يذكرونه ، وأد يتحدثون يذكرونه ، فحياتهم كلها كانت ذكرا لله ولرسوله ، وقد اشترط الله فين يحبه أن يحب النبي عَلِيْنَةٍ قال : ﴿ قال إِنْ كَنْتُم تَحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ...

لقد كان المسلمون الأولون يتجهون دائمًا إلى الحقائق لا إلى صورها ومظاهرها ، وإلى إصلاح المجتمع بالحق والخير والعدل لا إلى خِداعه بالشكليات التي لا تغني من الحق شيئا ...

وهل كان المسامون الأولون يتصورون أن تقام الذكرى للزعماء والعظماء ويجهلون ذكرى نبيهم ، كلا ؟ لم يقع هذا ولكن جذوة الإيمان فترت في القلوب ، وشغل الناس بالشقاشق عن الحقائق ، وتزيين الظاهر عن تعمير الباطن . غلبت البدع والأهواء على مسلمي اليوم ، وطرأ ما طرأ عليهم ما طرأ على سوالف الأمم فابتدعوا بدعاً سموها طاعات وظواهر زعموها عبادات مع أن صميم العبادة الاسرار بالذكر وتعمير القلوب بالطاعات ،

والتسك بالمأمورات والتجافي عن المنهيات . روى عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على » (1) .

<sup>1)</sup> رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . من حديث \_ أوس بن أوس \_ واسناده صحيح .

### التعريف بالايمان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من شهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله حرّم الله تعالى جسمه على النار » (1) أخرجه الترمذي . وبقيت الأركان الأخرى فهي من الإيمان أيضا ، وأنها لا تقوم إلا بالشهادتين ، والشهادتان بالنسبة الى الاسلام كالروح بالنسبة إلى الجسد .. فشهادة أن لاإله إلا الله محمد رسول الله هي حياة كل جزء من أجزاء الاسلام ، والشهادتان لا تنفصل إحداهما عن الأُخرى ، والمسلم عندما يقول: لااله الا الله ، فكأنه قال: لا مطمئن الا الله ، ولا مستحار الا به ، ولا محبوب ولا معبود ، ولا مالك ولا مطاع ولا معظم ، ولا معتصم به ولا سيد ولا حاكم إلا الله ، ولا يقوم الإنسان بلوازم لاإله إلا الله إلا إذا آمن برسوله الكريم ، وتعرف بواسطته على الطريق الذي يريد أن يسلكه ليحقق بذلك التوحيد والطباعة لله ، ولهذا كان الإيمان بالرسول شرط في الإيمان بالله لأنه الدال على الطريق الموصل اليه ، إذ لا يقوم أحد بحق الله إلا إذا عرف رسوله ، ولهذا حكم بكفر من لم يؤمن بالرسول بعد أن أقام الحجة عليهم برسالته ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بن الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ﴾ (سورة النساء). لاإله إلا الله يصدر عنها منهج الحياة ، والمجتمع الاسلامي يقوم على العبودية لله وحده في جميع أموره وشؤونه ...

الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، وإن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق ، فالإيمان المطلق يدخل جميع الدين ، ظاهره وباطنه أصوله وفروعه ، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ، ولم ينقص منه شيئا ، ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان كان قابلا للزيادة والنقصان فهو يزيد بالطاعة ،

<sup>1 )</sup> أخرجه أحمد في مسنده ـ مسلم ـ الترميذي ـ عن عبادة ـ صحيح ـ

وينقص بالمعدية كا هو صريح القرآن قال تعالى : ﴿ ثُم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ (سورة فاطر) . الإيان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر كلما وجد إيان صحيح معتد به وجد معه الإسلام وكذلك العكس ، ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر وأما إذا ذكرا معا مقترنين : أريد بالإيمان التصديق والإعتقاد ، وأريد بالإسلام الإنقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان ...

أما الايمان وحده فهو أخص من الإسلام ، وقد يوجد إسلام بدون إيمان كا في قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قبل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (سورة الحجرات) . فأخبر باسلامهم مع نفى الإيمان عنهم ...

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله » رواه الترمذي .

الإيمان بالله عز وجل هو المبدأ الوحيد الذي أخذ به المؤمنون في الشرق والغرب ، وفي القديم والحديث بل هو الغاية الوحيدة التي خلق من أجلها الناس قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (سورة الذاريات).

الإيمان بالله هو التصديق بالحقيقة الكبرى التي لا تحول ولا تزول ، والإعتراف بوجود الله بواسطة مخلوقاته الكثيرة البديعة الشكل العجيبة الصنع ...

الإيمان بالله هو شعور الإنسان المخلوق بمنزلته المحدودة أمام رب عظيم بيده ملكوت السموات والأرض وكل شيء في هذا الوجود ...

الإيمان بالله هو القوة الباعثة على العمل الصالح ، القوة التي توجمه الإنسان فيما يأتي ويدع في جميع شؤون الحياة كلها ...

الإيمان هو مبدأ عام لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين وطنٍ ووطن هو هداية من الله إلى الخلق أجمعين ، هو قوة روحية ، ودعوة إلى قوة مادية ، هو نظام كامل يقدم للإنسانية فكرة شاملة عن الكون والحياة ، و يجعل العنصر الأخلاقي هو الغاية في بناء الحياة الإجتاعية ، و يكون المسلم متشبعا بالعقل والروح لتنبعث الحياة من داخل النفس .

هذا هو الإيمان ، ولكن بعض المسلمين فهموا أن الإيمان ألفاظ جوفاء ، يظنون أن الإيمان هو الإذعان السلبي الذي لا يكلف صاحب عملا ، ولا يبعث في قلبه خشية ، ولا يؤثر في خلقه تهذيبا ، ولا يدعوه إلى مشاركة في بر أو معاملة في إصلاح ، أو عمل خير ، ويحرص صاحب هذا الإيمان على أداء صور العبادات المفروضة ، والتظاهر بأهل التقوى والصلاح ...

يحسب هؤلاء المسلمون أن هذا الإيمان مقبول عند الله موصول إلى النجاة من عذاب الله ، والسعادة في المدار الأخرى وهم يتلون كتاب الله ، ويعرفون ما وصف الله به عباده المؤمنين في كثير من الآيات .

القرآن يعرّف المؤمنين مستيقنين غير مرتابين ، يعرّفهم مجاهدين صابرين ، ويعرّفهم أصحاب رأي وأهل غيرة على المجتمع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرّفهم متحابين لم يفسد قلوبهم الغل ، ولم تفرقهم الأهواء ، ويعرّفهم أقوياء بالحق يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخشون لومة لائم ، ويعرفهم خاشعي القلوب غير مستكبرين على أوامر الله ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آيات زادتهم إيانا وعلى ربهم يتوكلون ، ويعرفهم حرّاصا على إقامة الصلاة وعلى توطيد صلتهم بربهم ، وعلى تحصين كرائم أموالهم بإيتاء الزكاة ، ويعرفهم بأوصاف الخير والبر التي لا صلاح إلا بها ولا استقامة الا عليها أولئك هم المؤمنون حقا في نظر القرآن ، وأولئك هم المفلحون ...

السعادة في الاتصال بين الانسان وخالقه ، ولست السعادة في المال كا يعتقد كثير من الناس ، ولا في الجاه والمنصب ، ولا في الأبناء ، هذه الأشباء عارضة تزول لا محالة ، فسعادة المؤمن في طاعة ربه لأن الله معه على الدوام ، لأن المؤمن يترقب دامًا رحمة الله ، فبهذا الإيمان بعالج المسلم مشاكله بالحكمة والصر ، يقول الله سيحانه وتعالى : ﴿ قُلْ بَفْضِلُ اللهُ و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خبر مما يجمعون ﴾ الإيمان بالله هو رأس مال المسلم الحقيقي ، وهو شفاء وعزاء للقلوب المحرومة من متاع الحياة الدنيا لأن المؤمن لا ينظر نظرة رغبة إلى من يفوقه في المال ، أو في الجاد ، بل ينظر الى ما عند الله من الرحمة والمغفرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُنَّ قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمـــة خبر مـــا يجمعون \* وقال أيضا : ﴿ إِنَّ رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون \* الذين يكون سعيهم نيل رحمة لا توهن نفوسهم أية خيبة أمل ، أو أية مصيبة تداهمهم ، فالقوة الروحية تدخل إلى نفوسهم العزاء مما يقاسونه من ألام ومتاعب ، أما الذين بغفلون عن رحمة الله فيقعون في مواطن الخطر ، وما أصدق ما وصف به القرآن فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةُ رَبُّهُ الا الضالون ﴾.

### الصبر من الإيمان:

ومن الكلمات التي حرفت عن معناها كلمة الصبر، لقد ذكره الله في القرآن أكثر من سبعين مرة عرّف الله عباده بثراته الطيبة، وما كان له من عاقبة حسنة في الدنيا والآخرة، إنه أساس من أسس الدين وينبوع لكثير من الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، ولقد أتساءل. ما هو الصبر؟ أهو الإستسلام والخضوع وقبول النكبات والمصائب بدون مقاومة؟ أهو الركود والبلادة والإقامة على الظلم؟

كذلك يصوره الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وكذلك صوروه للناس ، فرضي الفقير بفقره باسم الصبر ورضي المريض بمرضه باسم الصبر ، وقد ورضي المظلوم بظلمه باسم الصبر ، وقد أضلوا الشعوب فعلموها أن جور أهل الجور قضاء وقدر يجب أن يصبروا عليه ، وأن ظلم أهل الظلم مظهر من مظاهر التأديب الإلهي ، فعليهم أن يتقبلوه بالرضى ، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لا فكاك منها ولا إرادة لأحد فيها ، وهكذا حتى ثبطوا العزائم عن العمل والسعي ، وأضعفوا المهم ، واستسلم الناس للواقع ، فهل هذا هو الصبر الذي عرفه القرآن وحث عليه ؟ وهل يمكن أن يكون الله تعالى قد أراد هذا المعنى لما أمر عباده به وأثنى عليه ، ورغب فيه ، وضمن حسن عاقبته ، وأعلن أنه يحب أهله ، وأنه سيوفيهم أجورهم بغير حساب ...

الصبر الذي يعرّفه القرآن ويأمر به هو الأخلاق الفاضلة التي تهدي إلى الأعمال الصالحة ، وتتقوى به النفوس المؤمنة . الصبر هو مجاهدة النفس وحبسها عن الضجر والتبرم مع متابعة العمل والسعي ، وعدم الإنكاش والإنكسار ، ولذلك كان الصبر من المعاني الباطنية كالشجاعة على مكاره الجهاد صبر والجود على بذل المال صبر ، والكتمان على المثيرات والأسرار صبر ، إلى غير ذلك مثل العفو عند القدرة ، وضبط النفس في حالة الإنفعال والغضب ...

ذكر الله سبحانه وتعالى أصحاب سيدنا داوود عليه السلام حين رأوا قوة جالوت وأصحابه ، قال بعض منهم : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ـ وهم الصابرون ـ كمن فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ ( سورة البقرة ) لم ترعبهم الكثرة الساحقة ، ولم تنهلهم القوة الماحقة ، ولم يتعللوا بعدم التكافؤ ، فضوا في طريقهم عالمين أن القوة إغا هي قوة الروح لا قوة الأشباح ...

ليس في التكليف أصعب من الصبر، فيجب على المؤمن أن يصبر على التكاليف الشرعية كالصلاة والوضوء والزكاة والصوم والحج، ويتنع عن الحرمات والشهوات ، وأن يصبر على القضاء والقدر بعدما يستعمل جميع الوسائل في دفعها ، ولهذا جعل الله الصبر فرضا على كل مسلم ، ولا أفضل من الرضى به ، فإذا رأى المسلم كافرا بالله قد أتاه الله المال الوفير ، والجاه العريض ، فيلبس الحرير والديباج ، ويتمتع بالذهب والفضة ، والسيارة والقصور الضخمة ، والخدم وما إلى ذلك من الصحة والأولاد والعافية ، وتنظر إلى رجل مسلم من أهل الدين وطلاب العلم محيطا به البلاء معوزا فقيرا مقهورا تحت ولاية ظالم جبار مسلطا عليه أنواع العذاب ، فالمسلم ضعيف الإيمان ، إذا قارن هذا وذلك يرى عدل الله معدوما بين هذين الرجلين وتزيده وسوسة الشيطان لأجل هذا يحتاج المؤمن إلى الصبر على ما يلقى من الضر ، وعلى وسوسة إبليس لعنه الله ، وكذلك يجب الصبر على تسليط الكفار على المسلمين مع المقاومة الشديدة ، والتمسك القوى بأوامر الدين . الأن أستعرض الآيات القرآنية التي وردت في الصبر ومما يقوي صبر المؤمن القرآن لأنه شفاء لما في الصدور ، قال تعـالى في حق الكافر : ﴿ وَلاَ يحسبن الذين كفروا خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ﴾ ( سورة آل عمران ) .

ويقول في (سورة الزخرف): ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا

وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقن ، وقال في (سورة الإسراء) ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا ﴿ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ويتكلم سبحانه وتعالى على المؤمن الـذي يجب أن يتحلى بالصبر ، فقال : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ (سورة آل عران ) . وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق على الإطلاق كان يتقلب على رمال حصير أثرت في جنبه الشريف لما رأى عمر بن الخطاب ذلك فبكي وقال: « كسرى وقيصر الروم في الحرير والديباج يتنعان » قال عليه الصلاة والسلام: « أفي شك أنت يا عمر ؟ ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » (1) وإذا أراد الله أن يتخذ شهداء عنده فيخلق أقواما يبسطون أيديهم لقتل المؤمنين . أفيجوز أن يفتك بعمر العادل الملهم المحدث إلا بمثل أبي لؤلؤة المجوسى ، وبعلي كرم الله وجهه إلاّ بمثل ابن ملجم الخارجي ؟ أيعقل أن يحيى نبي الله عليه السلام يقتل في مهر بغي ؟ إلى غير ذلك من الأمثال الكثيرة من القرآن والأحاديث النبوية ، ولهذا يجب على المؤمن أن يصبر ...

<sup>1)</sup> متفق عليه ـ بلفظ آخر ـ عن عمر .

# الطريق إلى الله هو العلم

يجب على المؤمن أن يسعى في طلب العلم لأنه الطريق الوحيد إلى معرفة الله قال تعالى : ﴿ إِنَمَا يُخْشَى الله من عباده العلماء ﴾ كلما تعمق الإنسان في الجانب العلمي تكن خشية الله سبحانه وتعالى لأنه يرى من نواميس الكون ، ومن الإتقان في الصنع ، ومن الحكمة في الشدبير ما يجعله يخرّ ساجدا لله ، فالذين يتخصصون في علم التشريح يرون فيه من إحكام الحكم ، ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسدية ، وفي مفردات هذه الأجهزة ما يضطرهم إضطرارا إلى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والإبداع .

وليس علم التشريح وحده هو الذي يبهر العالم المتبحر فيه ، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكي ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء ، وهكذا نجد انبهار النفس في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية أرضها وسائها وما بين الأرض والساء ...

إن العلم النافع هو أهم مطلب في الحياة ، وأجل مقصد في هذا الوجود ، فالعلماء هم الذين يضيئون مسالك الحياة ، ويسيرون بالناس قدما إلى السمو والكال .

طلب العلم في الإسلام ليس نافلة ، ولا أمرا كاليا وإغا هو فرض وضروري .

العلم الصحيح هو دليل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضل ، وكلما ازداد الإنسان علما إزداد اعتقادا بالله واستقامة في الأقوال والأفعال ، ومعرفة في الحلال والحرام ، ويصبح قادرا على قيادة نفسه وضبطها وتهذيبها ، وبعيدا عن التأثر بمن يدور حوله من الشهوات والمغريات ...

إلاَما ينتهي العلماء الصادقون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ إنهم يصلون عن طريق العلم الذي يثير الخشية إلى

التوحيد ، التوحيد الذي هو سمة الدين الإسلامي كا يرى « البيروني » ، والذي هو في حقيقة الأمر سمة التدين الصادق .

ويشهد علماء التوحيد مع الله ، ومع الملائكة الأطهار ، إن الله سبحانه قرن العلماء به ، وبملائكته في شهادة التوحيد ، وهذا أسمى ما يكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة ...

وشهادة التوحيد التي هي قمة الركن الأول في الإسلام ، وهو أشهد أن لا إله إلا الله ، لا يشهدها إلا العلماء المؤمنون ، وشهادة التوحيد هي منتهى ما عكن أن يصل إليه السالك في معراجه إلى الله سيحانه ، لا تتحقق إلا في العلماء المؤمنين . إن شهادة التوحيد هذه قد وجّه الله الأنظار إليها بأساليب شتى ، ومن هذه الأساليب ما لا يقدره في دقته الدقيقة وروعته الرائعة إلا العاماء قال تعالى: ﴿ قُلُ الْحَمَدُ لللَّهُ وَسُلَّامُ على عباده الذين اصطفى آلله خير أمّا تشركون ؟ أمن خلق ا السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتُوا شجرها أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ، أإلـه مع الله بل أكثرهم لا يعلمسون، أمن يجيب المضطر إذا دعـــــــاه ، ويكشف الســـوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله قليلا ما تنذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمتُ أَإِلَهُ مِعِ اللهِ تَعَالَى اللهِ عَمَا يَشْرِكُونَ ، أَمَنَ يَبَدأُ الخَلقُ ثُمُ يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هـاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ( سورة النهل ) ...

ثم يعقب الله على هذه الآيات بأنه مها بلغ العلماء بعلمهم فإن المجهول لديهم كثير، وأنه لا يعلم هذا المجهول المغيب إلا الله سبحانه، ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيّان يبعثون ﴾ ( سورة النل ) ومن أجل شهادة التوحيد حثّ الإسلام على العلم ووجه إليه وجعله من أسس الدين ، لقد حثّ عليه في صور

بلغت من الروعة حدا لا يجارى . والأيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة .

العلماء لا يعبدون الله إلا بما شرع لهم ، ولا يأخذون إلا بالدليل ، ولا يسيرون إلا على أوضح سبيل ، ولذلك يقبل منهم القليل ويضاعفه لهم حتى يكون كثيرا ، والجاهلون يدينون الله بالباطل ، ويعبدونه بالأهواء والبدع ، ويستجيبون إلى كل ناعق ، ويعملون كثيرا ولا يستفيدون إلا قليلا ، قال تعالى في حق الجاهلين : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ .

وإذا كان العلماء يشهدون التوحيد فإن منزلتهم بالمكان السامي ، ودرجاتهم في الرفعة والعلو ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (سورة الجادلة) ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ـ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ـ أن يقول : ﴿ رَبِّ زَدْنِي علما ﴾ ...

رب زدني علما في كل يوم ، بل في كل لحظة ، ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم ، وإذا ما زاد المسلم علما ازداد خشية ، وإذا ما ازداد خشية تحقق فيه إسلام الوجه لله على أكمل صورة .

وإذا نظرنا إلى الأحاديث النبوية الخاصة بالعلم فإننا نرى عجبا قال عليه الصلاة والسلام: « العلم طريق الجنة » ويقول فيا رواه أبو داود والترمدي وغيرهما: « العلماء ورثة الأنبياء » (1) ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (2) رواه الترمدي .وفيا رواه الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب

2 ) شطر من حديث في سنن الترميذي عن أبي أمامة رواه الطبراني في الأوسط ـ والبزاز .

 <sup>1)</sup> رواه أحمد وأبو داود والترميذي عن أبي الدرداء مرفوعا بزيادة . وصححه الحاكم وابن حبان
 ـ وضعفه غيرهم ما لاضطراب في السند . قال ابن حجر له طرق يعرف بها أن للحديث أصلا .

العلم رضاء بما يصنع » (1) ومن أجمع الأحاديث في فضل العلم ما رواه أبو داود والترمدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله لمه طريقا إلى الجنة ، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، وإنّ العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم فن أخذه أخذ بحظ وافر » (2) .

والسنة النبوية حثت على التعلم والتعليم في مواطن كثيرة يقول صلى الله عليه وأله وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم» ( 3 ) رواه ابن ماجة ، ويقول: « كونوا علماء صالحين فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى » من كتاب (أدب الدنيا والدين). ويقول الرسول الكريم والمنية : « لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فتسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه الشيخان ...

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد ، فإذا هو بمجلسين أحدها يدكرون الله والآخر يتفقهون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كلا المجلسين على خير وأحدهما أحب الى من صاحبه ، أما هؤلاء فيذكرون الله تعلى وبسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما المجلس تعلى وبسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما المجلس

<sup>1)</sup> صحيح - رواه الطيالي - عن صفوان بن عال

<sup>2)</sup> أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ بلفظ مقارب ـ وأخرجه أبو خيثهـ في ـ العلم ـ

٤) الحديث لابن ماجه وأحمد والبيهقي ولفظه مشهور أما أسانيده ضعيفة . أورده ابن الجوزي
 في الموضوعات وحته البعض من المتأخرين ـ

الآخر فيتعاسون الفقه ويعاسون الجاهل، وإنما بعثت معاساً وجلس إلى أهل الفقه » من كتاب (أدب الدنيا والدين) ...

وروى الإمام الغزالي في « الإحياء » عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : ان رسول الله عَلَيْهِ قال : « تعلموا العلم فيان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعلمه لمن لا يعامه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل لأهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلام من الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة ، تقتفي آثارهم ، ويقتدي بفعالهم وينتهى إلى رأيهم ، ترغب المالآئكسة في خِلتهم ، وأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه ، وسباع ( البر ) وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصياح الأبصار من الظام ، يبلغ العبد بالعام منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام العمل والعمل تابع يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء » قال عليه الصلاة والسلام : « ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » (1) أخرجه الترميذي ...

#### المؤمن يتصف بالعزة:

قال تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ إنّ ذلة العبد لربه ذلة عز وحق لا باطل فيها فإن الخلق والأمر ، والغني والملك لله

 <sup>1)</sup> قال في المختصر - ضعيف - أسانيده ضعيفة ، لكن يتقوى بعضها ببعض - انظر - الفوائد
 المجموعة - للشوكاني -

وحده لا شريك له ، ومصير العباد رهن إشارته وطوع إرادته . والناس حينا يكونون في أرقى أحوالهم تعنو جباههم لرب العزة في الدجود خاشعين ...

أما ذاة العبد لعبد مثله فباطلة لا ريب فيها ، والمتكبر عن الناس متطاول يزعم لنفسه ما ليس لها . وقد حرّم الاسلام الكبر وحرّم الذل ، وأوجب العزة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبّه الله لوجهه في النار » (١١) لأن الكبر وصف الله ، ولا ينبغي لبشر أن ينازع الله وصفه المستحق له ، تكبر الناس هي خصال مذمومة وفي طليعتها جحد الحق وجهل الواقع وسوء العشرة وتجاوز الحدود . الاسلام حرم على المسلم أن يهون نفسه ، أو يذل ، وفي الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي » (2) يجب على المؤمنين أن يتعاونوا .

قال الله عز وجل ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (سورة الساء) ويجب عليهم أن يتحابوا كا وصفهم الرسول وَالله قال : « ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يدوم القيامة : قال : وكان في ناحية المسجد أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ، ثم قال : حدثني يا رسول الله عنهم من هم ؟ قال : فرأيت في وجه النبي البشر ، فقال النبي وقيلية : « هم عباد من عباد الله هم من بلدان شتى ، وقبائل شتى ، من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ، ولا دنيا يتبادلون بها ، يتحابون بروح الله ، يجعل الله وجوههم نورا ، ويجعل لهم

<sup>1)</sup> رواه مسلم ـ من حديث ابن مسعود ـ

<sup>2)</sup> رواه البخاري ومسلم في صحيحيها ـ عن النعان بن بشير -

منابر من نور يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون » (1) أخرجه الامام البغوي في السنن ورواه ابوداود.

والتوجيه النبوي الشريف يحث على تدعيم علاقة الحبة بين المؤمنين لتحقق الأمة المجد لنفسها ، والعزة بين الأمم أن تحيا حياة الشرف لتكون مسموعة ، ويكون ذلك من ثمرات الإيمان بالله عز وجل الايمان ليس دعوة تقال بلا عمل وليس شعارا يرفع بلا مضون ، وليس نظرية بلا تطبيق بل هو طريق الجهاد والتضحية بكل ما هو نفيس وغال .

القرآن يرشدنا إلى الاعان الذي لا ينفك عن الجهاد ، بل أن الجهاد تطبيق عملي له ، ويحمل حملة عنيفة عن أولئك الذين يريدون أن يحققوا لأنفسهم ، أو لأمتهم أمجادا رخيصة سهلة عن طريق رفع الأصوات وكثرة الادعاءات ، إن هذا الصنف من الناس وجد في الأمة الاسلامية ، ولكن كشفهم القرآن ليكونوا عبرة لمن يسلك سبيلهم كان هذا الصنف يتمني أن يأذن الله له في القتال قبل مجيء أوانه فلما كتب عليهم القتال أصبحوا يخشون الأعداء أكثر مما يخشون الله ، قال الله عز وجل في هذه الطائفة ﴿ أَلَمْ تَرَ الَّى الَّذِينَ قَيلَ لَهُمْ كَفُوا أَيديكُمْ وأَقْيَا الصَّلاةُ وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ، أينا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ ، هذا الفريق الجبان لا يحقق مصالح ، ولا تعتز به دعوة ، ولا يسعد به وطن ، بل يضيع ما حققه غيره من عزة وكرامة ، وعلى كل حال لا تخلوا الأمة من مجاهدين يصدون في البأساء والضراء وحين البأس لأنهم متيقنون أن النصر من عند الله ، قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عنزين ﴾ ( سورة المجادلة ) وقال أيضا في ( سورة غافر ) : ﴿ إِنَّا لَنْنَصِر رَسَلْنَا وَالَّذِينَ آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ...

<sup>1 )</sup> رواه أبو داود .

ولكن نصر الله للمؤمنين له أسباب ثلاثة : الصفة الأولى أن ينفي المسلمون العجز والقصور عن أنفسهم .

الصفة الثانية : أن يكونوا أقوياء بمعنوياتهم أمام الأعداء ، ويتركوا الضعف والخور والخشية منهم .

الصفة الثالثة: أن يتركوا الإستكانة التي تزحف على أنفسهم فتنهار أرواحهم من الهلع فيجب أن يبعدوها عن أنفسهم قال تعالى: ﴿ وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين. وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب الحسنين ﴿ (سورة آل عران) وخير الله الإنسان بين حبته، وحبة غيره من مباهج الدنيا فقال: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ (سورة التوبة).

جعل الله سبحانه وتعالى مباهج الدنيا في كفة وحب الله ورسوله وجهاد في سبيله في كفة أخرى ، والإنسان يختار ما بين هذا وذلك ، فإن اختار المباهج قال : ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ فيه تهديد ووعيد شديدان ، وإن أختار حب الله ورسوله وجهاد في سبيله على مباهج الدنيا وزينتها فذلك المؤمن حقا ...

المؤمن هو الذي أدرك جمال الله وجلاله ، واستشعر لطفه وإحسانه ، وعلم علم اليقين أنه هو المنعم عليه ثم تأثر بهذا الإدراك فأحبه ، فأصبح قلبه مشغولا به ، وعمله موجه إليه ، فلذته وارتياحه في طاعة الله وعدم خالفة أوامره ، يتحمل في ذلك ما يتحمل راضيا مغتبطا قرير العين ، مطمئن القلب ...

فحب العبد لله هو إيان حق ، ولا يكون بمجرد المعرفة واذعان

النفس ، بل يؤثر على النفس ، وتبدو أثاره في جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته ...

أما الإيمان الذي لا يعدو الإذعان النفسي والاقرار القلبي فهذا الإيمان الذي لا يريده الله من عباده قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود في الكفر كا يكره أن يقذف في النار » ( 1 ) رواه البخاري ومسلم فحب الله من أهم القواعد في بناء الاخلاق ، وهو محلول أرواح المؤمنين إلى أرواح لطيفة لا يصدر عنها شر ولا عدوان ، وهذا بالطبع لا يتيسر إلا عندما يغلب الصفاء على النفس فتنسى البغض والحقد والحسد وسائر الدسائس والمكائد ...

وحب الله لعباده لم يثبته القرآن إلا لذوي الأعمال الصالحة قال تعالى : 
﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ وقال : ﴿ بلى من أوفى بعهده من الله واتقى فيان الله يحب المتقين ﴾ وقال : ﴿ فياذا عنهم واصفح إن الله يحب الحسنين ﴾ للتوكلين ﴾ وقال : ﴿ فياعف عنهم واصفح إن الله يحب الحسنين ﴾ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ...

ونفي حبه عن الذين يتصفون بصفات الفساد والإلحاد والكفر قال تعالى: ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ وأما ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الطالمين ﴾ ﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾ ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾ ﴿ إنّ الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ ﴿ واما تخافن من قوم خيانة فانبد إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ .

<sup>1 )</sup> رواه البخاري ومسام والترميذي والنسائي

وفي الحديث الشريف: «إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل في أهل الساء إنّ الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول اني أبغض فلانا فابغضوه فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إنّ الله يبغض فلانا فابغضوه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض » (1) رواه مسلم عن ابي هريرة .

أسأل الله أن يرزقنا محبته ، ويجعل لنا من أنواره يرينا الخير من الشر ، ويعزفنا الحق من الباطل حتى نكون ممن يسعى نورهم بين أيديهم وبأيانهم ومن الموصوفين بقوله : ﴿ أُولئنك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾ إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ...

<sup>1 )</sup> رواه مسلم عن أبي هريرة .

#### الإيان بالملائكة

من شروط الإيمان بالملائكة ، وهم عالم لطيف غيبي غير محسوس ليس لم وجود جسماني يدرك بالحواس وهم من عالم ما وراء الطبيعة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله ...

خلق الله الملائكة من نور ، كا خلق آدم من طين ، وكا خلق الجآن من نار ، وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته ، والقيام بأوامره ، وهم يتصرفون في شؤون العالم بإرادة الله ومشيئته وهو سبحانه يدبر بهم ملكه ، وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم ...

عملهم في عالم الطبيعة ، وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنهم موكلون بالمخلوقات ، وأنه سبحانه وتعالى وكلّ بالسحاب والمطر ملائكة ، ووكل بالجبال ملائكة ، ووكّل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالإنسان ملائكة لحفظه ، وملائكة تحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة ، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها ووكل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكل بالنار وإيقادها ، وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ، ووكل بالجنة وغراسها وعمل الأنهار فيها ملائكة ، فالملائكة أعظم جند الله فكل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم ، والشمس والقمر والرياح ، والسحاب والنبات ، والحيوان ، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بهذه الخلوقات قال تعالى: ﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا ﴾ . فسرت المرسلات بالملائكة وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن عباس في رواية مقاتل وجماعة ، وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود واحدى الروايتين عن ابن عباس وقبول قتادة ، وفسرت بالسحاب ، وهو قبول الحسن . وفسرت بالأنبياء ، وهو رواية عطاء عن ابن عباس . الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء ، ويرسل الرياح ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، فإرساله واقع في ذلك كله ...

﴿ والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا ﴾ قال في تفسير هذه الآية ، الحسن ، ومجاهد وقتادة هي الرياح تأتي بالمطر ، وقال مقاتل هي الملائكة تنشر كتب بني آدم وصحائف أعمالهم ، وقال مسروق وعطاء عن ابن عباس هي الملائكة تنشر أجنحتها في الجو عند معودها ونزولها وقيل تنشر أوامر الله في الأرض وفي السماء .

﴿ والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا ﴾ أكثر المسرين في تفسير هذه الآية على أنها الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم ، والنزع هو إجتذاب الشيء بقوة ، والإغراق في النزع هو أن يجذبه إلى آخره .

﴿ والصافات صفا فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ﴾ ، أقسم سبحانه وتعالى بالملائكة الصافات للعبودية بين يديه كا قال النبي وَلِيْنَ لأصحابه : « ألا تصطفون كا تصطف الملائكة عند ربها ؟ تتمون الصفوف الأولى وتراصون في الصف » ( 1 ) والزاجرات عن الماصى ، والتاليات الجامعات لكامات الله تعالى .

ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله . الملائكة الموكلون بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر ، فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور ، وتصويره ، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، وأجله ، وشقاوته وسعادته ، وملازمته في جميع أحواله ، وإحصاء أقواله وأفعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره ، وهم الموكلون بعذابه ونعيه في البرزخ ، وبعد البعث ، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب . وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة ، وهم الذين يورونه في منامه ما يخافه ليحذره ،

<sup>1 )</sup> رواه مسلم عن جابر بن سمرة

وما يحبه ليقوى قلبه ويزداد شكراً وهم الذين يعدونه بالخير ، ويدعونه إليه ، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه .

وهم الداعون له ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ويوم بعثه ، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ، ويرغبونه في الآخرة ، وهم الذين يذكرونه إذا نسي ، وينشطونه إذا كسل ، ويثبتونه إذا جزع ، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده ، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر ، قد أطت بهم الساء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قد أط راكع ، أو ساجد ، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون آخر الدهر ..

والملك يشعر بأنه ملك منفذ لأمر غيره ، فليس من الأمر شيء بل الأمر كله لله الواحد القهار قال تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ ﴿ يعلم ما بين أينيهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ وقال : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ . ومنهم الصافون ، ومنهم المسبحون ، ليس منهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطأه ، وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه ، وأعلاهم الذين عنده سبحانه ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار يفترون ﴾ .

ورؤساؤهم الأملاك الثلاث: جبريل، وميكائيل، واسرافيل. روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي بين الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي وين يقول: « اللهم ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه عند يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ». فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة

القلوب والأرواح وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، واسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد ماتهم .

وقالت اليهود للنبي إلى الله عن صاحبك الذي يأتيك من الملائكة ؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر ؟ قال جبريل . قالوا : ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال ذاك عدونا ، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالنبات والمطر والرحمة » (1) ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنّه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ، وميكائيل فإن الله عدوا للكافرين ﴾ وملائكته ورسله وجبريل ، وميكائيل فإن الله عدوا للكافرين ﴾ ملائكة فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره ، كا أضاف التوفي إليهم بقوله : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ وإليه تارة كقوله : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين مونها ﴾ ، ولهذا كان الايان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخس التي هي أركان الايان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

<sup>1 )</sup> رواه أحمد والترمذي . قال الترمذي حسن غريب .

### الإيمان بكتب الله المنزلة

الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن لله كتبا أنزلها على أنبيائه ورسله ، وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور ، وهدى ، وأن ما تقتضيه حق وصدق ، ولا يعلم عددها إلاّ الله ويجب الإيمان بها جملة الا ما سمي منها ، وهي التوراة والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، وصحف إبراهيم وموسى .

قال تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ . وقال : ﴿ وَآتينا داوود زبورا ﴾ وقال : ﴿ أَمْ لَمْ يَنْباً بَما فِي صحف موسى وابراهيم الذي وفى ﴾ (سورة النجم) وقال : ﴿ إِنّ هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ﴾ (سورة الأعلى) . فيجب الإيمان بها على التفصيل ، والبقية إجمالا .

وهذه الكتب المنزلة من عند الله على أنبيائه ورسله يلتقي فيها النبي بقومه ، وهي مجال الدعوة ، ومركز الثقل فيها ، وفي هذا ألمجال يشتد الصراع . وتحتدم الخصومات وتجتمع قوى الشر وجنود الباطل لتخفت صوت الحق ، ولتطفيء نور الله ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (سورة الصف) . وفي سبيل الدعوة إلى الله ، والتعريف به إحتمل أنبياء الله ورسله الكرام من أشد ما عرف الناس من ألوان الأذى أن يهنوا أو يضعفوا أو يستذلوا . إنها رسالة لا يقوم لها ، ولا يستقل بحملها إلا أولوا العزم الموصولون بأسباب السماء ، والموصوفون برعاية الله وتأييده . ولهذا لم يكن رسل الله إلا الصفوة المختارة من عباده ، قد اصطفاهم الله لهذه الرسالة وأعدهم لهذا الأمر العظيم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ومع هذا فإن الرسل بشر تظهر عليهم أعراض البشرية ، وتتجلى فيهم خصائصها : الجسدية ، والنفسية ، والروحية . فهم يألمون كا يألم الناس ، ويضيقون ، ويحرنون ، ويفرحون ، ويغضبون ، ويحمون ، ولكنهم في جميع الأحوال التي تتقلب بالناس \_ هم على أكمل الكمال الذي تتسع له

البشرية ، وتحمله . نقول هذا لنفهم منه أن لكل رسول ، كا لكل إنسان ـ سعيه وجهده في محاسبة نفسه ، وفي مغالبة ضعفه البشري ، وأنه بقدر ما يعمل وبقدر ما يتحمل ، تكون منزلته عند الله ودرجته بين رسله وأنبيائه كا يقول سبحانه : ﴿ قلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ ونفهم من هذا أيضا أن الرسل مطالبون بأن يجاهدوا ، وأن يعملوا ، وأن يستقلوا بحمل العبء الملقى عليهم ، وألا يدخل التواكل على مهمتهم ، بحسب أن الله هو صاحب الدعوة ، وهو الذي يتولى ! كلا فانهم مكلفون بأن يواجهوا بأنفسهم هذه المهمة التي ندبتهم لها السماء ، وأن يقوموا عليها قيام الراعي القوى الحذر الذي يسوق قطيعه إلى مواطن الكلاء ، وموارد الرعي الذي لا يغمض الذي يسوق قطيعه إلى مواطن الكلاء ، وموارد الرعي الذي لا يغمض عينه عن الدئاب المتربصة بالقطيع ، ولو شاء الله أن تحمل عن الرسل والأنبياء أعباء ما تحتلوا ، وأن يطوع لهم كل شيء ـ لكانوا مجرد أدوات ، ولم يكن لهم فضل مجاهدة ، ولا ثمرة جهاد ..

ولكن هكذا اقتضت حكة الله أن يحمل الرسل تبعة مهمتهم العظيمة ، وأن يبذلوا لها من الجهد ، وأن يتحملوا في سبيلها من الأذى على قدر نبلها ، وشرف غايتها فإن العظائم كفؤها العظناء ... ونفهم من هذا كذلك أن أصحاب الرسالات من القادة والزعماء مطالبون بما لم يطالب به غيرهم من الناس من حمل الأعباء ، وتلقى الصدمات بالقدر الذي تضم رسالاتهم من الخير والحق ...

#### الرسالة الإسلامية

إذا اختص الله سبحانه وتعالى نبي الاسلام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه بأن يكون خاتم الأنبياء وأن رسالته مختم الرسالات ، فان أعباء الرسالة التي حملها كانت أضعاف ما حمل الرسل من قبله لأنها رسالة تقف موقف التجمع والشرح والتحديد للرسالات كلها ، ولأنها تواجه الحياة كلها ، وتشرع للانسانية كلها وتتسع لحاضر الزمان ومستقبله جميعا مهمة نبيلة ، ورسالة كريمة ، ولكنها محملة بأعباء ثقال تنوء الجبال بحملها انها تمس الصميم من حياة كل انسان . تمس عقيدته ، وتمس ضميره ووجدانه ، وتحمل قوى الهدم لأربابها وآلهته . وليس أعز على الانسان من معتقده أيّا كان مكانه من الضلال أو الهدى حتى يتخلى المرء عن حياته ولا يتخلى عن عقيدته .

وقد اتخذت شريعة الاسلام أعدل الطرق ، وأوضحها ، وأكثرها فعالية في الوصول الى الغاية التي قصدت اليها من الدعوة الى الله ، والتعرف اليه ، فلم تشأ هذه الحقيقة أن تغرق الناس في لجبج من الجدل الفلسفي ، وفي تصورات من المنطق السقيم الذي لا يلد إلا خيالات وأوهاما ، ولا ينتهي إلا إلى ظنون يضرب بعضها وجه بعض !

ولكن شريعة الاسلام غير هذا انها جاءت الى الناس كا هم . انهم بشر لهم حدود لا يتجاوزونها ، ولعقولهم مدى لا تتعداه ، والبشر هم غالبة الناس وليسوا فلاسفة ... من أجل هذا لم تفتح شريعة الاسلام بابا للجدل في الله ، ولم تستمع الى الذين يدعونها الى الخصومة في الله . بل قطعت عليهم الطريق ، وفوتت عليهم ما يقصدون من صرف الدعوة عن غايتها الجادة ، في كشف الضلالة عن العقول ، والعاية عن القلوب الى مما حكات سقية ، وجدل مريض ... وليس هذا شأن الاسلام وحده ، وانما هو سبيل الشرائع الساوية كلها منهج واحد وطريق واحد لأنه أعدل منهج وأقوم طريق لا جدال في الله ، ولا بحث في ذاته ! ولكن استدلال على الله ، ونظرة إلى هذا الوجود الذي يصافح حواسنا ، ويأخذ بمجامع عقولنا وقلوبنا ، نظرة تمتليء بها القلوب خشية واخباتا لمن خلق فسوى وقدر فهدى ...

ذلك هو منهج الدعوات الاسلامية في كل أمة ، وعلى لسان كل نبي ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنة الله تحويلا ﴾ .

والذي ينظر في هذا المنهج الساوي في الدعوة الى الله يجد بين يديه دلائل الاعجاز التي تعنو لها الوجوه ، وتخضع لها أعناق المعاندين والمكابرين .

فإن تدبير هذا المنهج وتدرجه مع التطور العقلي الإنساني ومسايرته لملكات الفكر الانساني عصرا بعد عصر ينطق بشهادتين :

الشهادة الأولى: أن هذا التدبير لا يكون إلا من حكم خبير يعلم من الناس ما لا يعلمون ذلك هو الله رب العالمين .

الشهادة الثانية : صدق هذا القرآن الذي نأخذ عنه ذلك المنهج الصادق المعجز لأنه كلام الله ، وأن النبي المبعوث به صادق موصول بأسباب السماء يتلقى رسالته عن الله ، ويحمل الى الناس شريعته ...

والقرآن الكريم لا يهتم بالتوقيت الزمني لدعوات الأنبياء الذين ذكروا في الكتاب ، لأن هذا التحديد ليس له أثر في الواقعة التي يذكرها القرآن ، ولهذا المعنى لم تشر آيات الكتاب الى أماكن الدعوة . اذ أن مرمى الواقعة لا يراد بها إلا عرض مشهد من مشاهد الصراع بين الايمان والكفر ، وبين الحق والباطل ، والزمان والمكان قضية تتجدد على مر الأزمنة ، وتقع في كل مكان ، فلا أثر للزمان أو المكان في موقع الدعوة أو العبرة منها ...

وهنا يبدو وجه الحكمة في اطلاق وقائع الدعوة من ظروف الزمان والمكان في هذا الصراع بين الحق والباطل حيث تظل هذه الوقائع ملء الأزمنة ، وملء الأمكنة وبهذا لن تكون غريبة في أي زمان ومكان ، إنها للناس جميعا ، ولأجيال الناس جميعا ، فحيث كان صراع بين حق وباطل كانت وقائع القصص القرآني دستورا محكما يحتكم ويتأسى به .

ونلاحظ أيضا مع إطلاق وقائع الدعوات الساوية من قيود الزمن ولمكان ، فإن الترتيب الزمني بين هذه الدعوات قد نال شيئا من اهتام القرآن به ، فهناك أكثر من وجه يكن أن يستدل منه على مكان كل دعوة من سابقتها أو لا حقتها في الزمن . ومن هذا دعوة هود عليه السلام يجيء على لسانه ، وهو يخاطب قومه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ (سورة الأعراف) . كا يجيء على لسان صالح عليه السلام مخاطبا قومه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ السلام مخاطبا قومه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ مورة هود ) . وكذلك يذكر القرآن مدين في قوله تعالى : ﴿ ألا بعداً لمدين كا بعدت ثمود ﴾ فيفهم من هذا أن دعوة شعيب كانت بعد دعوة صالح لأن صالحا كان رسول الى ثمود ، وأن شعيبا كان رسول مدين وإني اتبع هذا الترتيب في المنهج الذي وضعته الساء لدعوة الحق ، وفتح عقول الناس وقلوبهم لها ...

كانت دعوة الأنبياء تدعو إلى الله مباشرة دون أن تلفت العقول الى الاستدلال عليه من النظر في ملكوت السموات والأرض ، وتكاد الدعوة تكون دائرة بين كلمتين : (أعبدوا الله) من غير أن يدعي العقل إلى البحث عن الله ، والإستدلال بالنظر في ظاهر الوجود .

ولهذا كانت دعوة الرسل تحتاج الى قوة قاهرة ، قوة لا تخاطب العقل ، وإنما تجابه الحس ، فتبهر الأبصار وتصم الأذان ، وترعد الفرائص ، إنها المهلكات التي يخوف بها الرسل أقوامهم إن هم أبوا الاستجابة لدعوة الرسل والايمان بالله ..

ونذكر بعض الدعوات السماوية التي كانت قبل الاسلام .

### دعـوة نـوح (عليه السلام)

أولا دعوة نوح عليه السلام ، وقد ذكرت في القران مرات كثيرة ولها في كل مرة لون جديد إلا أنها جميعها تكمل صورة الدعوة وتحدد معالمها .

يقول الله تعالى في (سورة نوح): ﴿ إِنَا أُرسَلْنَا نُوحًا إِلَى قومه أَن أَنْدَر قومك من قبل أَن يأتيهم عَذَاب أَلِيم قال يَا قوم إِني لَكُم نَ ذَنير مبين: أَن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذ بكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ . ويقول سبحانه: ﴿ ولقد أُرسَلْنَا نُوحًا الى قومه فقال يَا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ، ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ﴾ (سورة المؤمنون) .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أن الزمكوها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ، ولكني أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ، ولا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للم عندي تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم عبا في أنفسهم اني إذا من الظالمين ﴾ يوتيهم الله خيرا الله أعلم عبا في أنفسهم اني إذا من الظالمين ﴾ وسورة هود ) .

وكادت دعوة نوح إلى قومه تقتصر على قوله عز وجل : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إلىه غيره ﴾ ولكن عقولهم لا تستجيب لغير العقاب

المادي المباشر ﴿ قالوا : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ جاءهم الطوفان فأغرقهم الله ، ونجا نوح ومن آمن معه ﴿ فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾

### دعــوة هــود (عليه السلام)

وهود عليه السلام كانت دعوته إلى قومه قريبة من دعوة نوح ، ولكن فيها اشعار بأن الإنسان الذي يخاطبه هود قد كبر شيئا ما عن ذلك الإنسان الذي كان يخاطبه نوح ، وأنه قادر ـ نسبيا ـ على أن يستنبط ويدرك فكان في دعوة هود الى قومه الفات قريب الى بعض المظاهر المادية الملابسة لهم ، والمتصفة بحياتهم ، وأن ما هم فيه من نعمة إنما هو من عند الله الذي يدعوهم إليه ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لنراك في سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين قال : يا قوم ليس بي سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين قال : يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي ، وأنا لكم ناصح أمين ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ (سورة الأعراف) ...

الإنسان الذي يخاطبه هود قد ترقى عقليا نوعا ما فأصبح هود يذكره بفضل الله عليه ، وأنه أخلف قوم نوح الذين أهلكهم الله بظلمهم ، كا أن الله من على قوم هود ببسطة الأجسام وقوة الأبدان ، وتلك نعم جديرة بأن يذكروها ، ويذكروا المنعم بها ، وفي هذا رشدهم وفلاحهم ...

وفي موقف آخر يهتف هود بقومه : ﴿ إِنِي لَكُم رَسُولُ أَمِينَ . فَاتَقُوا الله وأطيعون ، وأتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (سورة الشعراء).

فهذه أنعام ، وبنين وجنات ، وعيون يعيشون فيها وينعمون بها ، وهي ليست من صنع أيديهم ، وانما هي من الله الذي يدعوهم إلى الإيمان به ، وفي هذا دعوة الى العقل أن ينظر ويتدبر ...

## دعوة صالح (عليه السلام)

وفي دعوة صالح عليه السلام آفاق للنظر والتأمل أوسع من تلك الآفاق الحدودة التي جاءت بها دعوة هود .

وللزمن آثاره في تلك الفوارق العظيمة بين قوم صالح وقوم هود ، اذ كان قوم صالح قد خلفوا هوداً وخلفوا الأحداث التي وقعت لهم ، والبلاء الذي صب عليهم ، بعد أن عصوا رسول ربهم ، واستخفوا به وبدعوته ، ولاشك أن هذا قد ترك آثاره في هؤلاء القوم بما فتح عليهم من أبواب البحث والتفكير ..

قال تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ، ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ (سورة هود ) .

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا ، وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (سورة الاعراف) .

﴿ إِنِي لَكُم رَسُولُ أُمِينَ . فَاتَقُوا الله وأَطْيَعُونَ . وَمَا أَسَالُكُمُ عَلَيْهُ مِن أَجَر ان أَجَرِي إِلاّ عَلَى رَبِ الْعَالَمِينَ . أَتَتَرَكُونَ فَيَا هَاهَنَا آمنينَ فِي جَنَاتَ وعيونَ وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ﴾ ...

إنّ صالحا عليه السلام يذكر قومه بقدرة الله الذي يدعوهم اليه ، أنشأهم من الأرض ، واستعمرهم فيها ...

والعقل الذي يستطيع أن يتصور خلق الإنسان من تراب ، ويرتب مراحل عملية الخلق ترتيبا منطقيا واقعيا بحيث يرى أن النطفة التي هي بذرة خلق الإنسان ، إنما هي الغذاء الذي يتحول في الجسم الى دم ، ثم الى نطفة ، وأن هذا الغذاء من النبات ، وأن النبات هو أجنة الأرض حملته في بطنها ، وغذته بعصارتها ـ العقل الذي يستطيع أن يدرك هذا ، أو بعض هذا ، هو غير العقل الذي كان عليه قوم هود أو قوم نوح .

ولهذا لم تحمل دعوة هود معجزة إستدلالية تنبيء عن قدرة الله ، وإنما حملت هلاكا وتدميرا ، بعد أن انتهى دور النصح ، والوعد ، ومن قبلها كانت كذلك دعوة نوح ، لم تصحبها معجزة إستدلالية بينما حملت دعوة صالح معجزة أستدلالية ، ويرى فيها أولوا الرشد إشارة الى الله ، وطريقا اليه ، وتلك المعجزة هي الناقة التي اقترحوا على صالح أن يخرجها لهم من صخرة معروفة عندهم وأن تكون عشراء تمخض وأعطوا العهد لصالح أنه يؤمنون بإلهه الذي يدعوهم اليه إذا جاءهم بما طلبوا به ، وقد استجاب الله لدعوة صالح ، فخرجت الناقة من الصخرة التي أشاروا اليها ، وجنينها يتحرك في أحشائها ، وقد آمن بعضهم لهذه المعجزة ، ولم يؤمن أكثرهم ، وتآمروا على الناقة فقتلوها ، وهنا حلّ بهم العذاب الذي أوعدهم به :

## دعوة شعيب (عليه السلام)

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (سورة هود)..

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ، ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ، واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴿ (سورة الاعراف) ...

ونلاحظ هنا أن دعوة شعيب عليه السلام لم تقف عند حدود الدعوات الثلاثة السابقة ، وهي مجرد الدعوة إلى الله ، بل إنها شملت الأمر بعبادة الله ، ثم تجاوزته إلى بعض أحكام الشرع ، وذلك بمخاطبة الضير الإنساني ودعوته إلى رعاية حقوق الناس ومعاملاتهم بالعدل ...

والصير إنما يأخذ مكانه في كيان الإنسان حين يرشد ويكتمل وعيه أما في مرحلة الطفولة والصي فلا مكان للضير فيها ...

إننا مع قوم شعيب إزاء انسانية كادت تستكل حظها من العفل والإدراك، فهم لهذا أهل لكي تخاطب فيهم ضائرهم وأن يطلب إليهم إقامة حياة إجتاعية يؤدي فيها الفرد حقوق الآخرين لكي يؤدوا له حقه وقد كان القوم معاصرين لقوم لوط عليه السلام وهلاك هؤلاء الأمم الذين عصوا رسلهم، فبعضهم هلك بالطوفان، وبعضهم أرسل عليهم الصواعق، وبعضهم بالريح العاصفة المدمرة، وبعضهم بالصيحة أما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم أو وهذا العذاب الأليم الذي أصاب الذين ظلموا أنفسهم لم يذهبوا هباء وإنما خلفوا وراءهم عبرة ماثلة وموعظة بالغة لمن كان من غيرهم - في أيامهم، ولمن أتى من الجاعات من بعدهم، إن طوفان نوح وعواصف هود ورجفة صالح - وقد هلك بها من هلك - قد كانت عبرة وعظة إنتفع بها كثير، واهتدى بها كثير، ولا تزال إلى اليوم كانت عبرة وعظة إنتفع بها كثير، واهتدى بها كثير، ولا تزال إلى اليوم درسا نافعا وعظة ، ماثلة لكل من أراد العبرة والموعظة .

ولا نذهب بعيدا ، فقد كانت كل زاجرة من تلك الزواجر مثلا يسوقه

الرسول لقومه ، ويشرف منه بهم على مصارع الذين عصوا رسل ربهم ، وأنكروا مكانهم فيهم ...

فهذا هود عليه السلام يذكر قومه بما حلّ بقوم نوح فيقول لهم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعْلَكُمْ خُلْفَاءُ مِنْ بَعْد قوم نُوح ﴾ وهذا سيدنا صالح يذكر قومه بما وقع لقوم هود فيقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعْلَكُمْ خُلْفَاءُ مِنْ بَعْد عَاد ﴾ ...

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يحمل المثل لقومه ويستعرض مشاهد الدمار والبلاء التي نزلت بمن سبقوهم في تحدى الرسل وإعناتهم : 
﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، أو قوم هود أو قوم صالح ، وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ (سورة هود) . فهذه المهلكات التي رمى بها أولئك الأغبياء المعاندون لم تكن إلا مثلا تخيف من حولهم ومن بعدهم ، وتدعوهم إلى الإنصياع والتسليم للهداة الراشدين الذين يدعونهم الى الصراط المستقيم ، وهذا ما تنطق به الآية الكرية في قوله تعالى : ﴿ وآتينا عمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ (سورة الاسراء) ...

وإذا كانت دعوة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام قد استرخى بها الزمن حتى رشدت الإنسانية أو كادت ـ قد حملت إلى الناس دعوة إلى الله قاعة على النظر في ملكوته ، وعلى الإيمان به عن طريق هذا النظر الذي يرسله الإنسان في هذا الوجود فيعود إليه محملا بالآيات الدالة على قدرة الله الناطقة بحكة الخالق وعظمته ...

## دعوة إبراهيم (عليه السلام)

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التاثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب

السموات والارض الذي فطرهن ، وأنا على ذلك من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ (سورة الأنبياء) ..

﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الندين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا لمه إليه ترجعون ﴾ (سورة العنكبوت) ...

إن إبراهم يضع قومه أمام موقف يحتاج إلى عقل ونظر ، وإلى حساب وتقدير ، لييز الخبيث من الطيب ويفرق بين الحق والباطل ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ ﴿ إنما تعبدون من دون الله لا يملكون لكم وتخلقون إفكا ، إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ﴾ ...

إنّ العقل الرشيد المكتمل هو الذي يدعى إلى هذا النظر ويحمل على المراجعة والموازنة بين الأشياء .

### دعـوة موسـى (عليه السلام)

موسى رسول إلى جبهتين: الى قومه بني إسرائيل ، وإلى فرعون الذي طغى ، وامتد طغيانه إلى بني إسرائيل . يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، وموسى يحمل إلى فرعون معجزات لا تقبل التحدي ، ولكن فرعون يتحداها ، وينتهي التحدي بانتصار المعجزة الساوية فيؤمن سحرة فرعون ، ويجن جنون فرعون ، وتأخذه العزة بالإثم فيضاعف البلاء الذي يصبه على بني إسرائيل ، ولا يجد موسى سبيلا إلا الهرب بقومه فيتبعهم فرعون ، وهناك على مشارف سيناء عند البحر الأحمر يقف موسى وقومه ، ومن وراءه فرعون وجنوده يكادون يلحقون بهم ، ويضرب موسى بعصاه

البحر، ويفتح له ولقومه طريق فيه، وينسحب بقومه إلى الشاطيء الشرقي من البحر، وفرعون وجنوده جادون في أثرهم، يركبون نفس الطريق في قلب البحر، وهنا تنتهي المعجزة بعد أن أدت دورها، حيث يطبق البحر على فرعون وجنوده، فيغرقون جيعا.

وهذه المعجزات قد شهدها بنو إسرائيل ، وكان من شأنها أن تقع من القوم موقع الإيمان ، وأن تقوم شاهد صدق على رسالة موسى ، ولكن القوم قد إلتوت نفوسهم فلم تعبأ فيها بتلك المعجزات ، ولم تصادف نفوسا طيبة ، وظل القوم في حاجة إلى معجزات أخرى يتلو بعضها بعضا وجاء موسى بالبينات ، ضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا لكل قبيلة منهم عين تستقى منها ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى وجاءهم بالتوراة فيها هدى ونور ، وفيها تذكير لهم ، بما تفضل الله عليهم من نعمة إذ نجاهم من آل فرعون . ﴿ يِا قوم أذكروا نعمة الله عليكم إذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، وإذ فرُقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا أل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ (سورة البقرة) ومع هذا فقد لجوا في الضلال والعناد ، وأبوا أن يقتنعوا بكل هذه الآيات ، وطلبوا إلى موسى أن يريم الله جهرة ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ وقد كان من المتوقع ـ في ظاهر الأمر ـ أن ينزل العذاب الشامل بهم جميعا ، وأن يقع البلاء الماحق الذي لا يبقى ولا يذر ، كما كان الشأن في المكذبين من الأقوام السابقة ، ولكن يجيء الأمر على غير هذا فيقع البلاء ، ويحل العذاب ، وإنما في حدود معينة تنال المعتدين ، وتأخذ الظالمين ...

فالذين اعتدوا في السبت وخرجوا على الشريعة هؤلاء مسخوا مسخا خرج بهم عن الإنسانية فكانوا قردة يسخر منهم ، ويستهزأ بهم وتكون فيهم العبرة لمن اعتبر ﴿ ولقد علمتم الندين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (سورة البقرة ) ... والذين صغر في أعينهم شأن الله حتى طلبوا أن يروه عيانا كا يرون الأشياء ، هؤلاء أخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ، وأنتم تنظرون ﴾ (سورة البقرة) ، وأما الذين عبدوا العجل وجعلوه إلها فقد نالهم من الله غضب وذلة في الحياة الدنيا ، ولكنهم قد تابوا ، ورجعوا عن ضلالهم بعد أن راجعهم موسى ونسف العجل الذي عبدوه ، وهم ينظرون ﴿ إنّ الذين أن راجعهم موسى المغترين ﴾ (سورة الأعراف) ...

ورأس الفتنة هو السّامريُ الذي دعا إلى اتخاذ العجل من الحلي التي جمعها من القوم ، وصوره منها ، فقد مثل به فكان لا يمس شيئا إلا أصابه منه الضر والأذى ...

﴿ قَالَ فَاذَهُبِ فَإِنَّ لَكُ فِي الْحَيَاةُ أَن تَقُولُ لا مساس ، وإنّ لك موعدا لن تخلفه ﴾ (سورة طه) . فهنا لم يقع العذاب شاملا ، ولم يأخذ القوم جميعا ، وإغا وقع على من استحقوه بما ظلموا ، لأنّ في البقية رجاء ، وفيهم مكان لمغارس الهداية والإيمان ، إنّ الجسم الذي يصلح ببتر عضو من أعضائه المريضة فبقية الأعضاء الأخرى السالمة يجب أن تبقى ...

وقد كان في بني إسرائيل مفسدون لم تستقم مع الحق والخير نفوسهم ، وكانوا نبتا سيئا ، فتولت السماء إقتلاعه ...

أرأيت إذا كيف كان المنهج الذي قامت عليه دعوة الرسل رسولا بعد رسول ، وعصرا بعد عصر ؟

فقد ساير هذا المنهج عقلية الإنسانية ، وتقابل معها على المستوى الذي كان لها من الوعي والإدراك . كان المنهج في الرسالات الأولى منهجا تلقائيا يلقن الإنسانية في طفولتها مباديء العقيدة : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ كا يلقن الطفل أسماء المسيات ، فيقال له : هذا مصباح ، وهذا مذياع ، وذلك كرسي ، وتلك سيارة وهكذا ...

ثم دخل المنهج مدخلا أخر حين تطورت الإنسانية واتسعت مداركها بعض الشيء ، فكان إلى جانب الدعوة إلى الله إلفات إلى الوجود المادي ليستدل به على النظام المسك به من غير عظمة الخالق وقدرته كذلك صحب هذه الرحلة من دعوات الرسل معجزات غير انتقامية يراد بها تأييد الرسول وتزكية دعوته بأنه رسول من رب العالمين . فجين يرى الناس المعجزة يرون معها ما لا يكن لبشر أن يأتي به . وذلك عمل يحتاج إلى وعي وإدراك لا يبلغه المرء إلا بعد أن يجاوز مرحلة الصبا ، ويشرف على مرحلة الرجولة أو يبلغها ...

ونعود لنقرر مرة أخرى أن في هذا المنهج الذي احتوت دعوات الرسل ، والذي نقله إلينا القرآن الكريم دليلا قائما على أن القرآن منزل من عند الله ، وذلك لما اشتمل عليه هذا المنهج من مسايرة لتطور الإنسانية ومواءمة لوعيها وإدراكها ، ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما كان فيه هذا الضبط الدقيق ، وتلك اليقظة الواعية لسير الحياة ، ورصد حركات العقول فيها ولو وقع على أقل تقدير عني هذا المنهج ، بعض الخلل في ترابطه وتماسكه ، ولكننا إزاء منهج متاسك أقوى ما يكون التاسك سواء في وحداته ، وعناصرها ، أم في تدرج هذه الوحدات واحدة بعد أخرى عندرج الكائن الحي نحو النضج والكال ، فإلى جانب الأدلة الكثيرة على إعجاز القرآن وصدق الرسول يمكن أن يضاف هذا الدليل اليها ، ويحسب في حسابها ...

# أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله

الرساله المحمدية هي خاتمة الرسالات الساوية ، لقد انتهى الدور التلقيني بعد إن أشرف العقل بنفسه على دلائل كثيرة تشير الى وجود الله .

فالله في واقع الحياة ـ في هذه المرحلة الأخيرة من رسالات السماء ـ ليس ذاتا مجهولة أو منكرة في عقول الكثرة الغالبة من الناس ، فقد كان لدعوات الرسل المتتابعة ، ولمواقف الراشدين والعالمين من أتباعها آثار كبيرة في كشف الطريق الى الله ، والتعريف به ، كما كان للزمن وتطور العقل الإنساني ، نحو الكال أثره القوي كذلك في هذا الأمر .

لقد جاء الإسلام والعرب يعرفون في لغتهم كلمة الله ويتعاملون بها في حياتهم على أنها قوة ممسكة بالوجود وقائمة على كل شيء ، وأنها تعلم ما يخفي الناس وما يعلنون ، يقول زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي وأحد أصحاب المعلقات :

فلا تكتن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم يؤخره فيوضع في كتاب فيذخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

فقد كان العرب في جاهليتهم يعتقدون في الحياة بعد الموت ، وفي الجزاء وفي الجنة والنار ، يقول الشهرستاني عن عرب الجاهلية : ( ومن العرب من كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وينتظر النبوة ، ومن هؤلاء زيد بن عمرو ابن نفيل كان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول « أيها الناس ، هلموا إلى ، فإنه لم يبق على دين إبراهيم أحد غيري » ، ومنهم قس بن ساعدة الإيادي وكان يقول : « هو الله إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى وإليه المآب غدا » ، ومنهم عامر بن الظرب العدواني ، وكان يقول : « إني ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا إلا مصنوعا ، ولا جائيا إلا ذاهبا ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء » ) .

فالرسالة المحمدية تواجه إنسانية فيها وعي ، ولها إدراك ، وعندها إستعداد للبحث عن الله ، والتشوق اليه من خلال هذا الوجود الذي يعيش

فبه الناس، وإذن فلن تكون الدعوة إلى الله دعوة تلقائية لإن مواجهة العقل المدرك المستعد للبحث والنظر \_ إلى مواجهته بالأمر الواقع والحكم الملزم، فيه تعسف واعنات لا تلقاه مثل هذه العقول إلا بالترد والعناد ...

وحين ننظر في دعوة الإسلام نجدها قد مرت في مراحل إنتقلت بالناس من حال إلى حال ...

وفي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة نجد أن أول ما افتتح به الوحي رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، هو قوله تعالى : ﴿ إِقرأ بِاسِم رَبِكُ الذي خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق ) .. هذه الآيات كانت عنوان الموضوع الذي تدور حوله الدعوة في مراحلها الأولى : الخالق وما خلق ، وذكر الخالق وما خلق هنا هو تحديد للموضوع الذي من أجله كان توجيه النظر إلى المخلوقات ، والوقوف على ما في صورها وألوانها وأشكالها من عجائب وأسرار ، فإذا استبانت لعين الناظر المتأمل تنبهه إلى الخالق الذي خلق ..

ويكاد العهد المكي كله من تاريخ الرسالة ـ يقوم على أداء هذا الـدور، والعمل على التعريف بالله من طريق الإقناع، بالنظر والتفكر في آيات الله ...

ونقد جاء القرآن الكريم في هذا الباب ، بما لم يكن لدعوة من الدعوات السماوية أو غير السماوية أن تجيء بمثله ، وبما لم تنفذ اليه من قلوب الناس وعقولهم أجهزة الدعايات العصرية التي تبشر بالمذاهب السياسية أو الإقتصادية ، والتي تحشد لها كل قوى الدعاية من ملايين الأنفس ، وملايين الأموال تعمل جميعا في كل ميدان يصل إلى الناس من الإذاعات والكتب والصحف ، كل أولئك لم يكن شيئا إلى جانب المنهج الذي اتبعه الإسلام في دعوته إلى الله ، واذ كان منهجا قائما على الحق ، وداعيا إليه عن طريق النظر ، والإستدلال والإقناع ...

وما يشوق العقل الإنساني ويوقظ وجدانه أكثر من نظرة واعية إلى

صامت وناطق في الوجود ، فيبدو الوجود كله في مسرح نظره ، ومسبح خاطره ، ومجلى تفكيره يقلبه كيف يشاء ، ويأخذ منه ما يريد ..

إقرأ قوله تعالى: ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ (سورة السجدة ). وقوله تعالى: ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش، وسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجَل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون. وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا، ومن كل الثرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. وفي الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب، وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان، تسقى عاء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (سورة الرعد).

واقرأ قوله جل شأنه: ﴿ فلينظر الانسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبّا متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ ( سورة عبس )

فتلك دعوات يستحضر بها العقل هذه الظواهر التي تتبدل بها الطبيعة حالا بعد حال ، وتلبس فيها أثوابا بعد أثواب ، وهي تجيء وتذهب بين يدي الإنسان دون أن يلتفت إليها كثير من الناس ، أو يقفوا عندها ، فإذا جاءهم من يدعوهم اليها ، ويلفتهم نحوها ، أحسوا بها ، وعجبوا منها كأنما يرونها لأول مرة .

وقد ذهب القرآن الكريم في هذا كل مـذهب ، وجـاء إلى العقل من كل أفق يثيره ، ويحدد صور الوجود في نظره ...

ومن تدبر القرآن في هذا ، استعراض مظاهر قدرة الله وعظمته ،

وحكمته وتدبيره فيا يبدو عليه هذا النظام الكوني من روعة ودقة واحكام ...

﴿ ومن آیاته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا علیها الماء اهترت وربت إن الذي أحیاها لحجي الموتى ، إنه على كل شيء قدیر ﴾ (سورة فصلت ) . ﴿ ومن آیاته خلق السموات والأرض وما بث فیها من دابّة ﴾ (سورة الشورى ) ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (سورة غافر) .

ومن الأساليب التي نهجها القرآن في الإلفات إلى عظمة الله وقدرته السلوب الاستفهام التقريري الذي يتحدث عن خلق من خلق الله، أو عن آية من آياته، ونعمة من نعمه. وفي هذا الاسلوب يجد القاريء نفسه أمام سؤال ليس له إلا جواب واحد هو الإقرار بالله. فإن استجاب للحق أقر به وإلا أفحم ووجم وخرس.

﴿ أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ؟ أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ﴾ (سورة النل) . ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون إلا في غرور ﴾ ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ، بل لجوا في عتو ونفور ﴾ (سورة الملك) .. فهذه قضايا يطالب الخصم فيها بإقامة الدليل على بطلانها إن كان في إمكانه أن يفعل ، وإلا فقد لزمه الإيان بالله ..

﴿ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (سورة البقرة ) ...

هذا أسلوب القرآن قد جاء بألوان من ضروب الاعجاز الذي خرست له الألسنة ، وتضاءلت أمامه العقول وتصاغرت بين يديه الأفهام ...

أما أسلوب الملاحدة الذين يدعون وجود قدرة غير قدرة الله ، فيقولون أن الطبيعة هي الخالقة لهذا الكون والمدبرة له ، فإنهم مطالبون أن يقيوا الدليل على دعواهم الباطلة . كيف تخلق الطبيعة ؟ هل من خالق غير الله ؟

سأل أحد الملحدين تلميذا فقال : أقم لي دليلا واحدا على وجود الله . وأنا أومن لك به . فأجاب التلميذ : وأنت أقم لي دليلا واحدا على عدم وجوده ، وأنا أكفر به ! فبهت الذي كفر ...

# الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بكل ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مما يكون بعد الموت فالإيمان بفتنة القبر وعذابه ، ونعيه ، فأما الفتنة ، فإن الناس يفتنون في قبورهم ، فيقال للرجل من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟ فيتبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن : الله ربي ، والاسلام ديني ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيي ...

وأمّا المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق، ثم بعد هذه الفتنة، إما نعيم، وإما عذاب.

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بجميع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يكون بعد الموت ، وهذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، والمؤمنون يؤمنون بالبعث بعد الموت ، وهو إعادة الأبدان بأرواحها إلى الحياة مرة ثانية كا صرحت به الكتب الساوية ، ونادت به جميع الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿ إِنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ وقال : ﴿ إِن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ .

ويجب الإيمان من بعد الموت بفتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعث والحشر ، والنشر والصحف ، والميزان والحساب ، والجزاء والصراط ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار وأحوالها ، وما أعد الله لأهلها ، إجمالا وتفصيلا ، وفي الصحيحين من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن العبد إذا وضع في قبره أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من

الجنة فيراهما جميعا ، قال وذكر لنا أنه يفسح له في القبر مد البصر ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » .

وأخرج الترمذي ، وابن حبّان في صحيحها من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنَّا نعلم أنك تقول هذا: ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ا ذراعا، ثم ينور له فيه، وإن كأن منافقا قال: سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثله ، ولا أدري ، فيقولان : قد كنا نعام أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : إلتمي عليه ، فتلتم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معتذبا حتى يبعثه الله من مضجعه » . وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لقد أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل - أو قريبا - من فتنة المسيح الدجّال » . وفيها عن أبي أيوب قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد وجبت الشمس وقد سمع صوتا فقال : « يهود تعذّب في قبورها » . وعن أبي داود : فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربّك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقولان له : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى ، فأمنت به وصدّقت ، فينادي مناد أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة ، وألبسوه من الجنة ، ويفسح له مد بصره » . وقال في الكافر : « فيأتيانه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، إلى أن قال : فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي ، فأفرشوه

من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » . ومن الأدلة الدالة على عذاب القبر قوله تعالى في حق آل فرعون : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ﴾ وقوله : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ، والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ إن السؤال والنعم والعذاب في القبر يشبه بعثا للحشر في أنه واجب سمعا ، بل وعقلا وحكة ، فإن الأدلة القاطعة قامت على أن الله تعالى حكم في صنعة ، لم يخلق الناس عبثا ، ولم يتركهم سدى ، بل جعل لمم حياة وراء هذه الحياة لينصف فيها المظلوم من الظالم ، ويقام فيها قانون العدل بين الخلائق ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني تمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ، وليف الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ، وليف الذو وكل الإنسان فيا حوله من نبات مختلف ، وجنات منشأت ، وكيف ولو فكر الإنسان فيا حوله من نبات مختلف ، وجنات منشأت ، وكيف ولم الله بالماء الأرض بعد موتها وتهتز وتربو بعد يبسها وجودها ؟

لعلم أن من قدر على ذلك قادر على أن يعيد الخلق الى ماكانوا عليه « فأنظر الى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لحيي الموتى وهو على كل شيئ قدير » وأي فرق بين البدء والإعادة إذا كان الله تعالى هو الذي بدأ الخلق ووهبهم الحياة فما الذي يحول بينهم وبين إعادتهم ؟ « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيئ وإليه ترجعون » فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيئ وإليه ترجعون » على أن من شأن الإعادة أيسر من البدء ، وإن كان الكل تناوله القدرة « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم »..

### السعيث

يبدأ اليوم الآخر بالبعث ، وهو إعادة الإنسان روحا وجسدا كا كان في الدنيا ، وهذه الإعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى لأنها تختلف تمام الإختلاف عن النشأة الأولى ..

### أدلة البعث:

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث مستدلاً بالنشأة الأولى على النشأة الأخرة ، ومبينا أن الله تادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء ، فلا تعجزه إعادة الأجسام لنفوذ قدرته ولا يضيع منها شيء لسعة علمه .

قيل في شرح الطحاوية: الإيمان بالمعاد مما دلّ عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة السلية ، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه ، وأقام الدليل عليه ، وردّ على المنكرين في غالب سور القرآن ، وذلك أن الأنبياء كلهم متفقون على الإيمان بالله ، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقرون بالرّب إلاّ من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر ، فإن منكريه كثيرون ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما كان خاتم النبيئين وكان قد بعث هو والساعة كهاتين ، وكان هو الحاشر المقفى بين تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد في شي من كتب الأنبياء .

الإنسان يتطور في الخلق ويتحول من حال الى حال كالأرض وما خرجه من نبات مظهر العلم والقدرة قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شي قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ﴾ «سورة الحج» وإذا

كان الله لم يعي بخلق السموات والأرض ولايسزال يخلق ويرزق ، ويحيي وعيت ، فهل يستبعد بعد هذه المشاهدة المنظورة أن يعيد الخلق مرة أخرى ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ﴾ إن إنكار البعث وإعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة في الأنفس والآفاق لامعنى لها ...

وأما الذين أنكروا البعث فرد الله عليهم بأن استبعادهم لامعنى له ، لأنهم يجهلون عظمة الله وقدرت وعلمه وحكت ، وأنهم لايبصرون في أنفسهم ، فأنفسهم أدل الدلائل وأقوى الحجج على نفي ماينكرونه من البعث ، فالله أحياهم أولا ، وأماتهم ثانيا ، ولاتزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأي أستبعاد في هذا ؟..

قال في شرح الطحاوية: (فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتاثلان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجوه. المعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة، ولوازم (البدء) فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأي شخصا وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخا علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائم في تحلّل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، من رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة قال: هذه تلك، وليست صفة لتلك النشأة الثانية مماثله لصفة هذه النشأة حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لاسيا أهل الجنة إذا دخلوها، فإنهم يدخلونها على صورة آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا كا ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي أن عرضه سبعة أذرع، وتلك نشأة باقية غير معرضة للأفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات) اه.

#### النفخات الثلاث:

النفخات ثلاثة : الأولى : نفخة الفزع وهي التي يتغير بها العالم قال تعالى : ﴿ وَنَفْخُ فِي الصور فَفْزَع مِن فِي السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ، والنفخة الثانية : نفخة الصعق قال تعالى :

﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ والنفخة هذه هي التي فيها الهلاك لكل شيء والنفخة الثالثة : نفخة البعث والنشور قال تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ ..

وفائدة الإخبار بالآخرة لينتبه الإنسان فيأخذ بالأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال ، ويبادر الى التوبة من التبعات ، ويلجأ الى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة ، ويتضرع اليه في سلامته من دار الهوان ، وإدخاله دار الكرامة ..

وقد جعل الله الدار ثلاثا: دار الدنيا ، ودار البرزخ ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعا لها ، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على مايظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضرت بالنفوس .

وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبعا لها فإذا كان يوم القيامة عند بعث الأجساد ، وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين ، صار النعيم والعذاب على الأرواح والأجسام معا .

واختلف في مستقر الأرواح مابين الموت الى قيام الساعة أين تكون ؟ والراجح في ذلك أن الأرواح تكون متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم أعظم تفاوت كا رآه النبي عليه الإسراء ، وأرواح بعض الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، وبعض الشهداء تحبس أرواحهم عن دخول الجنة لدين عليهم ، أو غيره كا جاء في المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء الى النبي عليهم ، أو غيره كا جاء في المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء الى النبي عليهم فقال : «إلا الدين ، سارني به جبريل آنفا » ، ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوسا في ومنهم من يكون محبوسا في

قبره ، كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد ، فقال النبي عليه نارا «والذي نفسي بيده أن الشملة التي عليه لتشتعل عليه نارا في قبره » . ومنهم من يكون مقره باب الجنة كا في حديث ابن عباس : «الشهداء على بارق نهر باب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشيا » (1) رواه أحمد . وهذا بخلاف جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه بجناحين يطير بها في الجنة حيث شاء (2) ، ومنهم من يكون محبوسا في الأرض لم تعل روحه الى الملإ الأعلى ، إنها كانت روحا سفلية ، ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه ، وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية سعيدها وشقيها مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لاتصعد عن الأرض .

### كل شيء هالك إلا وجهه :

جاء في شرح الطحاوية: (إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لاتموت الأرواح، فإنما خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان وقد دلت على ذلك الأحاديث المدالمة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها والصحيح موت النفس هي مفارقتها لأجمادها وخروجها منها، فإذا أريد بموتها هذا القدر، فهي دائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى فهي لاتموت وعلى همذا الإعتبار فهي باقية بعد قبضها في نعيم أو عذاب وأجمعت الرسل عليهم السلام أنها محدثة مخلوقة، وهذا معلوم بالضرورة من الدين أن العالم حادث وأن معاد الأبدان واقع وأن الله وحده هو الخالق، وكل ماسواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهي القرون ظهر بعض من قصر فهمه عن الكتاب والسنة فزع انها قديمة غير مخلوقة.

<sup>1 )</sup> أخرجه أحمد في مسنده - الطبراني - الحاكم - عن ابن عباس - حسن -

<sup>2)</sup> أخرجه الحاكم . وذكره ابن حجر في الفتح عن الحاكم والطبراني وجوّد اسناده وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترميذي والحاكم وفي اسناده ضعيف ـ وله شواهد أخرى عن أبي سعد يصح بها الحديث .

وأجمع المسلمون على أن الناس يقومون من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد ، فمن ثقلت موازينه فأولائك هم المفلحون ، ومن خفت موازينهم فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدين ) وروى مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ويلين يقول : « اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ، قال : فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق قدر أعمالهم ، منهم من يأخده الى عقبيه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبته ، ومنهم من يأخذه الى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجاما قال بعض العلماء : ظاهر الحديث التعميم ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ، ويستثني دلت الأحاديث الكورى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ، ويستثني من هذا العرق ـ الأنبياء والشهداء ومن شاء الله ، فأشدهم في العرق الكفار ، ثم أصحاب الكبائر ، ثم من الذين عملوا المعاصي دون الكبائر ، وماتوا على ذلك ، والمسلمون منهم قليلون بالنسبة للكفار .

ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها وذلك أن النار تحف بأرض الموقف ، وتدنو الشهس من الرؤوس قدر ميل ، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا مع أن كل واحد لا يجد الا موضع قدمه فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه ؟ إن هذا لمِمَّا يبهر العقول ، ويدل على عظم القدرة ، وعلى هذا يقتضي الإيان بأمور الآخرة وأنَّ ليس للعقل فيها مجال .

ولايعترض بقياس ولاعادة وإنما يؤخذ بالقبول ، ويدخل تحت الايمان بالغيب ، ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانه..

### إختلاف الناس عند البعث:

الناس يختلفون عند البعث إختلافا كبيرا حسب أعمالهم ، فالذين صلحت أعمالهم وعقائدهم ، وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجادا وأرواحا ، والسذين خبثت أرواحهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول على قال: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوهم ، قيل: يارسول الله كيف يحشرون على وجوهم ؟ قال :إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ؟ كل حدب وشوك » على وجوههم ، أما انهم يتقون بوجوههم ؟ كل حدب وشوك » رواه الترمذي . وفي الحديث يقول الرسول الكريم على أنه الناس المتكبرون المتجبرون يوم القيامة في صور الدر يطأهم الناس لهوناهم على الله عز وجل » وروى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله يقول: « يبعث كل عبد على مامات عليه » أي إن مات على حسنة يبعث على حال سارة ، ومن مات على شر يبعث على حال سيئة .

والبعث يكون بالأجساد والأرواح إلا أن القوى الروحية تكون هي القادرة على التصرف في الأجساد ، فتستطيع قطع المسافات البعيدة في أقصر مدة ، والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار ، ويكون مثلهم في ذلك مثل الملائكة والجن في قدرتها على التشكل وظهورها في أجساد تأخذها من مادة الكون ، وقد ثبت ذلك ثبوتا علميا .

## الحساب حسق

هو وقف الله عباده قبل انصرافهم من المحشر على أعمالهم خيرا ان كانت أو شرا تفصيلا ، وهو مختلف فيه البسير والعسير ، والسر والجير ، والتوبيخ ، والفضل ، والعدل ، يستثني من لاحساب عليهم ، كالسبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وكالمبشرين بالجنية ، وحساب الله تعالى الناس بأن يخلق في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب ، أو يقف عباده بين يديه ، يؤتهم كتب أعمالهم ، فيها سيئاتهم وحسناتهم ، أو يكلم عباده في شأن أعمالهم ، وكيفية مالها من ثواب ، وماعليها من العقاب ، وتتسع قدرة الله تعالى لمحاسبتهم جميعا كا اتسعت لإجاده ، وتنظيم شؤونهم ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظام نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وروى الترمذي أن رسول الله عليات قال: « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه ماعمل به ؟ وعن ماله من أين أكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟ » وقال حديث حسن صحيح . وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله عليه من نوقش الحساب عنب ، فقلت : أليس يقول الله : ﴿ وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ﴾ قال: (إنَّما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك ) . (شرح عبد السلام والعقيدة) .

فالله يحاسب عباده على أن يجازي على السيئة بسيئة مثلها الماثلة يحددها هو وحده . ويجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، وقد يجازي عليها بأكثر من ذلك لأنَّ الناس يتفاوتون في اتقان أعالهم ، والإحسان فيه ، كا يتفاوتون في الإخلاص لله تعالى في مثل الصلاة ، والصيام ، والحج ، أما في الصدقة فهم مع تف أوتهم في الإخلاص يتفاوتون أيضا في تحري من يستحقها ، فرب قرش يعطى لفقير أفضل عند الله من قرش يعطى لسائل

ورب قرش يعطى لأسرة بائسة أفضل عند الله تعالى من دينار يعطى جزافا ، وفي هذايقول الله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجبزي إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ ، ويقول : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ﴾ ، ويقول : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ كل ذلك عدل من الله تعالى وحكة وفضل ..

والأدلة قائمة على غفران الذنوب الصغائر لتارك الكبائر ، والصغائر كالشتم والنظرة ، والكبائر كالزنا والقذف إلى غير ذلك من الأعمال القبيحة ، ومن شأن التاركين للكبائر أن تتغلب حسناتهم على سيئاتهم فتذهب بها : ﴿ إِن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ .

اتفقت الكتب الساوية والشرائع الإلهية على أن هناك يوماً هو آخر أيام الدنيا، تساق فيه الخلائق، بعد خروجها من القبور سوقا، ويجمع الله فيه الموتى فلا يترك منهم فردا ﴿ ويوم نسير الجبال وترئ الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا، وعرضوا على ربك صفا، لقد جئتمونا كا خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا، ووضع الكتاب فترى الجرمين مشفقين مما فيه، ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا أحصاها، ووجدوا ماعملوا حاضرا ولأيظلم ربك أحدا ﴾ (الكهف) وكثيرا مايخوفنا الله تعالى شدة ذلك اليوم ويحذرنا شره، ﴿ وأتقوا يـوما ترجعـون فيـه الى الله، ثم تـوفى كل نفس مـاكسبت ترجعـون فيـه الى الله، ثم تـوفى كل نفس مـاكسبت الأوفى، لاينفع فيه مال صاحبه، ولايدفع فيه ولد عن أبيه ﴿ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ هو يوم تنقطع فيه الصلات وتتفرق الجاءات إلا صلة أساسها الدين، وعروتها الإيمان

﴿ الا خلاء يومئد بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ يشتد فيه بالخلائق الأمر ، ويعظم بينهم الخوف ، فلا يجرؤ بي مرسل ولا ملك مقرب أن يشفع لأحد من خلقه ، إلا من بعد أن يستأذن ربه في وساطته ويرضي عنه في شفاعته ، ﴿ وقالوا اتخد الرحمن ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ، ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ ولا تزال الناس كذلك حتى يفصل بين الخلائق ، فإما إلى جنة أعدها الله للمتقين ، وإما إلى نار أعدت للعصاة والجرمين : ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فهم في روضة يجبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾

فيجب الإيان بالصحف جمع صحيفة ، والمراد الكتب التي تدون فيها أعال الإنسان ، قال تعالى : ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ ، ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وقال : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ، كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم في الإيام الخالية ، وأما من أوتي كتابه بشماله ، فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ماحسابيه ياليتها كانت القاضية ﴾ .

وكذلك يجب الإيان بالوزن والميزان ، الوزن هو تعرف مقدار الشي حسا أو معنى ، كا يزن القاضي العادل مقدار حجج الخصوم ليتعرف قويها من ضعيفها ، ومنها سمى العلماء علم المنطق ميزانا للأن به توزن الحجج والبراهين ، قال تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ ويقول : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ..

#### الصراط:

يجب الإيمان بالصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم بين الجنة والنار ير الناس عليه، على قدر أعمالهم، فنهم من ير كلمح البصر، ومنهم من ير كالبرق، ومنهم من ير كالريح، ومنهم من ير كالفرس الجواد، ومنهم من ير كراكب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يشي، ومنهم من يخطف، فيلقى في جهنم، فيإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فن مر على الصراط، دخل الجنة، فإذا مروا عليه عبروا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .. (1)

### العرش والكرسي:

يجب الإيمان بعرش الله تعالى وكرسيه ، وبالقلم وبالملائكة الكاتبين ، وباللوح المحفوظ ، وإذا وفقنا لمعرفة هذه الأشياء ، ولو من طريق الخصائص والمميزات ، فذلك فضل من الله واسع ، وإن لم نعرفها آمنا بها مع تفويض علم حقيقتها إليه تعالى ، كا نؤمن بأن الله تعالى لم يخلقها عبثا ، وإنما خلقها لحكة تقتضيها ويتطلبها نظام الملك ، ﴿ وماخلقنا السماء والأرض ومابينها لاعبين ﴾ .

يجب الإيمان بالنار والجنة: النار أعدها الله للعصاة، والجنة أعدّها للمتقين، والمراد بها دار النعم والعذاب، حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وهما موجودتان الآن، قال تعالى في الجنة: ﴿ أعدت للمتقين ﴾ وفي النار ﴿ أعدت للكافرين ﴾، وقال في الجنة في الموجودة: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهي عنده جنة المأوى ﴾ وفي وجود النار قال في حق قوم نوح عليه السلام ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوانارا ﴾، وأن الجنة والنار لاتفنيان ..

### الحـوض:

يجب الإيمان بالحوض الذي يرده المؤمنون في الآخرة وهو حوض نبينا محمد عليه حتم لورود الخبر الصحيح به ، روى البخاري عن عبد الله بن

<sup>1)</sup> العقيدة الواسطية لابن تمية ، وصحيح البخاري .

عرو قال : قال رسول الله عليه : « حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يظهأ أبدا » ..

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله على الحوض ، من مر عليه شرب منه ، ومن شرب منه لم يظها على الحوض ، من مر عليه شرب منه ، ومن شرب منه لم يظها أبسدا ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحسال بيني وبينهم ، » وفي رواية فأقول ياربي أصحابي ، فيقول: إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم . هذه الإحاديث ومثلها في الصحيحين وردت في الحوض ، والعقل لا يحيله فوجب الإيمان به لأن ذلك هو الأصل في السمعيات .

### الشفاعية

الثفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفها بعضهم بأنها سؤال الخير للغير، وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ..

والشفاعة تنقسم إلى قسمين مثبتة ومنفية : فالمثبتة هي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص ، ولها شرطان مذكوران في قوله تعالى : ﴿ وَكُمْ مَنْ مَلِكُ فِي السّموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ، وأما الشفاعة المنفية فهي التي تطلب من غير الله ، أو بغير إذنه ، أو لأهل الشرك قال تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة ، والكافرون هم الظالمون ﴾ ...

وشرح العلماء الشفاعة الى ثمانية انصاف:

- 1) الشفاعة العظمى : وهي شفاعة النبي عَلِيْكَةٍ لأهل الموقف حتى يقض بينهم حين يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا صلوات رب وسلامه ، وهي المقام المحمود .
  - 2) شفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها .
- 3) شفاعة سائر النبئين والصدقين والشهداء والصالحين وغيرهم فيشفعون فين استحق النار أن لايدخلها وهو تكريم من الله \_ يوم القيامة \_ لبعض التقاة ، يشفع الله من يشاء فين شاء ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ .
- 4) وفين دخلها أن يخرج منها . بعد أن يردها حقا ويراها عين اليقين ﴿ وإن منكم الآ واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين أتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ .
- 5) في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم ، فيشفع عَلَيْكُم فيهم .
  - 6) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب .

- 7) الشفاعة في تخفيف العذاب عن يستحقه .
- 8) الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوها فيخرجون منها .

وانقسم الناس في الشفاعة الى طرفين ووسط ، قسم نفوا الشفاعة وهم الخوارج والمعتزلة فنفوا شفاعته على أهل الكبائر ، وقسم أثبتوها حتى للأصنام وهم المشركون كا ذكر الله عنهم بقوله : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ وقسم توسطوا وهم أهل السنة فأثبتوها بشرطها وهما :إذن الله للشافع أن يشفع والثاني رضاه عن المشفوع له ولا يرضى من العمل الا ماكان خالصا صوابا ...

وعلى كل حال فن أراد أن يعرف اليوم الآخر وماتشتل عليه فأحيله على الكتاب والسنة في بقية تفاصيل الآخرة ، وقد كتب أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيا يتعلق باليوم الآخر ، وبالجنة والنار ، وصنفوا المصنفات الكثيرة المطولة والمبسوطة ، وأن ذلك كله داخل في الإيمان باليوم الآخر .

# رأي الاستاذ محمد عبده في الشفاعة

نقل صاحب المنار عن الأستاذ الامام في تفسير قوله تعالى : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ قال ما معناه ﴿ له مافي السموات ومافي الأرض ﴾ لأنهم ملكه وعبيده مقهورون لسننه خاضعون لمشيئته ، وهو وحده المصرف لشئونهم ، والحافظ لوجودهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده ﴾ منهم فيحمله على ترك مقتضى مامضت به سنته ، وقضت به حكمته ، وأوعدت به شريعته من تعذيب من دسّى نفسه بالعقائد الباطلة ، ودنسها بالأخلاق السافلة ، وأفسد في الأرض ، وأعرض عن السنة والفرض من ذا الذي يقدم على هذا من عبيده ﴿ إلا بإذنه ﴾ ؟ والأمر كله له صورة وحقيقة ، وليس هذا الإستثناء نصا في أن الإذن سيقع ، وإنما كقوله ﴿ يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه ﴾ فهو تمثيل له بانفراد الله بالسلطان والملك في ذلك اليوم ﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئد لله ﴾ ولهذا

قال البيضاوي في تفسير الجمل ، بيان لكبرياء شأنه ، وأنه لاأحد يساويه أو يدانيه ، ويستحيل بأن يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعوقه عنادا أو مناصبة ....

وقال الأستاذ الإمام ماحاصله: إن في هذا الإستثناء قطعا لأمر الشافعين المتكامين على الشفاعة المعروفة التي كان يقول بها المشركون وأهل الكتاب عامة لانفراده تعالى بالسلطان والملك وعدم جراءة أحد من عبيده على الشفاعة أو التكلم بدون إذنه ، وإذنه غير معروف لأحد من خلقه ...

ثم قال: ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ أي ماقبلهم ومابعدهم أو بالعكس، أو أمور الدنيا التي خلفوها، أو أمور الآخرة التي يستقبلونها، مايدركون ومايجهلون، وهذا دليل على نفي الثفاعة بالمعنى المعروف.

فالشفاعة المعروفة التي يعلق عليها الكافرون والفاسقون أمالهم ، ويظنون أن الله تعالى يرجع عن تعذيب من أستحق العذاب منهم لأُجُل أشخاص ينتظرون شفاعتهم هي مما يستحيل على الله تعالى لأنها من شأن أهل الظلم والبغى تستلزم الجهل وهو ذو العلم الحيط ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴿ ومن علم شيئًا منك فلا سبيل له إلا التصدي بإعلامك ، فما عسى أن يقول من يريد الشفاعة عنده بالمعنى الذي يعهده الناس ويغتربه الحقني الذين يرجون النجاة في الآخرة بدون رضاء الله تعالى في الدنيا . قال الامام : معناه أن الشفاعة تتوقف على إذنه ، وإذنه لايعلم إلا بوحي منه تعالى . يريد أن ذلك ترق في نفيها من دليل الى آخر أي إذا أمكن أن يكون هناك شفاعة بمعنى آخر يليق بجلال الله تعالى كالدعاء الحض ، فإنه لا يجرؤ عليها أحد في ذلك اليوم العصيب إلا بإذن من الله تعالى ، وإذنه تعالى مما إستأثر بعلمه فلا يعلمه غيره إلا إذا شاء إعلامه به ، ثم قال وإنا نعرف إذنه بما حدده من الإحكام في كتابـ ، أي فمن بين أنه مستحق لعقابه ، فهو مستحق له ، لا يجرؤ أحد أن يدعو لـه بالنجاة ، ومن بين أنه مستحق لرضوانه على هفوات ألَّم بهـا لم تحول وجهـه عن الله تعالى الى الباطل والفساد الذي يطبع على الروح فتسترسل في

الخطايا حتى تحيط بها ، فتملك عليها أمرها ، فذلك مستحق لـ منتـ الله الله في كتابه وفضله على عباده كما سبق في علمه الأزلي .

ثم قال الأستاذ الامام: قالوا أن الإستثناء في قوله تعالى: ﴿ إلا باذنه ﴾ واقع ، وهو أن نبينا عليه الصلاة والبسلام يشفع في فصل القضاء ، فيفتح باب الشفاعة فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالأنبياء والأصفياء كا ثبت في الأحاديث ، وهي حالة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة ، والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء كا علم من الإستثناء ، ونقول: أجمع كل من أهل السنة والمعتزلة وسائر فرق المسلمين على كال علم الله تعالى واحاطته وذلك يستلزم إستحالة الشفاعة عنده بالمعنى المعهود كا سبق القول ، وقلنا هناك أن مثل هذا الإستثناء ورد في القرآن لتأكيد النفي وبذلك نجمع بين الآيات التي تنفي الشفاعة بدون إستثناء وبين هذه ، وقلنا أن ماورد في الحديث يأتي فيه الخلاف بين السلف والخلف في المتشابهات فنفوض معنى ذلك اليه تعالى ، أو الخلاف بين السلف والخلف في المتشابهات فنفوض معنى ذلك اليه تعالى ، أو يعمله على الدعاء الذي يفعل الله تعالى عقبه ماسبق في علمه الأزلي أنه سيفعله مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئا من علمه ، ولم يحدث تأثيرا ما في إرادته تعالى وبذلك يظهر كرامة الله لعبده بما أوقع الفعل عقب دعائه اهد (1) .

<sup>1)</sup> أنظر بحث « الشفاعة » في تفسير المنارج 1 ص 301 .

## الركسن السادس الايسان بالقسدر

الايمان بالقدر هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد ، لايكون شي إلا بإرادته ، ولايخرج عن مشيئته ، وليس في العالم شي يخرج عن تقديره ، ولايصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لاحد عن القدر ، ولا يتجاوز ماخط في اللوح الحفوظ ، وأنه خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي ، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم ، وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لايسأل عما يفعل وهم يسئلون ...

وأول ما خلق الله القلم قال له: أكتب. قال: وما أكتب؟ قال: ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه رفعت الأقلام وطويت الصحف كا قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تعلم أَن الله يعلم مافي السماء والأرض ، إن ذلك في كتاب ، إن ذلك على الله يسير ﴾ وقال: ﴿ ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (سورة الحديد). وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه ، بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، فقال: « أكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أم سعيد » ونحو ذلك ..

الإيمان بالقدر بأن الله علم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا ، فالأزل القديم الذي لانهاية له ، فالأزل هو الدوام في الماضي ، والأبد ماليس له آخر ، فهو الدوام في المستقبل ، فالأول هو الذي لم يزل كائنا ، والأبد هو الذي لايزال كائنا ، وكونه لم يزل ، ولايزال معناه دوامه وبقاؤه الذي ليس له مبتدأ ولامنتهى ..

وأن الله عالم بأعمال العباد قبل خلقهم وبجميع أحوالهم لايغيب عن علمه شي ، فيعلم ماكان ومايكون ، وما لم يكن لمو كان كيف يكون ،

ويعلم الواجبات والمكنات والمستحيلات ، قال تعالى : ﴿ وَأَن الله قد أَحاط بكل شيّ علم ﴾ ...

والعلم أع من الإرادة ، وهو أصل لها ، والمعلوم أع من المراد ، فالعلم يتناول الموجود ، والمعدوم ، والواجب والممكن ، وماكان وماسيكون ، وما يختاره العالم وما لا يختاره . وأما الإرادة فتختص ببعض الأمور دون بعض ، والخبر يطابق العلم ، فكل ما يعلم يمكن الخبر به ، والإنشاء يطابق الإرادة ، فإن الأمر إما محبوب يؤمر به ، وإما مكروه ينهى عنه ، واما ماليس بمحبوب ، ولامكروه ، فلا يؤمر به ، ولاينهى عنه ..

ومرتبة العلم من أول مراتب القدر، وقد اتفق عليها الرسل من أولهم الى آخرهم ، وأَتفق عليها الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وقد كفر السلف من الصحابة ، فن بعدهم من أنكر علم الله ، قال ابن عمر : « والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو كأن لأحدهم مثل أحد ذهبا ، ثم أنفقه في سبيل الله ماقبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا كلام ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وواثلة بن الاسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أمَّة الإسلام ، حتى قال فيهم الأمَّة كالك والشافعي ، وأحمد بن حنبل وغيرهم إن المنكرين لعلم الله القديم يكفرون . فإن الله سبحانه وتعالى علم أهل الجنة من أهل النار قبل أن يعملوا الأعمال ، وهذا حق يجب الإيان به ، بل نص الأمَّة كالك والشافعي ، وأحمد أن من جحد هذا ، فقد كفر ، بل يجب الإيمان به ، فإن الله علم ماسيكون قبل أن يكون . وفي الصحيح قالوا يارسول الله علم الله أهل الجنة من أهل النار ، قال : نعم ، قيل : فيم العمل ؟ قال : « اعملوا فكلكم ميسر لما خلق له » وأن الله علم الأشياء كما هي ، وقد جعل لها أسبابًا تكون بها ، وعلم أنها تكون بتلك الأسباب ، فلابد من الأسباب التي قد علمها الله سبحانه وتعالى من الدعاء ، والسؤال وغيره فلا ينال العبد شيئا الا ما قدره الله من جميع الأسباب ، والله خالق ذلك الشي ، وخالق الأسباب ، ولهذا قيل الإلتفات الى الأسباب شرك في التوحيد وترك الأسباب نقص في العقل ، والإعراض عنها بالكلية قدح في الشرع ، ومجرد الأسباب لاتوجب حصول

السبب إلا إذا كان بقضاء الله وقدره ، فإن لم يكل الله الأسباب ، ويدفع الموانع لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ماشاء كان ، وإن لم يشأ الناس ، وماشاء الناس لايكون إلا أن يشاء ، لايجوز أن يعتقد أنَّ الشيء سبب إلا بعلم ، فن أثبت شيئا سببا بلا علم ، أو تخالف الشرع كان مبطلا ، مثل أن يظن أن النذر سبب في دفع البلاء ، أو حصول النعاء أن الأعمال البدنية لايجوز أن يتخد منها سببا إلا أن تكون مشروعة ، فإن العبادات مبناها على التوقيف وكذلك عمل الآخرة ، فليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة ، قال النبي على التوقيف وكذلك عمل الآخرة ، فليس بمجرد العمل ينال الإنسان ولأأنت يارسول الله ؟ قال : « ولا انبا الا أن يتغمدني الله برحمته » فالعمل الصالح مع رحمة الله هو طريق الجنة ، أي ليس العمل بوضا أو ثمنا كافيا في دخول الجنة ، بل لابد معه من عفوه تعالى ورحمته وفضله ومغفرته ، فغفرته تمحو السيئات ورحمته تأتي بالخيرات ،

وقد ضلّ فريقان في القدر: أحدها أخد بالقدر وأعرض عن الأسباب الشرعية ، والأعمال الصالحة وظنوا أن ذلك كاف ، وهؤلاء يؤول أمرهم الى الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والفريق الثاني أخذوا يطلبون الجزاء من الله كا يطلب الأجير من المستأجر معتمدين على حولهم وقوتهم وعملهم ، وهم جهال ضلال ، فن أعرض عن الأمر والنهي والوعيد ناظرا إلى القدر ، فقد ضل ، ومن طلب المقام بالأمر والنهي معرضا عن القدر ، فقد ضل ، بل لابد من الأمرين فكل عمل يعمله العامل ولايكون طاعة وعبادة وعملا صالحا ، فهو باطل ، وكل عمل لا يعين الله العبد عليه فإنه لا يكون ، لأن تفاصيل الجزاء فلا يدرك إلا بالمع ، والنقول الصحيحة عن العصوم الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ..

#### مشيئة الله:

وأما مشيئة الله سبحانه وتعالى ، هي تتضن شيئين أولهما الإيمان بعموم

مشيئته تعالى وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لايقع في ملكه إلا ما يريد وإن أفعال العباد من الطاعات والمعاصى واقعة بتلك المشيئة العامة التي لايخرج عنها كائن سواء كان مما يحبه الله و يرضاه أم لا . وثانيها الآيمان بأن جميع الاشياء واقعة بقدرة الله تعالى ، وأنها مخلوقة لـ لا خالق لها سواه ، ولا قرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها كما قال تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ويجب الايان بالأصل الشرعى ، بحيث أن الله تعالى كُلِّف العباد فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته ولا منافاة أصلا بينما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه للعباد بما شاء من أمر ونهي فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العب واختياره للفعل ، ولهذا جمع الله بين الشيئين بقوله : « لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون الا أن يشاء الله ربَّ العالمين » كا أنه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعى المتعلق بما يحبـه الله ويرضـاه ، فقـد يشاء الله مالا يحبه كمشيئة وجود إبليس وجنوده ، وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء وبين كون العبد فاعلا لفعله ، فالعبد هو الذي يوصف بفعله ، فهو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم ، والله خالقه وخالق فعله لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والارادة اللتين بها يفعل : يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر : إن العبد اذا صلى وصام وفعل الخير وعمل شيئا من المعاصي كان هو الفاعل لـذلـك العلم الصالح ، وذلـك العمل السيء وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره وهو يحسن أنه غير مجبور على الفعل أو الترك ، وأنه لو شاء لم يفعل ، وكان هـذا هو الواقع ، فهو الذي نص الله عليه في كتابه ، ونص عليه رسوله حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد وأخبر أنهم الفاعلون لها ، وأنهم ممدحون عليها إن كانت صالحة ، ومثابون ، وملومون عليها إن كانت سيئة ومعاقبون عليها ، فقد تبين واتضح بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم وأنهم إذا شاؤا فعلوا ، وإذا شاؤا تركوا ، وأن هذا الأمر ثابت عقلا وحسًا وشرعا ومشاهدة ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها وان كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال بأي شيء وقعت هذه الاعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها فإنها بقدرتهم وإرادتهم ، هذا

يعترف به كل أحد ؟ فالله هو الذي خلق ذلك فيهم وهو خالق للأفعال وهو الذي أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة ، وصرف عنهم الموانع كا قال مرابي « أما من كان من أهل السعادة فييسره لعمل أهل السعادة » وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه فولاهم ما تولوا لأنفسهم .

## خلاصة في القدر والمشيئة

مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شي من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها ، وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة ، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه القديم ، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض إختيارهم ولهذا يستحقون عليها الجزاء . إما بالمدح والمثوبة وإما بالذم والعقوبة ، وأن نسبة هذه الأفعال الى العباد فعلا فلا تنافي نسبتها الى الله إيجادا وخلقا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها .

الإيمان بالقدر جزء من عقيدة المسلم ، وليس معنى الإجبار ، قال الخطابي : « قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ماقدره وقضاه ، وليس الأمر كا يتوهمون وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله سبحانه بمايكون من اكتسابات العبد وصدورها عن تقدير منه تعالى ، وخلقه لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل المقادر » .

وعلم الله سبحـانـه عـا سيقع ، ووقوعـه حسب هـذا العلم لاتـأثير لـه في إرادة العبد ، فإن العلم صفة انكشاف لاصفة تأثير .

### حكمة الإيمان بالقدر:

وحكمة ذلك : أن تنطلق قوى الإنسان وطاقته لتعرف السنن والقوانين الإلهية ، وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير ، وفي إستخراج كنوز الأرض ، والإنتفاع بما أودع في الكون من خيرات .

وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل ، والإيجابية في الحياة ، كا أن الإيمان بالقدر يربط الإنسان برب هذا

الوجود ، فيرفع من نفسه الى معالي الأمور : من الاباء والشجاعة والقوة من أجل احقاق الحق والقيام بالواجب .

الإيمان بالقدر يري الإنسان أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكة عليا ، فإذا مسه الضر فإنه لا يجزع ، وإذا صادفه التوفيق والنجاح فإنه لا يفرح ولا يبطر ، وإذا برئ الإنسان من الجزع عند الإخفاق والفشل ، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنحاح كان إنسانا سويا متزنا بالغا منتهى النّبو والرفعة وهذا هو معنى قول الله سبحانه: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكليلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (سورة الحديد) . هذا ما ينبغي أن نفهمه من القدر ، وهو مقتضى فهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وفهم أصحابه رضوان الله عنهم أجمعين ..

وقد دخل رسول الله يوما على الإمام على كرم الله وجهه بعد صلاة العشاء فوجده قد بكر بالنوم فقال له: « هلا قمت من الليل ؟ فقال يارسول الله أنفسنا بيد الله إن شاء بسطها ، وإن شاء قبضها ، فغضب رسول الله على فخذه ويقول ، فغضب رسول الله على أكثر شيء جدلا » ..... وسرق أحد اللصوص ، فلما حضر بين يدي عمر رضي الله عنه سأله لم سرقت ؟ فقال قدر الله ذلك ، فقال عمر رضي الله عنه أضربوه ثلاثين سوطا ، ثم أقطعوا يده ، فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع لمرقته ، ويضرب لكذبه على الله » .

إن القدر لا يتخذ سبيلا الى التواكل ، ولاذريعة الى المعاصي ولاطريقا الى القول بالجبر ، وإنما يجب أن يتخذ سبيلا الى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال ، إن القدر يدفع بالقدر ، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل ، وقدر الظمأ بقدر الري ، وقدر المرض بقدر العلاج والصحة ، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل .

ويذكر أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنها حينا فرّ من الطاعون: أتفر من قدر الله قال: نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله ، أي يفرُّ من قدر المرض والوباء الى قدر الصحة والعافية ، ثم ضرب له مثلا بالارض الجدباء ، والأرض الخصبة ، وأنه إذا انتقل من الأرض الجدباء الى الأرض الخصبة لترعى فيها ابله ، فإنه ينتقل من قدر إلى قدر (1) ....

لقد كان يمكن للرسول وصحابته أن يستكينوا كا يستكين الضعفاء الواهنين معللين أنفسهم بالفهم المغلوط الذي يتعلل به الفاشلون ، ولكنه جاء يكشف عن وجهه الصواب ، فلم يهن ولم يضعف ، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى ملتزما سنة الله في نصره لعباده ....

فقاوم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد ، وكان يستعين بالله من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، وما غزواته المظفرة إلا مظهر من مظاهر إرادته العليا التي تجري حسب مشيئة الله وقدره ....

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أن يُفهم القدر فها خاطئا، ودعا الى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ، فقد روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي عَلِيلِيهُ أنه قال: « يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي، ثم يقولون: الله قدرها علينا. الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » ....

هذا هو القدر الذي ينبغي أن نعرفه عن القدر ، وما وراء هذه المعرفة عنه فلا يحل لنا البحث فيه ، ولا التنازع في شأنه ، فان هذا من أسرار الله التي لا تحيط بها العقول ولا تدركها الأفكار ....

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ،

<sup>1 )</sup> أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيها

وقال: أبهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه » وي هذا يقول رضي الله عنه لمن سأله في مثل هذا: طريق مظلم لا تسلكه ، كرر عليه السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه ، كرر غليه السؤال فقال: سرالله قد خفي عليك فلا تفشه » فثل هذا النهي إنما ينصب على السؤال عن نظام الله في الحياة والموت ، وبسط الرزق وضيقه وهكذا لا على الكلام في القدر نفسه .

### حريـة الإنــان:

منذ أقدم العصور أخذ الإنسان يفكر في نفسه ، وفي الكون المحيط به ، وكانت حرية الإنسان إحدى القضايا التي تناولها عقله ، وشغلت حيزا كبيرا من تفكيره ولا تزال هذه القضية الى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة ، ولا يزال اهتامهم بها اهتاما بالغا ، إد أنها قضية تتعلق بحياة الإنسان ، وتتصل بمصيره فهو يبحث فيها ، ويكد ، ويجد في البحث علم يهتدي الى الحل الصحيح كي يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذي يهتدي اليه وبديهي أن الانسان حينا حاول الكشف عن وجه الصواب في هذه القضية ، وأراد البحث فيها لم يجعل ميدان بحثه الاعمال الخارجة عن إرادته واختياره ، ككونه أبيض ، أو أسود ، وككونه ولد من الخارجة عن إرادته واختياره ، وكنبضات قلبه ، وتنفسه ، وجريان الدم في عروقه ، فان هذه الاشياء خارجة عن نطاق البحث ، لأن الانسان لا اختيار له فيها ، وهي غير خاضعة لارادته .

وانما اتجه الانسان الى البحث الى الاعمال الارادية التي تدخل في نطاق ارادته واختياره ، ومدى حريته في ممارسة هذه الاعمال مثل تفضيله لونا من العلم أو الكتابة ، أو ممارسة حرفة من الحرف ، وزيارته لغيره وهكذا في كل عمل من الاعمال الاختيارية .

وقد اختلفت الأنظار ، وتضاربت الأفكار تضاربا كادت تضيع معه معالم الحق ، فمن قائل : بأن الانسان مسيرا (1) غير مخير ، ومجبر على ممارسة

نشاطه الاختياري، ، وأنه كالريشة في مهب الريح ، تتفاذفها ذات اليين وذات الثمال .

ومن قائل: بأن الانسان مخير (1) غير مسير، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض ارادته ومشيئته.

ومن قائل: بأن الانسان ليس له من أعماله إلا الكسب (2) أي أن الله يخلق الشيء عند مباشرته ـ أي أن الله يخلق الشبع عند الأكل ، ويخلق المعرفة عند الدراسة ، وهكذا وليس للعبد الا الكسب ، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب ، والمدح والذم ، والذي نراه في هذه القضية ونختاره هو ما قرره الاسلام فيا يلي :

### تقريسر الاسسلام حرية الارادة:

قرر الاسلام أن الانسان خلق مزوّدا بقوى وملكات واستعدادات ، وهذه القوى يكن أن توجه الى الخير ، كا يكن أن توجه الى الشر ، فهي ليست خيرا محضا ، ولا شرا محضا ، وان كانت ارادة الخير في بعض الناس أقوى ، وارادة الشر في البعض الآخر أقوى ، وبينها تفاوت لا يعلمه الا الله وفي الحديث الصحيح : «كل مولود يولد على الفطرة » وفي الحديث أيضا : « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية أيضا : « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية وتعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (سورة وتعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (سورة الشهس) أي أن الله خلق النفس مسواة ، ومعتدلة قابلة للتقوى والفجور ومستعدة للخير والشر ، والله سبحانه زود الانسان بالعقل الذي يميز به بين الحق والباطل في العقائد ، وبين الخير والشر في الافعال وبين الصدق والكذب في الأقوال ، وأعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحق الحق ، ويبطل الباطل وأن يأتي الخير ويدع الشر ، وأن يقول الصدق ، ويجانب

<sup>1)</sup> هذا مذهب المعتزلة والإمامية .

<sup>2)</sup> هذا رأي الاشاعرة .

<sup>3 )</sup> رواه مسلم . عن أبي هريرة . صحيح

الكذب ورسم له منهج الحق والخير والصدق مما أنزل من كتب ، وبما أرسل من رسل ، وما دام العقل الممز موجودا ، والقدرة على الفعل صالحة ، والمنهج المرسوم واضحا ، فقد ثبت للانسان حرية الارادة واختيار الفعل وعلى الانسان أن بوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق ، أو باطل ، ومن خبر أو شر، ومن صدق أو كذب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ أي هديناه ، وأرشدناه الي طريق الحق والباطل ، والخير والشر ، والصدق والكذب ، فهو إما أن يسلك السبيل الأهدى فيكون شاكرا ، أو الطريق المعوج فيكون كفورا ، وفي هذا المعنى أيضا يقول القرآن الكريم : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي الطريقين ، كل انسان مسؤول عن تهذيب نفسه واصلاحها حتى تصل الى كالها المقدر لها ، فإصلاحها وتزكيتها وتنيتها يكون بالعلم النافع والعمل الصالح وهو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله ، والقرب من مشاهدة جلاله وجماله ، كا ان إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » « بل الإنسان على نفسه بصرة » « كل نفس ما كسبت رهينة » « كل امرئ ما كسب رهين » والآبات التي تفرر حرية الإنسان كثيرة جدا ﴿ ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ .

فأسند العمل الصالح ، والعمل السيئ الى الإنسان ، ولو لم يكن الإنسان حرا ماأسند إليه الفعل ، وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله سبحانه : ﴿ وماأصابكم من مصيبة فما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ أي أن الشرور التي تعرض للإنسان إنما هي أثر من آشار علمه ، ونتائج اختياره وتصرفه .

وإن القرآن يتحدث عن المفاسد والجرائم التي تحيط بالناس فيبين أنها ليست من صنع الله ، وإنما هي من صنع البشر ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ وهذا الذي يقرره القرآن هو مايشعر به الإنسان من نفسه ، فهو يشعر بأنه يمارس أعماله الإرادية بحض إرادته وإختياره ، فهو

يفعل ، ويدع منها مايشاء ، وهو إذا فعل منها ماهو نافع استحق المدح ، وإذا فعل منها ماهو ضار استوجب الذم فلو لم يكن مختار لما توجه إليه المدح على فعل ماهو نافع ، ولما توجه إليه الذم على فعل ماهو ضار بل لو لم يكن الإنسان مختارا لما كان ثمة فرق بين الحسن والمسيء ، اذ أن كلا منها مجبر على مايفعله ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي على المنكر ، اذ لافائدة لها حيث أن الإنسان مسلوب الإرادة ، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله العباد ، لأن تكليفه إياهم مع سلب إختيارهم هو منتهى الظلم الذي يتنزه الله عنه ، ويكون الأمر كا قال القائل :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك أن تبتلّ بالماء ، بل لو كان الإنسان مسيرا لضاعت فائدة القوانين ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب .

وقد أراد المشركون أن يحتجوا بمشيئة الله على شركهم وأنه لو لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك ، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله : 

ه سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شي كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون ، قل فالله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين السورة الانعام) . فالقرآن يرد على المشركين من وجهين : الاول : ان الله أذاق الكافرين بأسه ، وأنزل بهم عقابه فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم ، والكفر والشرك لما عذبهم الله لأن الله عادل لايظلم مثقال ذرة .

والوجه الثاني: أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله ، وجهل بدينه ، وأنه ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه ، ويرجع إليه ، وإنما كفرهم هذا تمرد على دينه ، وافتيات على الحق الذي أنزله على ألسنة الرسل ..

وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنيه لاتقوم عليها حجة ولا ينهض بها دليل ، وبذلك قامت حجة الله البالغة على هؤلاء ، ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية ، وحينئد لم يكونوا من البشر لأن البشر فطروا على الحرية والإختيار ..

### مشيئة الرب ، ومشيئة العبد :

وقد يقال إذا كان الله منح العبد الحرية والإختيار فما معنى قوله: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (سورة التكوير). فنقول معناها أن الإنسان لايشاء شيئا إلا إذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته، فشيئة البشر ليست مشيئة مستقلة عن مشيئة الله، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين: «طريق الهداية » أو «طريق الضلالة » فإذا أختار الطريق الأول في نطاق المشيئة الإلهية وإذا أختار الطريق الثاني ففي نطاقها أيضا، وكل الآيات التي جاءت، على هذا النحو فعناها لايختلف عما ذكرناه..

### الهداية والإضلال:

يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، أي أن الله يضل من يشاء إضلاله ، ويهدي من يشاء هدايته ، وإذا كان الله يضل ويهدي ، فليس للعبد حرية الإختيار ، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات ، ومسببات لأسباب ..

فكما أن الطعام يغدي والماء يروي ، والسكين تقطع والنار تحرق فكذلك هنا أسباب توصل الى الهداية وأسباب توصل الى الإضلال ، فالهداية إنما هي تثر عملا صالحا ، والضلال إنما هو نتائج عمل خبيث ، فإسناد الهداية والإضلال الى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسبات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال أو الهداية ...

وحينا ترجع الى الآيات القرآنية تجد هذا المعنى واضحا لالبس فيه ولا غوض فالله يقول: ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ ، فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم ، وتوفيقهم للعمل الصالح ، إنا هي ثمرة جهاد للنفس ، وإنابة الى الله ، واستساك بإرشاده ووحيه ، يقول القرآن الكريم في الإضلال: ﴿ يُضّل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومايُضّل به إلا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ماأمر لله به أن يوصل ويفسدون في الأرض

أولئك هم الخاسرون ﴾ ﴿ كذلك يطبع على كل قلب متكبّر جبار ﴾ ، ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ، ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾ ، ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ نرى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيغ والخروج عن تعاليم الله ، والكبر والجبروت والتعالي على الناس بغير حق ونقض عهد الله ، وقطع ماأمر الله به أن يقطع والفساد في الأرض والكفر واقتراف الآثام ..

فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس ، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى ، واستحبوا الظلام على النور ، فكافأه الله ، فأصهم ، وأعمى أبصاره ، بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بمسباتها ، قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام ، بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ فهؤلاء أهلوا منافذ العلم والعرفان ، وعطلوها عما خلقت له ، فلم يصل إليها نور الحق .

فقلوبهم غلف لاتعقل عن الله وحيه ، وعيونهم عمي لاترى الله في ملكوته ، وآذانهم صم لاتسمع آيات الله ، فهم مثل الأنعام التي لاتنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة ، بل أضل من الأنعام إذ الأنعام لم تُزوَّد بما زوِّد به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية .

## خاتمــة التمضاء والقــدر

قال أبو الوفاء محمد درويش رئيس جماعة أنصار السنة الحمدية :
قال رحمه الله : يقول الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبا رسوله الأمين والله : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (سورة النحل) . ويقول أيضا : ﴿ فِإِن تنازعتم في شي فردّوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (سورة النساء) . ويقول جل شأنه : ﴿ وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب ﴾ (سورة الشورى) . إذا الكتاب الحكيم يقضي على كل خلاف ، ويحكم الحكم الفصل في كل نزاع فلنلتس بين نصوصه الحكم في هذه القضية التي شغلت الأذهان في كل زمان ومكان .

وإذا رجعنا الى حكم الله تعالى نجونا من شر الخلاف الذي نهى عنه أحكم الحاكمين في كثير من آيات كتابه الحكيم ، قال تعالى : ﴿ إِن الدّين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ (سورة الانعام) . قال عليه الصلاة والسلام : « اقرأوا القرآن مااجتمعت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » .(1)

أقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد هذا العالم كاأراد على أتم نظام ، وأبدع إحكام ، وأن يدبره بعلمه وحكمته خير تدبير ، وأن يضع له نواميس دقيقة محكمة ، وقوانين ثابتة وسننا لاتتحول ولاتتبدل ترتبط فيها الأسباب بالمسبات وتعتمد النتائج على المقدمات ، هذا النظام الحكم وهذا التدبير العجيب بأسبابه ومسبباته ، ونتائجه ومقدماته ، ونواميسه وقوانينه وسننه وأحكامه هو القدر ...

<sup>1 )</sup> ابن جرير عن ابن مسعود

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلُ شَيء خلقناه بقدر ﴾ (سورة القمر) . ﴿ وما تنزله إلا بقدر معلوم ﴾ (سورة الحجر) . ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ، ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ (سورة الشورى) . ﴿ ففتحنا أبواب الساء بماء منهمر وفجّرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ (سورة القمر) . ﴿ فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى ﴾ (سورة طه) . ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ (سورة الاحزاب) . إذا فالقدر هو القانون الحكم الذي وضعه أحكم الحاكمين بعلمه وإرادته وحكمته ليسير على أحكامه كل ثي في هذا الوجود من الساء ومافيها الى الأرض وماعليها ، وما بين ذلك ﴿ وما كان ربّك نسيا ﴾

### الأقدار:

قدر الله سبحانه أن تدور الأرض حول محورها أمام الشمس مرة كل أربع وعشرين ساعة ، وقدر أن تدور حول الشمس مرة في كل خمسة وستين وثلاثمائة يوم وربع يوم ، وقدر أن الجسم إذا قذف في الفضاء عاد الى الأرض ، إذا تلاشت القوة الدافعة ، وغلبت القوة الجاذبية ، وقدر أن الضوء إذا سقط على جسم انعكس عنه ، وكانت زاوية الإنعكاس مساوية لزاوية السقوط، وقدّر أن الماء إذا اشتدت حرارته استحال بخارا، وإذا إشتدت برودته استحال جليدا ، وقدر أن النار اذا حيل بينها وبين أكسجين الهواء خبت ، وقدر الفلزات تتمدد بالحرارة وتنكمش بالبرودة ، وقدر أن الجسم المنغمس في الماء يزيغُ منه بقدر حجمه ، وأن الجسم الطافي عليه يزيع منه بقدر وزنه ، وقدر أن الجهازين الكهربائيين إذا توافقت مفاتيحيهما ، وكانّ أحـدهما مرسلا والآخر مستقبلا ، تم الإتصال بينهما مهما بعد أحدها عن الآخر. وقدر أن الحبة الصالحة إذا ألقيت في التربة الطبية ، وأجرى عليها الماء نبت منها نبات ، وقدر أن نواة التم نبتت منها نخلة ولا يكن أن تنبت غير النخلة ، فلا يكن أن تنبت منها زيتونة مثلا ، وقدر أنه إذا اتصل الذكر بالأنثى من الإنسان والحيوان والطير مع سلامة الأعضاء وموافقة الزمن والإستعداد تكون نسلا من جنسها وقدر أن يولد الإنسان طفلا ، ثم يصير صبيا فراهقا فمدركا فشابا ، فكهلا ،

فشيخا ، فهرما ، وإذا قدر له أن يرد الى أرذل العمر ، وقدر أن يمنحه قدرة وإرادة يزاول بها ـ بإذن ربه ـ مصالحه ، ويسعى في كسب رزقه وجلب ماينفعه ودفع مايضره .

وقدر أن يمنحه أنواعا من الهدايات يميز بها النافع من الضار والخير من الشر، والهدى من الضلال، وقدر أن يرسل اليه رسله يرشدونه الى مافيه خيره وصلاحه، وأناط بأتباعهم وطاعتهم سعادته، وبمعصيتهم والمخالفة عن أمرهم شقاوته، وقدر أن يكلفه أنواعا من التكاليف كلها، فإن نهض بها أثابه وإن لم يفعل عاقبه، وقدر أن يجعله مختارا فيا يأتي ويدع، وأن يجعل هذا الإختيار أساسا للتكاليف الشرعية، حتى إذا ذهب الإختيار سقط التكليف ولا يتسع الوقت لإيراد جميع المقادير الإلهية التي ساها ذو الجلال والإكرام بكلماته، والتي قال في شأنها في سورة لقان: ﴿ ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾ وقال في سورة الكهف: ها لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾.

هذه القوانين الإلهية ، والنواميس الربانية ، والسنن الكونية أزلية أبدية سرمدية خالدة ، وضعها رب العزة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فكانت هذه النواميس قائمة ، ولم يكن في الدنيا شي من الموجودات ، بل لم تكن الدنيا قد تمخض عنها الوجود ، وهذه القوانين الأزلية الأبدية لاتتغير ، ولاتتبدل ، ولاتتحول بشهادة القرآن الكريم كا قال تعالى في سورة فاطر : 

« فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ ..

ذلكم هو القدر ، أي القانون الأزلي الأبدي السرمدي الذي لايعتريه تبدل ولا تغير ولاتحول ، والذي لو اجتمعت كل قوى العالم الساوية والأرضية على أن تغير منه مثقال ذرة ماوجدت الى ذلك سبيلا ، ولو كان بعضها لبعض ظهيرا .

ذلكم هو القدر فما القضاء ؟

#### القضياء:

إبراز هذا القانون في الخارج أي إيجاد الكائنات وتسييرها على حسب ما قدر الله لها في الأزل .

فهو كا قال ابن الاثير: كالبناء، والقدر كالأساس ولأضرب مثلا يزيد الأمر وضوحا، آلة ميكانيكية قبل أن تبرز الى الوجود، كان لها في ذهن المهندس الذي أخترعها صورة واضحة الخطوط والمعالم، ولكنها لاوجود لها في الخارج، ثم صنعت، فبرزت الى الوجود فوجود صورة الآلة في ذهن المهندس يشبه القدر وصنعها وإبرازها في الخارج يشبه القضاء. ولله المثل الأعلى ليس كثله شيء.

وإنما ضربت هذا المثل لأقرب الأمر الى الأذهان فقط وأما الحقيقة العليا ، فهي وراء المدارك والأفهام ..

ذكرت للقدر أمثلة كثيرة ، فلا أطيل بذكر أمثلة أخرى للقضاء ، وحسبنا أن نرجع الى الأمثلة السابقة لنعلم أن إيجادها في الخارج ، وإبرازها في الوجود هو القضاء ..

فإيجاد الكائنات وتسييرها على حسب ماقدر لها قضاء ، وشروق الشمس وغروبها على هذا النظام المقدر لها قضاء ، ونزول المطر من السحاب قضاء ، وغو النبات والشجر على حسب سنة الوجود قضاء ، وتفتح الأزهار وذبولها وسقوطها قضاء ، ومرض من يمرض اذا تعرض لأسباب المرض قضاء ، وموت من يموت إذا جاء أجله المسمى المرتبط بالأسباب المقدرة قضاء ، وشفاء من يشفى إذا تعاطى أسباب الشفاء قضاء ، والأمثال معروفة المخاصة والعامة ...

قدر الله سبحانه في الأزل أن يخلق السموات والأرض فلما جاء الأجل المحدود أبرزها الى الوجود ، فكان إبرازها قضاء قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ ثُم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إيتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا

بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وقدر سبحانه في الأزل أن يخلق غلاما تحمله فتاة لم يسها بشر ليكون هو وأمه آية للناس ، فلما جاء الموعد المحدود قضي ماقدر قال تعالى في سورة مريم : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليهاروحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لي غلام ولم بمسسني بشر ولم أك بغيا ؟ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ﴾ ..

فالمراد بالقدر التقدير ، وبالقضاء الخلق ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر ، فأحُدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فن فصل بينها فقد رام هدم البناء ونقضه ..

## الإنسان والأقدار

الأقدار الحيطة بالإنسان على ثلاثة أنواع:

النوع الاول: لايستطيع الإنسان دفعه مها يكن له من القوة والبطش، ولابد أن ينفذ، وأنف الإنسان راغه .

النوع الثاني: لا يكن للإنسان أن يقاومه كل المقاومة ، ولكن يكنه تخفيف حدته ، وتلطيف شدته .

النوع الثالث: نوع جعل الله في وسع الإنسان أن يدفعه بل أوجب عليه أن يدفعه ، وأن يبذل في سبيل ذلك كلما يملك من قوة وجهد . وهذا إجمال يحتاج الى تفصيل : ..

## النسوع الأول:

أما القدر الذي هو وراء قدرة الإنسان ، ولاتناله قوته ، ولايستطيع دفعه مها يكن له من قوة وسلطان فهو القدر المتصل بنواميس الكون ، وقوانين الوجود وهو القدر الغالب إبتداء وإنتهاء ، فليس في وسع الإنسان أن يوقف دورة الفلك ، أو يأتي بالربيع مكان الخريف ، أو بالشتاء مكان الصيف ، أو يعطل جاذبية الأرض .

ومن ذلك سنن الوجود: أن يولد الإنسان دون غيره ، ومن فلانة دون غيرها ، وأن يكون أبيض اللون أو أسمره ، طويل القامة أو قصيرها ، ذكيا أو غبيا ، الى غير ذلك من الأقدار التي ليس للإنسان يد في إحداثها ولاقدرة له على تغييرها ...

ومن أجل ذلك لم يكلّف الله الناس شيئا بهذا لأنه لم يكن في وسع أحد أن ينهض به ، ويلحق بهذا النوع . المصادفات البحتة التي لابد للإنسان في إحداثها ، والتي لم يأت الخير فيها بجده ، ولا الشر بسعيه ، كأن علق شخص آماله على إنسان فمات ، أو وضع ماله في حرز أمين فاحترق أو وافته صفقه تجارية ماكان ينتظرها فربح منها مالا كثيرا ، أو غير ذلك

من الأسباب التي لايد فيها للإنسان ، وبهذه الأمور تهدى فطرة الإنسان الى أن هناك قوة فوق قوى البشر تسيطر على الإنسان وتخضعه لتصرفاتها فتأتيه بالخير من حيث لايحتسب لحكة لايعلمها وترميه بالنوائب من حيث لايقد, لسر يجهله ...

تلك قدرة الله الغالب على أمره ، القائم على كل نفس بما كسبت الذي له الخلق والأمر ، وهو أحكم الحاكين ، ذلكم هو القدر الذي ينبغي أن يتلقى الإنسان أحكامه بالرضا والتسليم والإمتثال ، وإن رآهاثرا ، وبالحد والشكر ، وإن رآها خيرا ، ذلكم هو القدر الذييشير إليه الله سبحانه : ومأصاب من مصيبة في الأرض ولا فيانفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيرلكيلا لاتأسوا على ما فاتكم لا تفرجوا بما اتاكم والله لا يحب كلمختال فخور ﴾ (سورة الخديد) . ويقول تعالى : ﴿ ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ (سورة التغابن) . فلو تدبرنا هذه الآيات حق تدبرها لوجدناها تنطق بالحق ، وتشهد بالصدق ، وتعلن في صراحة وجلاء أنه سبحانه يدبر الكون بعلمه وحكته وقدرته ومشيئته فلا يقع فيه شي إلا بإذنه لوجدنا فيها عزاء للذين تعتريهم الكوارث ، وتمسهم الرضا والتسليم .....

ولوجدنا فيها كذلك كبحا لجماح النفوس السادرة في غلوائها المدلة بما حوّلها ربها من الخير والنعمة التي يستهويها شيطان الغرور فينسيها شكر المنعم وحمد المتفضل.

#### إمتحان:

يتحن الله سبحانه عباده ، وهو أعلم بهم لتنهض حجته عليهم وتنقطع أعذارهم ، وتدحض حجتهم ولستوحي الصابر جزاء صبره ، ويستحق الشاكر ثواب شكره قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (سورة الأنبياء) . وقال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن

يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايُفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعامَن الله الذين صدقوا وليعامن الكاذبين ﴾ (سورة العنكبوت).

## النوع الثاني:

أما القدر الذي لايستطيع الإنسان أن يقاومه كل المقاومة ولكن في إمكانه تخفيف حدته وتلطيق شدته فهو مايتصل بالغرائز والبيئة والوراثة ، وما الى ذلك ، فهو غالب إبتداء ، ولكنه مخير انتهاء .

توضيح ذلك: إن الله تعالى قدّر على الإنسان غريزة حفظ الذات. وهذه الغريزة جامحة طاغية عنيفة لو ألقى حبلها على غاربها لاقتحمت بالإنسان مخاطر ومهالك، ودفعته الى أن يطفر بكل ما تمكنه قوته من الظفر به غير مبال ولاحافل بسواه.

لم يفرض الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن ينتزع هذه الغريزة من جذورها ، أو يقتلعها من أصولها لأنها قدر غالب لاسبيل الى دفعه ، ولكنه أمره أن يكبح جماحها ويردها عن طغيانها ، وعلمه كيف يخفف من حدة هذا القدر ، وكيف يلطف من جموحها قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيا ﴾ (سورة النساء) ، وقال تعالى : ﴿ إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون أموال اليتامى النساء) ، قال أيضا : ﴿ ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (سورة البقرة) ، ومن هذه النصوص الحكية ترون أن الله حَضَرَ على الإنسان أن يعتدي على حق غيره ، وأن يأكل مالم يكسبه من طريق طيب مباح ، وبذلك يخف من حدة هذه الغريزة ، ويحد من طغيانها .

وهنا يشعر الإنسان بأنه حر مخير بين أن يستجيب لداعي الغريزة الجوح، وأن يستجيب لأمر الله الحكيم الذي لم يكلفه إلا ماله به طاقة.

وقدر عليه سبحانه غريزة حفظ النوع، وهي كذلك جامحة شرود طاغية، فلو أرخى لها العنان لأصاب الرجل كل امرأة تروقه، واستسلمت المرأة لكل رجل يحظى باعجابها ...

وكذلك لم يكلف الله الإنسان أن يجتث هذه الغريزة من عروقها ، لأن ذلك قدر غالب لاقبل للإنسان بمقاومته والخروج على أحكامه ، ولكنه تعالى كلفه المستطاع وهو الحد من طغيان هذه الغريزة ، وكبح جماحها ، وتدبير أمرها ، فحرم الزنا ، وحرم أنواعا من النساء تحريما مؤبدا وحرم أنواعا منهن تحريها مؤقتا وأباح سائرهن بشرط الإيجاب والقبول، والمهر والشهود ، وإذن الولى وقد نصح الرسول عَلَيْهُ بما يكسر من حدة هذه الغريزة إذا طغت فقال: « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ونهى سبحانه وتعالى عن مخالطة الأشرار للتخلص من شرور البيئة فقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ، ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم اذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ (سورة النساء) ، وقال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمن ، وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ، ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ (سورة الانعام) ، وقال صليلة : « مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء : كبائع المسك ، ونافخ الكبر إمّا أن يحرق ثيابك ، وأمّا أن تجد منه ريحا زكية » (1) ، فنشأة الإنسان في بيئة خبيثة من القدر الغالب الذي لاسلطان له عليه ، وأما محاولة التخلص من شرها ففي وسعه ، ومن أجل ذلك كلفه الله تعالى إياها .

<sup>1)</sup> رواه البخاري ـ عن ابي موسى ـ صحيح .

ولكي يقاوم سلطان الوراثة غالب الناس يحرصون على اتباع ماوجدوا عليه آباءهم فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم أتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ (سورة البقرة) ، وقال في الأثر : «إياكم وخضراء الدمن قالوا وماخضراء الدمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء »(1)، فنرى من هذا أن أقدار الغرائز والبيئات والوراثات غالبة لاسلطان للإنسان عليها ، ولكنه يستطيع أن يصد طغيانها ويحد من سي آثارها وأن يلجمها بلجام الحكة فتكون كلها خيرا نافعا .

#### النصوع الثالصة:

أما النوع الثالث ـ وهي الأقدار التي أوجب الله تعالى على الإنسان أن يدفعها ـ فهي الأقدار المتصلة بالأعمال الإختيارية ، ومنها التكليف الشرعى ، وهذه الأقدار الخيرة ابتداء وغاية .

جاء رسول الله على قومه بالهدى ودين الحق فكذّبوه ورموه بما رموه به ، وحالوا دون نشر دعوته ، وإعلان كلمة الحق ، ولاجرم أن ذلك كله من قدر الله ، فاذا كان من أمره عليه الصلاة والسلام ؟ أتظنون أنه خضع لأحكام هذا القدر ، واستسلم لسلطانه ووقف أمام أعدائه مكتوف اليدين ؟ أتظنون أنه ترك حبل الدعوة على غاربها ، وقبع في كُسر بيته انتظارا لما تأتي به الأقدار ؟ كلا بل قاوم ، وناضل وجاهد ، وقاتل وبذل كل مافي وسعه ، وأنفق جهد طاقته لينحي أعداء الحق من طريقه ، حتى أيده الله بنصره ، وذلك من قدر الله أيضا فها نحن أولا قد رأينا رسول الله على قد دفع قدرا بقدر ، ونحن في كل حين ندافع أقدارا بأقدار ...

فالجوع مثلا من القدر ونحن ندفعه بقدر الطعام، والعطش من القدر، ونحن ندفعه بقدر الشراب، والمرض من القدر، ونحن ندفعه بالدواء وهو من القدر أيضا ولو أن امرأ استسلم لقدر الجوع أو الظمأ مثلا وهو قادر على دفعه، ثم مات مات عاصيا لله تعالى الذي نهاه عن أن

<sup>1)</sup> قال الدرقطني ـ لا يصح من وجه وفي الختصر ـ ضعيف قال في فاصد ـ تفرد به الواقدي

يلقي بنفسه الى التهلكة قال تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا فإن الله يحب الحسنين ﴾ (سورة البقرة) ، وقال تعالى : ، ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيا ﴾ (سورة النساء) .

وقد أفصح رسول الله عَلِيَّةٍ عن هذا كل الإفصاح ، وأوضحه كل الإيضاح حين قيل له: « يأرسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقي بها ، وتقى نتقي بها أترد من قدر الله شيئا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام هي من قدر الله » (1) . فأنظر الى هذا الجواب الحكيم الذي يحفز الهمم الى العمل النافع ويهيب بالناس الى إتخاذ الأسباب والإمعان في الحذر . قال تعالى في الثناء على المؤمنين : ﴿ وَالدِّينِ صِيرُوا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة والسيئة أولئك لهم عقبي الدار ﴿ (سورة الرعد) ، وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عبداوة كأنه ولي حميم ﴾ (سورة فصلت) ، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى في الآية الأولى عن المؤمنين بأنهم يدرءون بالحسنة السيئة ، والسيئة من قدر الله ، والحسنة التي يدفعونها بها من قدر الله أيضا فهم يدفعون قدرا بقدر كا رأيتم ، وفي الآية الثانية يأمر الله سبحانه بالدفع بالتي هي أحسن . والتي هي أحسن هي الحالة أو الصفة الحسنة تدفع بها الحالة أو الصفة السيئة وكلتها من قدر الله سبحانه ، فهو يأمر أن تدفع القدر بالقدر ....

وقال تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ماأستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وماتنفقوا من شي في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون ﴾ (سورة الانقال) . فقد أمر الله تعالى بإعداد المستطاع من العدة ارهابا للعدو والمستطاع هو مايدخل في قدرة الإنسان وإختياره وكل هذا من باب دفع الاقدار بالأقدار وهو في وسع الإنسان وفي صميم إمكانه

أخرجه أحمد والترميذي والحاكم وابن ماجه ـ في سنده مجهول وباقي رجاله ثقات انظر ترجمة أي حزامة في التهذيب وفي الباب عن حكيم بن حزام عند الحاكم وصححه ووافقه الذهبي

قال تعالى: ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولاجناح عليكم إن كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخدوا حدركم إن الله أعدد للكافرين عذابا مهينا ﴾ (سورة النساء) ، فلو لا أن اتخاذ الحذر مستطاع ، وفي الإمكان وفي مقدار الإنسان ما أمر الله العليم الحكيم به لأن الله لايكلف نفسا إلا وسعها كا قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (سورة البقرة) .

## لاتتم مصالح إلا بمدافعة الاقدار

ومدافعة الاقدار على ضربين: أولها مدافعة أقدار قد أنعقدت أسبابها ، ولما تقع بأقدار تدفعها وتحول دون وقوعها ، كمدافعة عدو مغير بالإعداد له . ثانيها: مدافعة أقدار قد وقعت بأقدار تدفعها أما القعود عن مدافعة الأقدار مع القدرة عليها فهي من العجز الآثم الذي نهينا عنه والذي كان الرسول واللهم إلى أعوذ الرسول واللهم إلى أعوذ الرسول واللهم إلى أعوذ بلك من العجز والكسل » (1) ولقد صح أنه واللهم وفي كل خير » (2) القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » (2) « إحرص على ماينفعك ، واستعن بالله ولاتعجز ، وإن أصابك شي فلا تقل لو إني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ، وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » ومعنى هذا الحديث أن المؤمن القوي الذي يأخذ أموره بقوة وعزم وتبصر ، أحب الى الله من المؤمن القوي الذي يأخذ أموره بقوة وعزم وتبصر ، أحب الى ولكن المؤمن القوي عمتاز عند الله لأنه نافع لنفسه ووطنه وأمته .

ثم يحض الرسول والمستعداد من فيض رحمته وفضله ، فإن الإنسان شأنه ، والتوجه إليه ، والإستعداد من فيض رحمته وفضله ، فإن الإنسان لا يستغني عن قوة الله مها بلغ من القوة والمعرفة ، ولاعن توفيقه ، وينهي الرسول والمعرفية عن العجز ، وهو القعود عن العمل مع القدرة عليه كسلا وتهاونا ، فإذا خرج الأمر من يده أصبح في يد الأقدار التي لا يكن دفعها فالحرص على ما ينفع هو مدافعة الأقدار بالأقدار ، لا ينبغي أن يحول الإيمان بالقدر بيننا وبين إتخاذ الحيطة والنظر في أعقاب الأمور بالحزم والحرص على الخير والعمل على الظفر به ، والفرار من الشر ، والعمل على النجاة منه وقد علم الله سبحانه وتعالى ضعف الإنسان أمام قوة الغرائز ، أو الوراثة وعلم سبحانه أنها قد تطغى عليه فتورطه في الإثم أو

<sup>1 )</sup> الحديث لاحمد في مسنده ومسلم والنسائي عن زيد بن ارقم ـ وهو صحيح ـ

<sup>2 )</sup> رواه أحمد في مسنده . ومسلم وابن ماجه ـ عن ابي هريرة ـ حسن ـ

تعرضه لألوان من الفتون ، فاقتضت رحمته أن يحو بالتوبة النصوح أثر هذا الطغيان ، وأمر بالتوبة ليحو بها قدر المعصية التي دفع إليها قدر الغريزة ، أو البيئة أو الوراثة ...

فمن دفع قدر التوبة قدر المعصية ـ كا يدفع قدر الدواء قدر المرض ـ فقد استسك بالعروة الوثقى ، ومن لج في عتوه ونفوره ، فعلى نفسه جنى واياها أوبق ، وما ربك بظلام للعبيد ..

قتر الله سبحانه أن الجد سبب الظفر في الدنيا ، وأن عمل الصالحات سبب الفوز بالنعيم في الآخرة ، فان قصرنا في العمل حاق بنا سوء تقصيرنا وكنا خلقاء باللوم والتثريب أحرياء بما أعد الله للمقصرين من الخيبة في الدنيا والعذاب الألم في الآخرة ، لاينبغي أن يحتج بالقدر إذا قصرنا في عمل كان في وسعنا أن نعمله فلم نعمله ، فحاق بنا مايستوجبه التقصير ، لأننا مأمورون أن نأخذ الحذر ، وأن نحتاط للأمر ماأستطعنا الى ذلك سبيلا ...

كل امرئ يدرك ادراكا تاما الفرق بين مايأتيه أو مايدعه طوعا واختيارا ، وما يصيبه وليس له فيه إختيار ومن أنكر ذلك فقد سقه نفسه ، وأنكر عقله ، إننا نرى أن الإنسان إذا أخفق في الحصول على مطلب عاد باللائمة على نفسه ثم عاود الطلب بعد إحكام وسائله واتخاذ الأسباب التي يعتقد أنها كفيلة بأن تحقق أمله حتى يظفر بحاجته ، وإن رأى سبب إخفاقه منا فسة خصم اشتد غضبه عليه ، وإن أعتدى عليه معتد بالقول أو بالفعل لم يقف أمامه مكتوف اليدين متى كان قادرا على الإنتقام ، ومن العجيب أن القدر لا يخطر بباله في كل هذه الأمور ، ولا يخطر بباله إلا إذا اقترف سيئة ليحمل الأقدار تبعة ماجني وجريرة ما اقترف .

ضلت أفهام المسلمين ولاسيا الصوفية ، فصاروا جبرية لايفكرون في جلب خير ولادفع ضر كأنهم بين أيدي الأقدار كالريشة في مهب الرياح ، فإذا وجهت إليهم عتابا أو ملاما أو نصحت لهم بأن يرجعوا الى الإسلام ويعملوا بالاسباب وأن يسلكوا سبل الخير أحتجوا بالقدر ، وحملوا الأقدار

تبعة ماجنوا من أوزار « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها أباءنا والله أمرنا بها » وهذا أقبح ماانتهى إليه جهل الجاهل وغفلة الغافل ، وحمق الأحمق وغباء الغبى .

إذا أغرى الشيطان الإنسان بالمنكر أو زيّن في قلبه القعود عن صالح العما، ولوّح له بالقدر يتخده تكأة يتكئ عليها ، وعذرا يعتذر به ، فعليه أن يدفعه بذكر الأمر والنهي ، وأن يقول له في حزم وتبصر ، إن الشريعة المطهرة ماأنزلها الله إلا ليسلح بها المكلفين ليدافعوا الأقدار ، وليعلمهم كيف يدفعونها بأقدار مثلها ، فن شق أمواج الأقدار بسفينة الأمر والنهي وصل الى ساحل النجاة ، وسلم من المعاطب ونجا من الأخطار ...

لولا أن الإنسان يشعر كل الشعور بأنه مختار فيا يأتي ومايدع ، ولولا أن الطاعات في وسعه وفي قدرته مانزلت الشرائع ، ولاجاءت الأوامر والنواهي ، ولا أرسل الله الرسل ، ولاأنزل الكتب ، ولاأنذر ، ولابشر ولارغب ، ولاحذر ، ولاجعل جنة ونعيا ولانارا وجحيا ، لو كان الإنسان مجبرا على أعماله الإختيارية لبطل الثواب والعقاب ، والتأديب والتهذيب ، والنصح والأرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الخير والصد عن الشر ..

ومما لاشك فيه أن الإنسان يشعر بأنه تــام الإختيــار في فعل مــايفعل ، وترك مايترك ، وكثيرا مــايتردد بين عملين ، فيفكر ويتروى ، ويوازن بين نتائجها حتى إذا تبين له فضل أحدهما على الآخر آثره ومضى فيه .

وقد أتفق الختلفون على أن هذه الأعمال تسمى أعمال الإنسان الإختيارية أي الصادرة عنه بحض اختياره ، ولايماري في ذلك منهم أحد .

ولو نظرنا الى القرآن الكريم لوجدناه دالا كله على أن للإنسان اختيارا لا يكاد القارئ ينشر المصحف على أية صفحة من صفحاته حتى يجد الآيات تنطق بأن للإنسان عملا أو فعلا أو كسبا ، أو سعيا وأنه مسؤول عن عمله

و يجزى به ، والشاهد والحس والبديهة كفيلة ببيان أن للإنسان عملا صادرا عن ذاته ...

فترى الطفل لأول عهده بالكتابة يحرك يده بالقلم فلا يكاد يقيم حرفًا ، وكلما أزداد تدريبا جاد خطه ووضحت كتابته ، والصانع المبتدئ كثير الأخطاء وكلما مضى في الصناعة قلت أخطاؤه ...

والمبتدئ في تعلم الخطابة لايكاد يقيم لسانه ، فإذا أشتد إستقام لسانه بعض الشيء ، فإذا حذق الفن جاد بيانه وأنطلق لسانه ، ونرى من أنفسنا الخطأ والنسيان والضلال ، والخضوع لوسوسة الشيطان ، واقتراف الفحشاء والمنكر ، والبغي والظلم والعدوان وغير ذلك من المعاصي والآثام . ثم التوبة والإستغفار والندم مما لاتصح نسبته الى الله حقيقة ولامجازا ، ولا يجوز عقلا ولا أدبا ، ولا ذوقا أن بنسب إلا الى فاعله المسؤول عنه المحاسب عليه المجزى به ..

قال الله عزوجل: ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيا ﴾ (سورة النساء) ، هذه الآية أسند الله فيها الى العبد عمل السوء وظلم النفس والإستغفار ، وأسند الى نفسه المغفرة والرحمة فأسند الى الله ماأسند الى نفسه ، ولنسند الى العبد ماأسند الله إليه وليس علينا في ذلك جناح ولو تدبرنا القرآن كله لوجدناه على هذه الشاكلة ، فَلِمَ يقولون يخلق العبد أفعال نفسه ، ثم يختلفون ؟ أما إنهم لو قالوا كا قال الله تعالى : ﴿ يفعل أو يعمل أو يكسب أو يقترف ماأختلفوا ، وإذا كانوا جميعا متفقين على أن أعمال العباد اختيارية قدرها الله أن تكون لهم فيا بالهم يحاولون نسبتها الى المتعالى .

### أمسر اللسه:

رجل تنكب طريق الحق ، وحاد عن الرشد ، وضل عن قصد السبيل ، فما يكون جوابه إلا أن يقول ـ هذا أمر الله ـ وهذا كذب على الله ، وافتراء عليه والله تعالى يقول : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين

كسنبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مشوى للمتكبرين ﴿ (سورة الزمر) ، أجل كذب على الله وافتراء عليه ، وقد رد الله على أمثال هذا المفتري بقوله تعالى : ﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون ؟ ﴿ (سورة الاعراف) ، صدق الله العظيم ، فرتكب الخطيئة لايرتكبها بأمر الله ولكن بأمر الشيطان الذي يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء كا قال الله : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (سورة البقرة) ...

#### إرادة اللــه:

قد يلوم أحدكم بعض من يقترفون المنكر فيدفع عن نفسه بقوله: هذه إرادة الله .... أجل هذه إرادة الله ، ولكن الله يكره من عباده أن يعملوا الشر، وإن وقع بإرادته ، إذ لايقع في ملكه إلا مايشاء ، وليس معنى المشيئة أنه يحب ذلك الشر بل معناه: أن الشر لايقع على الرغم منه وحاشا له وإرادة الله تعالى لاترغ العبد على فعل الشر، ولو أن العبد فعل الخير بدل الشر لكان فعل الخير بارادته سبحانه ـ أيضا .

فالله سبحانه بعد أن أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وبين الحلال والحرام، وأخبر بما أعد المطيعين، وما أعد للعصاة المارقين، ترك العباد لاختيارهم كا قال تعالى: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فاليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بها سرادقها، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الشواب وحسنت مرتفقا ﴾ (سورة الكهف).

ترك الله العباد لاختيارهم ، وان كان يحب منهم أن يأتوا الطاعات ، ويكره أن ياتوا المعاصي . فالطاعة والمعاصي تقع من العبد بإرادة الله ومشيئته أي بغير أن يكون مكرها على وقوعها كا أن مشيئته تعالى لم نكره العبد على المعصية التي تقع منه .

## دفع اعتسراض

فإذا سأل سائل عن قوله عز وجل: ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ والحس والمشاهدة قاضيان بأن المسلمين هم الذين قتلوا كفار قريش يوم بدر ، وبأن النبي عَلِيلًا هو الذي رمى قبضة التراب التي أصابت أعين المشركين وكانت سببا في هزيتهم ، ولكن الآية تسند القتل والرمي الى الله ، أفليس في هذا الدليل على أن العبد لاعمل له ، وأن العمل لله وحده وهذه هي الحيرة دفع هذا الإعراض وهذه الآية الكريمة وردت في سورة الأنفال في معرض نهي المسلمين عن التولي يوم الزحف ، فقد جاء قبلها قول الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ .

فكأن الله يقول للمؤمنين: ماالذي يحملكم على الفرار أو يدفعكم الى تولية الأدبار، والله قد كفل تأييدكم ونصركم، فاذكروا يوم بدر، وقد كنتم قلة لاتقومون لكثرة المشركين، ولكن الله أمكنكم منهم حتى قتلتم سبعين رجلا وإن قوتكم الطبيعية لاتتيح لكم هذا النصر، ولاتمكنكم من هذا القتل، فالله ربط على قلوبكم، وثبت أقدامكم حتى أظفركم بهم، وأظهركم عليهم، فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بما خولكم من أسباب النصر والغلب التي لم تكن لتتاح لكم، ثم يلتفت الى خطاب رسول الله عليه فيقول له، وحين ألقيت كفا من التراب في وجوه المشركين فأصاب التراب في وجوه المشركين فأصاب التراب أعينهم جميعا لم تكن لتدرك ذلك بقوتك الطبيعية، ولكن الله تعالى هو الذي كثر ذلك التراب بحض قدرته، وأوصله الى أعينهم حتى ثقلوا بها عن الإلتفات لمن يقاتلهم.

فإن كان النبي مَلِيَّةٍ قد رمى التراب فإنه لم يكن بوسعه أن يوصله الى أعينهم جميعا، فذلك من فضل الله وحده، كا ألقى موسى عليه السلام العصى فكانت حية تسعى، فإلقاء العصى عمل موسى ولكن قلبها حية عمل

الله تعالى وحده ، وكذلك إلقاء التراب عمل النبي ، ولكن توصيله الى أعين المشركين على الرغم من بعـــدهم عن مكان الرمي ، وكثرتهم ، واختــلاف اتجاههم هو عمل الله تعالى ، ولذلك صح أن يسند الرمي الى النبي وينفى عنه أثره ، ويسند الى رب العزة .

هذا هو نظام القرآن الكريم ، وهذه بلاغته ، وهي كا ترون فوق النزعات والأهواء الجدلية ، ووراء الفرق والمذاهب ...

#### تفسير قوله عز وجل :

فقل كل من عند الله ﴾ وقوله : ﴿ وما أصابك من سيئة فن نفسك ﴾ ذلك أن المنافقين والكافرين الذين كانوا بالمدينة بعد أن هاجر النبي عليه إليها كانوا إذا أصابتهم حسنة : من نزول غيث ، وغاء زرع ، وجودة حاصل قالوا : هذه من عند الله زاعمين أن الله تعالى ماأنعم عليهم إلا لكرامتهم عليه ومنزلتهم عنده . وإذا أصابتهم شدة من احتباس المطر ، أو جفاف زرع قالوا هذه من عندك يامحمد ، أي إنهم كانوا يتشاءمون بقدومه ، ويتطيرون بدعوته ، فرد الله عليهم مقالتهم الخاطئة الآثمة ، وقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم : ﴿ قل كل من عند الله فالمؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ أي : أن كلا من الحسنة والسيئة من عند الله لوقوعها في ملكه على حسب ماوضع من النواميس والسن ، ومن الأسباب وارتباطها بسبباتها ، وإن هؤلاء القوم ماأتوا إلا من سوء فهمهم وقلة فقههم لما يقولون وما يسمعون : ولو أنهم كانوا على شيّ من الفهم والفقب لم لردوا كل شيّ الى سبب القريب أي الى واضع السنن ومسبب الأسباب سبحانه وتعالى ولعلموا أن السيئة لم تقع بشؤم ، ولا بتأثير دعوة ولا بظهور دين .

وبعد أن بين سبحانه حقيقة الأمر في الحسنة والسيئة بالنسبة الى موضعها وقوانين الوجود، وسنن الله تعالى فيها، وأوضع تعالى أن كل شيء مما يحسن وقعه عند الناس أو يسوؤهم بهذا الإعتبار يضاف الى رب العزة، لأنه مسبب الأسباب، وواضع النواميس والسنن أراد سبحانه أن يبين حقيقة الأمر فيها من وجه آخر فقال: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن

الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك . وأرسلناك رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾ ومعنى هذا : أن كل حسنة تصيب العبد من صحة وعافية ورزق ، واعتدال زمان ، وخصب أرض ، ونزول غيث وغير ذلك مما يحسن عنده وقعه ، فهي من فضل الله عليه ، فهو الذي سخر له المنافع التي بها حياته ، وحياة ماينتفع به من حيوان ونبات وهو الذي أرشده بما وهبه من أنواع الهدايات ، بما أنزل عليه من الشرائع والآيات البينات الى سبيل الإنتفاع بهذه الموجودات . وقد مكن الله الإنسان من ناصية الوجود ، ووهبه العقل والقوى مايكفيه من توفير أسباب السعادة ، والبعد عن مزالق الشقاء ، وهذه النعم مصدرها المواهب الإلهية فهي من الله تعالى .

وكل سيئة تصيب العبد فهي من نفسه لأنه أوتي قدرة على العمل ، واختيارا في التقدير الباعث عليه ، من دفع المضار ، وجلب المنافع .

فإذا أساء العبد التصرف في عمله ، وأهمل العقل وإنصراف عن سر مأأودع الله في سننه ، واتبع الهوى ومال مع الشهوات جلب الشرعلى نفسه لأن ربه وهبه هبات ليصرفها فيا ينفعه ، فوجهها بسوء أختياره الى مايضره ، فحق أن ينسب اليه ماجنى على نفسه ، ويقال له : ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ ..

وهنا حقيقتان متفقتان ينبغى تدبرهما وفقها:

الأولى : أن كل شيء من عند الله بمعنى أنه خالق الأشياء ، وواضع النظام والسنن ، ومسبب الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار ، وهذا كله بسعي الإنسان واختياره لأنه مظهر الحكمة إلالهي ...

الثانية: ان الإنسان لايقع في شيء يسؤه إلا بتقصيره في استبانة الأسباب وتعرف السبب والأحكام فإذا قصر الإنسان في العلم وأساء الإختيار في استعال قواه في غير مايقتضيه نظام الفطرة وقع فيا يسؤه وكان على نفسه جانيا ﴿ وكذلك يُضِل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ أفلا يدل على أن الهدى والضلال بيد الله تعالى ، وليس للعبد فيا كسب ولاعمل ؟ ينبغي للإنسان أن يعلم أن الله تعالى حكم ، والحكم يضع

الأشياء في مواضعها ، ولايشاء إلا ماتقتضيه الحكمة قال تعالى : ﴿ إِنَّ سعيكُم لَشَتَى فَأَمَا مِن أَعْطَى وَاتَقَى وَصِدَقَ بِالْحَسَى فَسَنَسِيرِهُ لَلْيَسِرِى ، وأما مِن بخل واستغنى وكذب بِالْحَسَى فَسَنَيْسِرِهُ لَلْعَسِرِى ﴾ (سورة الليل) . فدل سبحانه بهذا القول الحكيم على أن أعمال العباد مختلفة وعلى أنها مقدمات تفضي الى نتائجها ، وأسباب تؤدي الى مسبباتها فن أعطى واتقى وصدق للحسني سييسره الله الحسنى : وذلك هو الذي يشاء الله أن يهديه ، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسني فيسيسره الله للعسرى ، وذلك هو الله الذي يشاء أن يضله وهذا اختيار من جانب العبد ، واتجاه وعمل ، ومن فضل الله ورحمته أن الذي يختار الخير ويتجه إليه يعينه الله عليه ، وييسره له كا قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ (سورة محمد) ، وكا قال أيضا : ﴿ ويزيد الله الذين أهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مَرَدًا ﴾ (سورة مريم) ..

وأما الذين يختارون الشر، ويتجهون إليه ، فإن الله تعالى يوليهم ما تولوا ، ويتركهم وماأختاروا لأنفسهم كا قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (سورة النساء) ، وهذا معنى إضلالهم فن حيث أن الله سبحانه دعاهم الى الطريق الخير وسبيل الهداية على لسان رسله ، وفي كتبه المنزلة بعد أن منحهم من أنواع الهدايات مافيه بلاغ فأبوا أن يستجيبوا لداعي الحق ، واستكبروا أن يسلكوا سبل الرشد ، فلا جرم أن الله يتركهم وماأختاروا لأنفسهم فلا يأتي يسلكوا سبل الرشد ، فلا جرم أن الله يتركهم وماأختاروا لأنفسهم فلا يأتي إضلالهم إلا من بعد أن أتجهوا الى الشر وإعراضهم عن الخير قال تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ (سورة البقرة) ، إن الذين وقع عليهم الإضلال هم الموصوفون بها ذكر ، فالإضلال قد وقع على الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ،

ويفسدون في الأرض ، فهو نتيجة مترتبة على مقدمات أتوا بها ، ومسبب عن أسباب وهو ليس إلا تركهم يسيرون في الطريق الذي أختاروا سلوكه ، ولو وقع الضلال على الصالحين يصلون ماأمر به أن يوصل ، ويصلحون في الأرض لقلنا أن الله أرغمهم على الضلال وحاشا الله ...

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ (سورة الاسراء) .

وقال تعالى: ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾ (سورة الشورى) ، وقال تعالى: ﴿ أفرأيتم ماتحرثون انتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم إنا لمغرومون بل نحن محرومون ﴾ في هذه النصوص الحكية أكبر العبرة لمن شاء أن يعتبر ، فقد بين سبحانه وتعالى أنه يعطي العبد مايسعى للحصول عليه والظفر به ، فن سعى الى الدنيا أعطاه منها ، ومن سعى الى الآخرة شكر الله سعيه .

وقد أسند رب العزة الى العبد إرادة وسعيا كا أسند إليه الحرث وأسند الى نفسه الزرع ، فالحرث مايقوم به العباد من حرث الأرض وتهيئتها وإعدادها ، وبذر الحب ، وإفاضة الماء ، وتعهد النبات بالعزق والتسميد وما الى ذلك .

والــزرع: إخراج النبات من الحب، وهو الأمر الذي لايدخل في طـوق البشر، ولا يستطيعون إليه سبيلا، ولايقدر عليه إلا رب العالمين سبحانه.

وعلى ذكر الحرث والزرع ، أرأيتم إنسانا بـذر بُرًّا فنبت لـه شعيرا ، أو غرس نخلا فنبت له موزا .

وكذلك الشأن في المعنويات ، فمن أتجه الى الخير وأخذ بأسبابه هيأه

الله له ، ومن اتجه الى الشر وتعلق بوسائله : ولاّه الله ماتولى ، وتركه وما أختار كما أن من حرث التبن زرع الله لمه التبن ، ومن حرث الشوك زرع الله له الشوك ، وكل يجني ماغرست يداه ، ولايظلم ربك أحمدا .

#### التوفيق والخذلان:

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: 

﴿ وما توفقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ﴾ (سورة هود) ، ونسع يدعون لبعضهم بعضا وفقك الله ، أو كتب لك التوفيق ، أو أدام الله توفيقك ، وأمثال هذه الدعوات . فما معنى هذا التوفيق ؟ إن العبد مها يؤت من العلم والفطنة والذكاء والمعرفة ومها تواته التجارب والإختبارات فإن وراء علمه علما لاحد له ولاغاية ، ذلك هو علم الله الذي إذا قيت جميع علوم البشر ومعارفهم وتجاربهم إليه كانت هباء ، بل لم تكن شيئا مدكورا قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وسورة الاسراء) ، وقال أيضا : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم والأرض ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظها وهو العلي العظيم ﴾ (سورة البقرة) ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ (سورة آل عمران) . إذا علم الإنسان قاصر منقوص مها يتسع أفقه ، ولقصور علمه يتنى أمرا تكون فية أمنيته ، وقد ينفر من شيء يكون له فيه كل الخير ...

قال تعالى: ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شيئا وهو أنتم لاتعلمون ﴾ أن تحبوا شيئا ويجعل الله (سورة البقرة) ، وقال أيضا : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (سورة النساء) ، وإذا تقرر هذا قلت إن التوفيق عناية خاصة يتولاها رب العزة لبعض عباده فضلا منه ونعمة فيجعل أعمال هذا العبد ومساعيه موافقه لأسباب ظفره بالخير الذي يجهل طرقه ..

فإذا تفضل العلم الحكيم سبحانه على عبده بهذه العناية فإنه يهيء له وسائل النجاح وإصابة الخير ، مالايبلغه بعلمه ، ولابارادته ، ولابقدرته ،

ولابكسبه ولابتجاربه أي أنه تعالى يمنحه قوة مافي مقدوره مايكون سببا في بلوغه الى الخير ..

قال تعالى : ﴿ وأعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ (سورة الحجرات) ، والله عليم بن يصلح اهذا الفضل ، ومن لايصلح له ...

أما الخذلان فهو أن يترك العبد لاجتهاده ومامنحه من المواهب العامة ، فلا ينحه شيئا من العناية التي يمنحها ممن كتب لهم التوفيق ، والله سبحانه لايظلم العبد بذلك شيئا.

هذا والتقوى والصدق والتوكل على الله تعالى مع إتخاذ الأسباب، والتعرض لنفحات الله تعالى من أعظم أسباب التوفيق قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ آمرة قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ (سورة الطلاق) .

#### كامــة حامعــة:

أجاب سيدنا على كرم الله وجهه حين سئل: أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر ؟ فقال للسائل: « ويحك ، لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الدعد والوعيد .. إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ، ولم يكلف عسيرا ، وأعطى على القليل كثيرا ، ولم يعصى مغلوبا ، ولم يطع مكرها ، ولم يرسل الأنبياء لعبا ، ولم ينزل الكتاب للناس عبثا ، ولاخلق السموات والأرض ومابينها باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » .

# إصلاح المجتمعات الإسلامية الحالية من الإنحراف والفساد عن طريق الدين

من أمعن النظر في حياة المسلمين وجدها بحاجة ماسة الى إصلاح جذري يشمل حياتهم كلها الفردية والجاعية الحكومة والدستور، والمناهج والبرامج، بل في كل شأن من شؤونهم، ويتغلغل في صميم أمورهم عن طريق الدين والأخلاق، لأنهم انحرفوا انحرافا شنيعا عن الإسلام والأخلاق الفاضلة قل من تراه متسكا بهما ...

فشباب المسلمين غالبهم في الحانات والمواخر مع الفتيات يتعاطون الفحش والعهر علانية ، وعلى مسمع ومرأى من الحكومة ، والآباء لايحركون ساكنا ، بل الحكومة هي التي تنظم السياحة في القرى والأرياف للذكور والإنات يبيت بعضهم مع بعض ، وهي التي تأمر باختلاط الجنسين مع المراهقين في التعليم وغيره كالمستشفيات والعامل ومكاتب الموظفين يرتكبون الموبقات والجرائم ، ويتركون واجباتهم العملية ، والويل لمن أنكر عليهم يتهم بالرجعية وعدم الذوق ، فأصبحت نساء المسلمين خارجات عن آداب الإسلام ، وعن الحياء الشرعى ، مستخفات بأوامره ، فياله من منكر عظيم وشر مستطير أصاب المسلمين ، بناته وأبنائهم يتعرضون للفتنة والفساد الكبير، وقد أستوى في هذه الحالة الآمير والمأمور، والملك والوزير، والغنى والفقير ، والكبير والصغير ، فلا الصغير يخلف من الكبير ، ولا الكبير يستحى من الصغير ففحش وجـور وظلم وقمـــار ولهـو، وخمر وفسوق ، وتهور وسفور وتبرج منكر ، وخيانة وزور ، وجهل وغرور ، ونعم تصرف في المعاصي والفجور ﴿ آمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ فلا يخافون من الله ولا من الناس يستخفون ، ولا من أنفسهم ينصفون تالله إنهم لمسرفون ، وعن الحق يعزفون ، وعن الصراط لناكبون ، وفي طريق الضلالة يتيهون ، فالله المستعان على مايصفون ، ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وماللظالمين من أنصار ﴾ (سورة الاعراف) .

المسلمون اليوم عن الحق معرضون ، وفي الباطل يخوضون ، ولصرح الإسلام ينقضون ، وفي طريق الفساد يركضون وبالملاهي يفرحون .

أين الصالح من الفاسد في هذه المجتمعات والعابد من الفاسق ، والطامع من الزاهد ، أين المساجد من الملاهي ودور السينما ، أين المعابد من بيوت الدعارة والحانات أين الصائم القائم المجاهد من الطامع الكاسى الراقد .

لهذا يجب إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق الدين الحنيف والأخلاق الإسلامية لأنها هي العنصر الفعال في إصلاح الشعوب والأمم في جميع الإتجاهات، وهي الزاد والمجد للوصول الى الغاية المنشودة، وفقدانها يجرحما الى الفشل والإندحار، ويدفع الأفراد والجماعات الى الهلاك والدمار، وضعف المسلمين الحالي سببه الإنحطاط الملقى عليهم الأخلاق الإسلامية تدعوا الى انتعاون والتراحم، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

المؤمن يتحلى بكل فضيلة . وينفر من كل رذيلة ، وتأباها له همة عالية ، وآداب سامية ، وآمال أعمال صالحة متوالية يحبها الله منه ويرضاها ، المؤمن تمنعه ديانته عن إرتكاب الذنوب والمعاصي ، وتحجزه مروءته عن العيوب . وليس من الدين أن توحدوا الله ـ أيها المسلمون ـ بألسنتكم وأنم بدينه متساهلون ، ولأحكامه مهملون ، وعن الوعد والوعيد ذاهلون تحللون وتحرمون ماتشاؤون ، وليس من الإيمان أن تتظاهروا بالخير فيا تقعلون ، وأنم تنشرون الشر فيا تفعلون .

لو أصلح المسلمون مابأنفسهم ، واعتصوا بحبل الله جميعا كا أمروا وأصلحوا ذات بينهم لعادوا الى ماكانوا عليه من المجد والعظمة أيام تمسكهم بتعاليم دينهم ، ولو أنهم احتكوا في خصوماتهم الى كتاب الله وسنة رسوله ، ومااستنبط العلماء للمسلمين في مهات الحوادث لما أختلفوا ، ولو أنهم نشروا العلم الديني ، والإصلاح الحقيقي في أوطانهم لما اختلفوا ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ أيها المؤمنون أين ماوعدكم الله به من العزة ؟؟

أتشكون في وعد الله ؟ والله لايخلف الميعاد ، المسلم يعبد ربه بظاهره

وباطنه وقلبه ، يجاهد في سبيل الله بسيفه ، وقلمه ، ولسانه ، لإعلاء كلمة الله ، وينفق في الخير ماله إبتغاء وجه ربه الأعلى أن يعمل لله ، أو يتكلم بالحق وإن أضر نفسه فعال منفاق مصداق ..

المساءون في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، كامتهم واحدة ، ومهمتهم واحدة ، وجهادهم لله وقتبالهم في سبيل الله ، من أفتقر أعانوه ، ومن حضر عدّوه ، ومن غاب إفتقدوه ، ومن مات شيعوه ، ومن مرض عادوه ، وبالدين الصحيح تكون سعادة المسلمين ، وحين تفرقوا شيعا وأحزابا ، وأختلفوا مذاهب ونحلا ، وتبينوا أهواء وسبلا ، وملأوا المجالس جدلا ذهب سلطانهم ، وضعف كيانهم ، وصغر شأنهم ، وتداعت عليهم الأمم ، وكذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ...

اليوم الذي تخلى فيه العالم الإسلامي عن الدين والأخلاق تخلت عنه السعادة ، وتاهت به الحياة في مجال القلق ومتاهات الحيرة ، ومجالات الشك والإضطراب .

الفقر الحقيقي ليس هو فقر المال ولا الأوراق ، وإنما هو فقر الكرامة والأخلاق ، فقر الإنسانية ، فقر الصفات والشمائل والمحامد والعلم .

أزمة المسلمين ليست أزمة الإقتصاد والسياسة والمال ، الأزمة في الواقع أزمة الرجال ، أزمة الضير ، أزمة الخلق ، أزمة الدين ، أزمة الوعي والنضج والرشد ، أزمة الأخلاق ، أزمة العقيدة ، أزمة المثل العليا ، أزمة المبادي والقيم ، والمعالي والمفاهيم ، أزمة الأمانة والواجب والتضحية ، أزمة الضير والإيمان ، فهذه الأزمات كلها ناشئة عن عدم اهتام المسلمين بأمور الدين وجهلهم به ..

الإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب ويضم الصف الى الصف ، جاء ليكون مجتمعا راقيا نقيا من عوامل الفرقة والضعف المعنوي والمادي ، وأسباب الفشل والهزيمة حتى يصل الى المقاصد السامية ، والأهداف النبيلة ، التي جاءت بها رسالة سيدنا محمد على من عبادة لله ، واعلاء

كامته ، واقامة الحق ونشر العدل وفعل الخير ، والجهاد من أجل استقرار مبادئ الإسلام التي يعيش الناس في ظلها آمنين مطمئنين .

جاء الإسلام ليربط المسلمين برباط الأخوة التي لاتنفصم عراها ، بحيث تزول أمامها جميع الفوارق من نسب ومال وجاه الى غير ذلك مما درج عليه الناس من المميزات ﴿ إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ هذا الإخاء يستلزم تبعيات وحقوقا ، فليس هو إخاء عقيما لاثمرة له ...

أوجب الإسلام على المسلمين أن يحترموا بعضهم بعضا وأن يحافظ كل فرد على كرامة أخيه من أن يعيبه أو يحط من قدره ، أو يطعن في شخصيته ، أو يلقبه بلقب يكرهه ، فهذه السيآت تقطع الصلة ، وتمزق روابط المودة ، وتزرع البغضاء في القلوب ، وتنشر العداوة في النفوس .

أمر الإسلام المسلمين بالتواضع وخفض الجناح ولين الجانب، فالمسلم لا يتكبر، ولا يختال، ولا يزهو بنفسه، قال تعالى في حق المتكبرين: ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ وقد جاء في الحديث الشريف « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد.» (1) ...

الإسلام يهتم بتعاون المسلمين فيا بينهم حتى يتحدوا لتقوى جماعتهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يا بني إذا أصبحت وأمسيت وليس في قلبك غش لا حد فأفعل فإن ذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ( 2 ) هذا الحديث الشريف ينبه المسلمين من

<sup>1 )</sup> رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ، عن عياض بن حمار ـ حسن ـ

<sup>2)</sup> قال الختصر - ضعيف - اسناده واه جدا والمعنى صحيح

غفلتهم ويحثهم على أن يقوموا بواجباتهم نحو بعضهم بعضا ، لأن كل واحد منا عليه واجبات وحقوق ، ومسؤوليات نحو المجتمع . فإصلاح المجتمع متوقف على اصلاح الفرد ، فإذا كان الفرد شاعراً بواجباته الكثيرة نحو ربه الذي خلقه وأغدق عليه من نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، وخافه في السر والعلن ، واستحضر عظمته في ضميره ، وخشيته في قلبه ، فيصبح هذا الفرد لا يتعدى ما أمر الله به ، ولا يتجاوز ما نهاه عنه ، فيسير في طريق الصواب التي لا أعوجاج فيها ، فيصير إنسانا كاملا فيؤدي رسالته التي خلق من أجلها ، الا وهي فعل الخير في هذه الدنيا ، فيعمل بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « المسلم من سلم النساس من لسانه التي ويده » (1) ...

العلم هو السبيل الوحيد إلى بناء العقيدة الصحيحة ، وهو السبيل الى هداية الإنسان وسعادته ، ولهذا رفع الإسلام من شأنه ، ونوه بمكانته ، وحث الناس على اعتناقه ، وقد مثله بالنور ، ومثل الجهل بالظلمات قال تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس مخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ .

ولقد وجه الإسلام الناس إلى أخذ الأحكام عن العلماء فقال عر وجل : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ والعلم في نظر الإسلام حق مشترك بين الناس ، وقد ألزم العالم أن يعلم غيره من الناس ، وجعل كاتم العلم ملعونا كا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كتم علما ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة » ( 2 ) وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم الله ويلعنه الله ويلعنه الله ويلعنه الله عنون ﴾ .

<sup>1 )</sup> مختصر صحيح مسلم ـ عن عبد الله بن عمرو في كتاب الايمان

<sup>2)</sup> رواه ابن عدى في « الكامل » عن ابن مسعود ـ صحيح ـ

لبس العلم أن تعرف الطهارة والصلاة والحج والزكاة والصيام فحسب بل يجب أن تتعلم معرفة الحق من الباطل ، والحسن من القبيح ، والحلال من الحرام ، وليس القصد من التعلم أن تحمل الشهادة من التعلم السلايكي ، ولكنه ذلك ، وأن تحمل أيضا شهادة الدين والأخلاق لتترك الالحاد والإباحة .

إن التهاون في القيام بالواجب سمه من لا خلاق لهم ، وان الله العلي القدير حكم حكما جازما بأن المتهاونين فيا كلفوا به من تطبيق الإسلام مكذبون ، ولهم الويل في الدنيا ، والندامة والحسرة والخزي يوم يقوم الناس لرب العالمين .

فهل يليق بنا - معاشر المسلمين - أن نقطع الصلة بيننا وبين تعاليم الإسلام ، أو نحصرها في طائفة معينة من الناس ؟ أننتظر مرشدا غير القرآن الكريم ؟ أم هاديا غير محمد عليه الشولت علينا الأهواء فأنستنا ما أوجب علينا الإيمان ، أم طبعت النفوس على الشر فضلت سواء السبيل ، أم صار على القلوب اقفال ، عجبا يأمرنا ربنا بالتعاون على البر والتقوى ، ونحن نتعاون على الإثم والعدوان .

كان الجمّع الإسلامي فيا مضى تنظره شعوب الدنيا بعين الإجلال والإكبار، فما لنا ونحن لم نكن كاركنا من قبل إلا اننا غيرنا ما بأنفسنا، فتغيرت أخلاقنا، وتباعدنا عن صالح العادات وجميل السجايا. يجب على المسلمين أن يحاربوا الشهوات التي تزين لهم مخالفة الدين والعقل، ويبتعدوا عن الأرواح الخبيثة التي حذرهم منها القرآن كالنفس الأمارة بالسوء، ووساوس شياطين الإنس والجن حتى ترجع نفوسهم الى طريق الحق والصواب، فالمسلم يجب أن يلازم الاستقامة في الأقوال والأفعال، ويأخذ نفسه بالوفاء بالعهد، وصدق العزيمة وعدم مجاراة السفهاء، لهذا كان المسلمون: ﴿ كنتم خير أمة أخرجتُ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (سورة آل عران).

فما بـال المسلمين اليوم يتجهون إلى التمرد على الله وإلى قطع مـا أمر الله بـه أن يقطع ، فـا من شر في الأرض ،

ولا فساد في الوجود إلا ولهم به صلة ، فزين لهم الشياطين سوء أعمالهم وحسنوا لهم الكفر والمعاصي ، ودعوهم إلى تكذيب الله ورسوله ومخالفة أوامرهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قدسي : « إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم قد أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فهقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال إنما بعثتك عربهم وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نامًا ويقظانا » .

الشياطين هي التي دعت الناس إلى تحريف الدين والخروج عن الفطرة إلى الشرك بالله ، وحرمت عليهم الحلال وأحلت لهم الحرام ، ولا تزال تقعد لهم بكل سبيل حتى تصدهم عن طاعة الله .

الشيطان هو الذي قام بدور رئيسي في القضاء على دعوة الاسلام في أول مشاورة له مع كفار قريش قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ هُمَ الشيطانَ أَعَلَّهُمْ وَقَالَ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترآت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم اني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

رسالة الاسلام قائمة لهدفين رئيسيين:

أولها: تصحيح العقيدة من جميع الشوائب، وذلك بالعدل مع الله المدي خلق وأنعم وسوى وهدى، ورزق فأعطى، وليس من العدل الإشراك في عبادة الله والتقصير في طاعته.

ثانيها: أن يأخذ المسلم نفسه بالعدل في جميع تصرفاتها ، ويلزمها طريق الإنصاف مع الناس فلا يأخذ من الحياة إلا ما كان عادلا ، وعندما يفقد الإنسان العدل مع نفسه يفقد الطريق المستقيم للحياة الصحيحة .

دعا الإسلام إلى العدل في الأخـذ والعطـاء في الجور والإخـاء ، وأوجب العدل في الحكم والقضاء .

# بيان جملة من أنواع الشرك

هذه الجمل تأتي على ألسنة الناس من غير أن يعلموا أنها شرك ، فتحبط أعالهم ، ويخلدون في أعظم العذاب وأشد العقاب ، ومعرفة ذلك واجبه ، وقد قال بعض الأئمة : أن الردة تحبط الأعمال ، وتبين منه زوجته ، المرتد عن دينه هو الكافر بعد إسلامه ، فن أشرك بالله ، أو جحد ربوبيته ، أو صفة من صفاته ، أو بعض كتبه ، أو رسله أو سب الله إلى غير ذلك مما تذكره كتب الردة تشمل أنواعا من اعتقاد وقول وفعل واستهزاء .

فيتعين على كل مسلم أن يعرف القول أو الفعل الذي يؤدي إلى الكفر حتى يجتنبه ولا يقع فيه فيحبط عمله ، ويلزمه قضاؤه ، وتبين زوجته عند هؤلاء الأئمة ، والشافعي رضي الله عنه يقول إنّ الردة إذا لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه ، فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط ، فن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب ، أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ، فيكفر حالا ، أو يعتقد ما يوجبه أو يفعل أو يتلفظ بما يدل عليه ، سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد ، أو استهزاء ، كأن يعتقد قدم العالم ولو بالنوع ، أو نفي ما هو ثابت لله تعالى بالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة كانكار أصل علمه أو قدرته ، أو كونه يعلم الجزء أو اثبات ما هو منفي عنه ، وكذلك اللون ، أو أنه متصل بالعالم أو خارج عنه ...

وكل من فعل فعلا أجمع المسامون على أنه لا يصدر إلا من كافر، وان كان مصرحا بالاسلام كالمشي إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير، أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن، أو علم شرعي، أو فيها اسم الله تعالى، بل أو اسم نبي أو ملك في نجاسة، أو قدر ظاهر كمني أو مخاظ، أو بصاق أو يلطخ مسجدا بنجس، أو يشك في نبوة نبي، أو في إنزال كتاب كالتوراة، والإنجيل أو زبور داود، وصحف إبراهيم عليها، أو في آية من القرآن مجمع عليها، وفي تكفير من يضلل الأمة، أو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم، أو ينكر مكة، أو الكعبة، أو المسجد الحرام، أو ينفي صفة

الحج أو هيئته المعروفة ، وكذلك الصلاة والصوم ، أو كصلاة العيـدين ، أو استحل محرما كصلاة بغير وضوء ، وكاينذاء مسلم ، أو كافر ذمي بلا مسوغ شرعى ، أو حرّم حلالا كالبيع والنكاح ، أو يقول عن نبينا صلى الله عليه واله وسلم كان أسود اللون ، أو ليس بقريشي ، وكل من أنكر صفة كانت ثابتة له فقد كفر ، أو قال يأتي نبي بعده فقد كفر أو قال لا أدري أهو الذي بعث بحة ومات بالمدينة أو غيره ، أو قال النبوة مكتسبة . أو يصل إليها بصفاء القلب ، أو الولي أفضل من النبي ، أو أنه يوحي اليه ، وان لم يدّع النبوة ، أو يدخل الجنة قبل موته ، أو يعيب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثله غيره من الأنبياء وكذلك الملائكة ، أو يلعنه ، أو يسبه ، أو يستخف أو يستهزيء به ، أو بشيء من أفعاله كلحس الأصابع أو يلحق به نقصا في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو فعله أو يعرّض به ، أو يشبهه بشيء على طريق الإزدراء ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه ، أو تمنى له مضرة أو نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث في جبهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو ما جرى له من البلاء والحنة عليه ، أو بعوارض البشرية الجائزة أو المعهودة لديه ، فيكفر بواحدة مما ذكر إجماعا ، ولا تقبل توبته عنـد أكثر العلماء ، وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له عند صاحبكم ، وعد هذه الكلمة تنقيصا له صلى الله عليه وآله وسلم ...

أو يرضى بالكفر لكافر أو يقول كافر لمسلم ، لقني كلمة الاسلام ويكون المسلم خطيبا فيؤخر ويقول حتى أفرغ من الخطبة ، أو يقول لمسلم يا كافر بلا تأويل لأنه سمى الإسلام كفرا ، أو يسخر بأمر من أوامر الله ، أو نهيه ، أو وعده ووعيده ، كأن يقول لو أمرني بكلام لم أفعله ، أو جعل القبلة ها هنا ما صليت اليها ، أو لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافا أو عنادا ، أو لو أخذني بترك الصلاة مع ما بي من الشدة أو المرض ظلمني ، أو شهد ملك أو نبي ما صدقته أو إن كان ما قاله النبي صدقا نجونا فقد كفر لأن فيه نقصا لمرتبة النبوة ، أو قيل قلم أظافرك فانه سنة قال لا أفعل ، أو قال لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع ومثلها في ذلك سائر الأذكار ، أو قال المؤذن يكذب ، أو صوته كالجرس ، وأراه تشبيهه لناقوس

النصارى ، أو سمى الله على محرم كالخر استهزاء ، أو (قال) لا أخاف القيامة استهزاء ، أو نسب إلى الله أو شبه العلماء والوعاظ والمعلمين على هيئة مزرية بحضور جماعة حتى يضحكوا ، أو قال إن شئت توفني مسلما أو كافرا ، أو نسب إلى زور في التحريم ، أو قال اليهود خير من المسلمين ، أو قال استخفافا شبعت من القرآن ، أو الصلاة ، أو الذكر أو نحو ذلك ، أو قال سماع الأغاني من الدين ، أو أنه يؤثر في القلب أكثر من القرآن إلى غير ذلك من الأقوال والأفعال التي تخالف الله ورسوله سواء كان عنادا أو استهزاء فإن صاحبها يخرج عن الاسلام وتسمى هذه الأقوال ردة ، ومعنى الردة الرجوع عن الإسلام كا جاء في كتاب الله عز وجل في (سورة البقرة ) : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيت وهو كافر فأولئك البقرة ) عمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ .

ومن أراد الاستيفاء في هذا الباب ، فليرجع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما استنبطه العلماء المجتهدون العاملون في ذلك ...

## مقام المراقبة

مقام المراقعة وهو مقام شريف قال الله عز وجل : ﴿ إِن الله كان عليكم رقيبا ﴾ هذا المقام أصله علم وحال ثم يثر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد أنّ الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويعلم كل ما يخطر على باله . وأما الحال فهو ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذا الحال ، فإذا حصل العلم والحال كانت غربها عند أصحاب اليين : الحياء من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي ، والجد في الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التي توجب التعظيم والاجلال لذي الجلال ، الى هاتين الثرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (1) فقوله أن تعبد الله كأنك تراه إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهي المراقبة الموجبة للتعظيم . كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك إشارة إلى الثمرة الأولى ، ومعناه ان لم تكن من أهل التقوى والعفاف بحيث تراقب الله في كل عمل هو لك ، فأعلم أنه يراك ، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب المين ، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى : رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عليه ، فنزل إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتحقق فيها المشارطة والمرابطة ، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشارطة فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصى ، وأما المرابطة ، فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشارطة والمرابطة ، أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد لنفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله حمد الله ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ، ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابا يزجرها عن العودة إلى

<sup>1 )</sup> مسلم عن عمر ـ أحمد في مسنده والشيخان وابن ماجه عن ابي هريرة ـ صحيح ـ

مثل ذلك ، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة ، وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى ...

التوكل: هو الاعتاد على الله . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزِمَتَ فَتُوكُلُ عَلَى الله ﴾ التوكل على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضان الذي في قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا في الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإن الأمر محمول على الوجوب .

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب: الأولى أن يعتمد العبد على ربه ، كاعتاد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه ، فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا اليها ، والثالثة : أن يكون مع ربه ، كالميت بين يدي الغاسل قد أسلم نفسه إليه بالكلية . فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية ، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة ، وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخالص الذي في قوله عز وجل : ﴿ والهم إله واحد \* الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى : أحدها أنه لا ثاني له ، فهو نفي للعدد ، والآخر أنه لا شريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ، ولا ينقسم ، وقد فسّر المراد به هنا في قوله : لا إله إلا هو ...

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات: الأولى توحيد عامة المسلمين، وهو الذي يعصم النفس من الهلاك في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء، والأنيداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد، الدرجة الثانية توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويعلم يقينا أن الكون قائم بعلمه سائر بمشيئته واقع تحت رحمته ... واغا مقام الخاص في التوحيد يغني القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الإنقطاع الى الله والتوكل

عليه وحده ، وإطراح جميع الخلق في قبضة القهر ، ليس بيدهم شيء من الأمر ، الدرجة الثالثة ، ألا يرى في الوجود إلا الله وحده ، فيغيب النظر عن المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة ، وهذه الذي تسميه الصوفية مقام الغناء بمعنى الغيبة عن الخلق ، حتى أنه قد يغنى عن نفسه ، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله ، وهذه درجة مرفوضة لأنه لا يوجد ـ ولا يمكن أن يوجد ـ من هو أكثر توحيدا واعمق إيمانا وأشد اخلاصا لله من محمد عليا ومع ذلك لم يغب ولم يستغرق ! فإن قيل هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا ؟

فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام: أحدها: سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد. والثاني سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك، فهذا لا يقدم فعله في التوكل، لأن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن ويجوز تركه لمن قوى عليه. والثالث سبب موهوم بعيد، فهذا يقدم فعله في التوكل ثم ان فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن التوكل له مراد وأختيار؛ وهو يطلب مراده باعتاده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والأختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى ...

التوبة: قال تعالى: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا ﴾ التوبة واجبة على مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذا الجلال ، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم ألا يعود إليها أبدا ، ومها قضى عليه بالعودة أحدث عزما مجددا . وآدابها ثلاثة: الإعتراف بالذنب مقرونا بالإنكسار ، والإكثار من التضرع والإستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المحدول من الصغائر ، وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ،

وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المراقبة (1) من الغفلات ، والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل من الحساب ، ومحبة المحبوب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظم بالمقام ، وشكر الأنعام ...

الخوف من الله والرجاء: جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا كا قال تعالى : ﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ فإن موجب موجب الخوف معرفة سطوة الله ، وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله ، وعظيم ثوابه قال تعالى : ﴿ نَبِّيءَ عَبَّادِي أَنِّي أَنَّا الغفور الرحيم ﴾ ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ ومن عرف فضل الله رجاه ، ومن عرف عذابه خافه ، ولذلك جاء في الحديث : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» (2) إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره بغلب علمه الخوف ليقوده إلى فعل الطباعات ، وترك الستئات ، وأن بغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوليه صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى (3) » واعلم أن الخوف على ثلاث درجات: الأولى أن يكون ضعيفًا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ، ولا في الظاهر ، فوجود هذا الخوف كالعدم ، والثانية أن يكون قويا ، فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، الثالثة أن يشتد حتى يبلغ الى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها ، والناس في الخوف على ثلاث درجات : فخوف العامـة من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء على ثلاث مقامات : الأولى رجاء رحمة

 <sup>1)</sup> المؤمن لا يغفل عن عبادة الله لأن أعماله كلها مرتبطة بالعبادة ، فصله بيديه لتحصيل الرزق الحلال لايقل درجة عن صلاته وزكاته ولذلك فهذه التقسيمات مبتدعة من متأخري الصوفية .

<sup>2)</sup> قال ابن تيمية ـ هذا مأثور عن بعض السلف وهو عام صحيح.

<sup>3 )</sup> رواه : أحمد في مسنده ـ مسلم ـ وأبو داود ـ وابن ماجه ـ عن جابر وهو صحيح

الله مع التسبب فيها بفعل طاعة أو ترك معصية ، فهذا هو الرجاء الحمود ، والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور .. والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات : فقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه « ان رحمة الله قريب من الحسنين »

## ذكر الله واطمئنان القلوب به

﴿ أَلَا بِذِكُو اللهِ تَطْمِئُنَ القَلُوبِ ﴾ قرآن كريم .

الـذكر هو ما اشتمل على تلاوة القرآن ـ وهو أفضلها ـ وذكر اسم الجلالة ، وتسبيح وتقديس واستغفار ، ودعاء وصلاة على النبي عليه ، ذكر الله هو تذكره في استحضار جلاله ، وعظمته ، وقدرته وكل ما لـه ـ سبحانه من صفات الجلال والكمال ... فإذا ذكر الإنسان ربه واستحضر جلاله وعظمته كان من هذا الذكر في ظل ظليل من جلال الله وعظمته ، وفي حماه ورعايته ، وفي عصته : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ﴾ ( سورة آل عمران 101 ) .

فالذي يذكر الله وهو موقن به طامع في رحمته معتصم بجلاله محتم بحاه لائذ بفضله عائذ به من هموم الدنيا ، ومن ظلم الظالمين وبغي الباغين يكون قريبا منه سامعا دعاءه مستجيبا له قال تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ وقال : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ (سورة البقرة 186) . وليس ذكر الله الذي تطمئن به القلوب ، هذا الذكر الذي تردده الألسنة ترديدا آليًا ، دون أن يكون نابعا من القلب ، ذافئا بحرارة الإيمان ، منطلقا بقوة اليقين ، فمثل هذا الذكر لا يعدو أن يكون أصواتا مرددة ، أشبه بالجثث الهامدة ، لا روح فيه ، ولا معقول له ومن هنا تكون آفته فلا يطمئن به قلب ، ولا ينشرح له صدر ...

أما الذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ ثم يؤكد بقوله : ﴿ أَلا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ فهو الذكر الذي ينبعُ عن إيمان ، فتهز له المشاعر تثلج به الصدور ولهذا قدم الله سبحانه وتعالى الإيمان على الذكر حتى يكون للذكر أصل يرجع اليه ، ومنطلق ينطلق منه وهو الإيمان ، ولا يكون الذكر لله

إلا إذا كان مشتلا على صفات الكال والجلال لله عز وجل ، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية ، وهو الذي يستنير مشاعر الولاء لله ، والاخبات له ، فتقشعر الجلود وتدمع العيون ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَمَا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (سورة الأنفال آية 2) .

وقوله سبحانه: ﴿ و بشر الخبتين الندين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (سورة الحج 35\_34) ، وقوله جل شأنه: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ (سورة الزمر آية 23).

فإذا ذكر المؤمن ربه واستولت عليه تلك المشاعر قرب من الله ودنا من مواقع رحمته ، وأحس ببرد السكينة يغمر قلبه ، ووجد ريح الأمن والطأنينة تهب عليه معطرة الأنفاس زاكية الأرواح .

فإذا ذكر الإنسان ربه هذا الذكر الذي يدنيه من ربه ، والذي يشهد منه ما يشهده من جلاله وعظمته وقدرته ارتفع عن هذا العالم الترابي واصتصغر كل شيء فيه ، فلا يأسى على فائت ، ولا يطير فرحا ، ولا يأشر بطرا ، عا يقع ليديه من حطام هذه الدنيا ، وهذا هو الإطمئنان الذي يسكن به القلب وتقر العين حيث لا حزن ولا جزع ولا خوف !!!!

إن الداء الذي يغتال أمن الناس ، ويقضّ مضاجعهم هو ما يدخل عليهم من هموم الدنيا ، وما يشغلهم من توقعات الأمور فيها ...

وانه لا دواء لهذا الداء إلا باللجوء الى الله والفزع اليه ، وذلك بذكره وذكر سلطانه المبسوط على هذا الوجود ، وأمره القائم على كل موجود ألا له الخلق والأمر .... تبارك الله رب العالمين .

وفي قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ . وفي التعبير عن الإعمان بالفعل الماضي (آمنوا) وعن الإطمئنان بفعل

المستقبل ( تطمئن ) في هذا إشارة الى أن الإيان حال لا يحول عنها المؤمن وانه لا يوصف بالإيمان إلا إذا كان مؤمنا ، بخلاف الإطمئنان فإنه غير ملازم للمؤمن في كل حال ، وإنما الإطمئنان عند ذكر الله .

وكلما ذكر المؤمن ربه يطمئن قلبه إذا كان حاضر القلب.

يحسن للذاكر أو الداعي أن يذكر اسم الله للحالة التي يناسبها ذلك الاسم . مثلا : إن كان الإنسان في مواجهة مرض في نفسه ، أو نفس من يحب ذكر الله الرحمن الرحم ، وذكر قدرته على كشف هذا الضر . وإذا كان في يد سلطان جائر ، أو عدو متسلط قاهر ذكر الله القوي القاهر الجبار المنتقم فرآه ذلك مآل هذا السلطان ، وصغر شأن هذا العدو .

وهكذا يذكر الذاكر ربه فيشعر في قلبه بقوة الله وقدرته على حمايته من كل بلاء فيطمئن قلبه وتسكن جوارحه . وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : ﴿ وَلله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (سورة الأعراف 180) . فالإسم الذي تدعو الله به تجد له في نفسك أثراً يبعد عنك هما أو حزنا أو خوفا أو ضعفا أو أنكسارا فتشملك الطمأنينة الكاملة فلا ترى الناس من حولك إلا سائلين فضله ورضوانه .

قال الله عز وجل: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرُكُم ﴾ (سورة البقرة 152)، فالله سبحانه لا ينسى حتى يذكر فيذكر، بل هو يذكرنا دامًا ذكرناه أو لم نذكره.

ولكن المراد بذكره لنا هنا إذا ذكرناه وجدناه حاضرا في قلوبنا وعقولنا ولكن هذا الحضور لا نحس به ولا نتأثر له . فإذا ذكر المؤمن ربه وجده تجاهه ذكر ربه وأشرف عليه بنوره السني البهي .

وفي الحديث الشريف القدسي : « من تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » (1).

1 ) رواه أحمد في مسنده ـ والشيخان ـ الترمذي ـ ابن ماجه ـ عن أبي هريرة ـ وهو صحيح ـ أخرجه الترمذي بصيغة المفرد ورده إلى صيغة الجمع .

فذكر الله وامتلاء القلب به يفيض على النذاكر نورا من جلال الله وبهائه فإذا هو في جمى عزيز لا ينام ، وفي ضان وثيق من أن يهون أو يذل لغير الله الواحد القهار .

وأسمى الذكر هو ذكر العارفين بالله معرفة يطلعون منها على ما يملاً قلوبهم جلالا وخشية لله حيث يشهدون من كالات الله ما لا يشهده إلا المقربون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، كا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الذَينَ آمنُوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ .

وهذا الود إنما يناله أولئك الذين يذكرون الله ، فيذكرهم الله ، ويعرفونه فيعرفهم : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ . فهذا الذكر هو الذي يضيء الطريق للسالك الى ربه فيرى على جانبيه نور الخالق وجلاله وعظمته ، فيخشع قلبه وتسكن وساوسه .

الرجاء الذي يقوم على غير إيمان ، ويستند إلى غير طاعة ، فهو مكر الله وخداع للنفس ، وعدوان على سنن الحياة التي أقام الله عباده عليها فجعل لكل عامل عمله ولكل غارس ثمرة غرسه .

وينبغي أن يحسن العبد الظن بربه ، بل وأن يبالغ ما شاء في هذا الظن ولكن يشترط أن يكون ذلك الظن نابعا من الإيمان بالله .

وتأمل كيف قال الله تعالى في آية الذكر: ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ﴾ وفي آية الدعاء ﴿ أدعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ .

فذكر التضرع فيها معا ، وهو التذلل والتسكن والانكسار ، وهو روح الذكر والدعاء ، وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر الى الخوف ، فان الذكر يستلزم الحبة ، فمن أكثر من ذكر الله أثمر له ذلك محبته والحبة مالم تقترن بالخوف ، فانها لا تنفع صاحبها ، بل تضره لأنها توجب الإدلال والانبساط . وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات ...

والمقصود من العبادات انما هو عبادة القلب ، واقباله على الله ومحبته لـ وتأليهه له ، فإذا حصل المقصود ، فالاشتغال بالوسيلة باطل ....

وبعد فإن ذكر الله بالقلب واللسان هو خير زاد يتزود به الإنسان في رحلة الحياة وخير رفيق يؤنسه في طريقه الموحش، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَمَنَ اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ صدق الله مولانا العظيم.

# بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله عَلَيْهُ :

« اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم واهدهم سبل السلام، واخرجهم من الظلمات الى النور، وجنبهم الفواچش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لهم في أسماعهم وأبصارهم ما أبقيتهم، اللهم اجعلهم شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها عليهم يا رب العالمين.

اللهم انصر كتابك ودينك وعبادك المؤمنين واظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبينا محمدا والله على الدين كله ، اللهم عنب الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون المؤمنين ، اللهم خالف كامتهم ، وشتّت بين قلوبهم ، واجعل تدميرهم في تدبيرهم وأدر عليهم دائرة السوء وانزل بهم بأسك الذي لا يرد على القوم المجرمين اللهم مجرى السحاب ومنزل الكتاب وهازم الأحزاب أهزمهم وزلزهم وانصرنا عليهم ، ربنا أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من بغى علينا ربنا اجعلنا لك شاكرين مطاعين مخبتين أواهين منيبين ربنا تقبّل علينا ربنا اجعلنا لك شاكرين مطاعين مخبتين أواهين منيبين ربنا تقبّل علينا وعسل حوبتنا وثبّت حجتنا واهدى قلوبنا وسدد ألسنتنا واسلل سخائم صدورنا » صدق رسول الله رواه الترمذي .

أقدم هذا الكتاب الى القراء الأفاضل راجين من الله أن يكون نافعا للمسلمين ، واني لا أدّعي الكال ، وإنما الكال لا يكون إلا لله ، فالمرضعيف بنفسه قوي بإخوانه ، فن وصل بيده هذا الكتاب وقرأه ووجد فيه خطأ أو نقصا أو ملاحظة فليقيدها وليبعت بها الي إن شاء الله نجعلها في الطبعة الثانية وإني لا أنسى الطلبة الذين أعانوني على تصحيح هذا الكتاب واخراج آياته وترقيها وضربه على الراقنة واخراج أحاديثه وانسابها الى مصادرها فأشكرهم على ذلك شكرا جزيلا .

## المصيادر

| م تفسير القرآن العظيم عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير           |
|---|
| - تفسير القيم لابن القيم الجوزية                                      |
| ـ تفسير الطبري لابن جرير الطبري                                       |
| - التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب                            |
| - تفسير كتاب التسهيل لعلوم التنزيل . للامام الحافظ أبي القاسم محمد بن |
| أحمد لابن جزى الكلبي الغرناطي .                                       |
| - أحكام المرتد في الشريعة الاسلامية لنعان عبد الرزاق الساماراني       |
| ـ تفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا                                    |
| _ الفتاوي الكبرى لابن تيمية ، شيخ الاسلام بن أبي العباس               |
| تقى الدين أحمد بن عبد الحلم .   |
| ـ التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلي للشيخ منصور                |
| على ناصف  |
| ـ النبي محمد انسان الإنسانية ونبي الأنبياء عبد الكريم الخطيب .        |
| الله ذاتا وموضوعا عبد الكريم الخطيب                                   |
| ـ العقيدة الطحاوية للامام الطحاوي                                     |
| ـ البحوث الاسلامية للمؤتمر الرابع ( مصر ) الْلُؤتمر الرابع            |
| ـ الزواجر على اقتراف الكبائر ابن العباس أحمد بن محمد                  |
| على ابن حجر المكي الهيثم  |
| _ الجانب الالهي من التفكير الاسلامي د محمد البهي ـ                    |
| _ العقائد الإسلامية   |
| - الكواشف الحلية من معاني الواسطية عبد العزيز محمد السلمان            |
| ـ حاشية الشيخ ابراهيم البيجوري المساة بتحفة المريد على                |
| جوهرة التوحيد .   |
| ـ الدستور القرآني في شؤون الحياة محمد عزة دروزة                       |
| _ القضاء والقدر أبو الوفاء محمد درويش                                 |
| ـ رسالة التوحيد الشيخ محمد عبده                                       |
|   |

## الفهرسيت

| فحة | الصنا          | العنوان                                |
|-----|----------------|--|
| 6   |                | دعاء الاستفتاح                         |
| 8   |                | نصائح اقدمها ألى الشباب المسلم         |
| 14  |                | المقدمة                                |
| 15  |                | التعريف بالتوحيد                       |
| 17  |                | اعراض المسلمين عن القرآن               |
| 29  | والكفائية      | التكاليف الشرعية العامة : منها العينية |
|     | لمئل التي      | بماذا يكون ايمان المكلف ؟ وما هي الوس  |
| 36  |                | يستعملها ليكون مؤمنا                   |
| 40  |                | لا تكليف الاّ بشرط العقل               |
| 45  | كتسبة          | من ثمرة العقل معرفة الله الضرورية والم |
| 50  |                | البحث عن معرفة الله سبحانه وتعالى      |
| 59  |                | أقسام التوحيد                          |
| 63  |                | مفهوم الألوهية في الشريعة الاسلامية    |
| 71  |                | التوحيد نوعان :                        |
| 72  | ب              | باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنو      |
| 75  |                | الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله .  |
| 76  |                | تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله الله    |
| 79  |                | من الشرك ليس الحلقة والخيط ونحوهما     |
| 80  |                | الذبائح لغير الله                      |
| 81  |                | من الشرك النذر لغير الله               |
| 83  |                | الاستعاذة بغير الله شرك                |
| 86  |                | الاستعاذة بالله من شر ما خلق           |
| 90  | ه أو يدعو غيره | من الشرك ان يستغيث المكلف بغير الله    |
| 95  |                | العقيدة الاسلامية                      |
| 98  |                | بعض معالم التوحيد في العقيدة           |
| 99  |                | علاقة الله بالإنسان                    |

| 103 | التعريف باسم الجلالة   |
|-----|--|
| 104 | ارتباط الخلق بالاسهاء الثلاثة  |
| 106 | تنزيه الله جل جلاله  |
| 110 | الايمان بالغيب   |
| 113 | الايمان بالرسل أجمعين  |
| 116 | النبوة رحمة  |
| 119 | الرسالة المحمدية   |
| 124 | البعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التسليم                   |
| 135 | محبة النبي علي الله الله الله الله الله الله الله ال                   |
| 139 | التعريف بالايان  |
| 143 | الصبر من الايمان   |
| 146 | الطريق الى الله هو العلم   |
| 150 | المؤمن يتصف بالعزة في المرابعين المؤمن يتصف بالعزة المرابعين المرابعين |
| 156 | الايمان بالملائكة  |
| 160 | الايمان بكتب الله المنزلة  |
| 162 | الرسالة الاسلامية  |
| 165 | دوعة نوح ( عليه السلام )   |
| 166 | دعوة هود ( عليه السلام )   |
| 167 | دعوة صالح ( عليه السلام )  |
| 168 | دعوة شعيب (عليه السلام)  |
| 170 | دعوة إبراهيم ( عليه السلام )   |
| 171 | دعوة موسى ( عليه السلام )  |
| 175 | أسلوب القرآن في الدعوة الى الله ﴿                                      |
| 180 | الايمان باليوم الآخر   |
| 183 | البعث  |
| 184 | النفخات الثلاث   |
| 186 | كل شيء هالك الأ وجهه   |
| 187 | اختلاف الناس عند البعث   |

| الحساب الحق 189   |
|---|
| الصـراط   |
| العرش والكرسي   |
| الحـوض 192  |
| الشفاعـة 194  |
| رأي الاستاذ محمد عبده في الشفاعة 195                            |
| الركن السادس ( الايمان بالقدر )                                 |
| مشيئة الله  |
| خلاصة في القدر والمشيئة   |
| حكمة الايمان بالقدر   |
| حرية الانسان 206  |
| تقرير الاسلام حرية الارادة                                      |
| مشيئة الرب ومشيئة العبد   |
| الهداية والاضلال  |
| خاتمة القضاء والقدر   |
| الاقــدار 213   |
| القضاء 215  |
| الانسان والاقدار  |
| لاتتم مصالح الآ بمدافعة الاقدار 224                             |
| أمر الله  |
| إرادة الله  |
| دفع اعتراض  |
| التوفيق والخذلان  |
| اصلاح المجتمعات الحالية من الانحراف والفساد عن طريق الدين . 237 |
| بعض الاشياء مِنْ الشرك  |
| مقام المراقبة مقام المراقبة 247                                 |
| ذكر الله واطمئنان القلوب اليه                                   |
| الخاتمـة  |

# بيت الرِّمن الرَّحِيم

ومسالكم لاتؤمنون ببالله والرسول يدعوكم لنؤمنوا برتب وقد أخذ مبث أف إن كنتم مؤمن بن

صدق الله العظيمة